معهد الصّحافة و علوم الأخبار
جامعة منوبة. تونس
درس الماجستير
في علوم الإعلام و الاتصال

تحليل الخطاب

الرّسائل السّياسيّة في وسائل الإعلام

سلوى الشرفي
أستاذة التعليم العال

المحتوى

تقديم الدّرس
وصف الدّرس
أهداف الدّرس
المواضيع الرئيسة التي يغطيها الدّرس
منهجية الدّرس
المحاور الكبرى للمطالعة و النّقاش
المنظّرون الأساسّيون لتحليل الخطاب
العلوم و التقنيات المرتبطة بتحليل الخطاب

التّمهيد

أهميّة تحليل الخطاب السّياسي في وسائل الإعلام

الجزء الأول: مفهوم الخطاب

الفصل الأوّل: تعريفات الخطاب

الفقرة الأولى: الخطاب والحديث (الحوار)

الفقرة الثانية: الخطاب و اللغة

الفقرة الثالثة: الخطاب و النصّ

الفصل الثاني: العناصر المنتجة لمعنى الخطاب

الفقرة الأولى: الخطاب و المعنى
الفقرة الثانية: القائل ومقاصده التخاطبية
الفقرة الثالثة: المتلقي كشريك في إنتاج المعنى
الفقرة الرابعة: السّياق التّخاطبي

الجزء الثاني: الخطاب السياسي في وسائل الإعلام

الفصل الأول: الخطاب السياسي

الفقرة الأولى: خصوصيات الخطاب السياسي
الفقرة الثانية: لغة الخطاب السياسي

الفصل الثاني: الخطاب الإعلامي

الفقرة الأولى: خصوصيّات الخطاب الإعلامي

الفقرة الثانية: خصوصيذات اللغة الإعلامية

الفقرة الثالثة: وسائل الضّغط على وسائل الإعلام

الجزء الثالث: انعكاسات الضّغط السّياسي على الخطاب الإعلامي

الفصل الأول:أساليب المغالطة باللغة غير القولية

الفقرة الأولى: العناصر غير القوليّة على مستوى الشكل
الفقرة الثانية: العناصر غير القوليّة على مستوى المضمون

الفصل الثاني: أساليب المغالطة باللغة القولية

الفقرة الأولى: أشكال الدّعاية

الفقرة الثانية: قواعد الدّعاية

الفقرة الثالثة: الأساليب اللغوية الدّعائية

الفصل الثالث : الأساليب الدّعائيّة الحجاجيّة

الفقرة الأولى: مفهوم الحجاج

الفقرة الثانية: نظريّة الحجاج البلاغي أو اللغوي

الفقرة الثالثة: المغالطة الحجاجية

الجزء الرابع : تحليل الخطاب

الفصل الأول: خصوصيّة تحليل الخطاب

الفقرة االاولى: المقاربة التّداولية للخطاب

الفقرة الثانية: الأسس الفلسفية للنظرية التّداولية
الفقرة الثالثة: نظريّة "أفعال الكلام" عند كل من "أوستين" و "سيرل"
الفقرة الرابعة: النّظريّة التّواصلية مع "جرغن هابرماس"

الفصل الثاني: تحليل الخطاب و تقنيات التحليل التقليدية

الفقرة الأولى: تحليل الخطاب و تحليل المضمون
الفقرة الثانية: تحليل الخطاب وتقنية إحصاء المفردات

الفقرة الثالثة: تحليل الخطاب والتحليل البنيوي

الفقرة الرابعة: تحليل الخطاب والتحليل السّيميائي

الجزء الخامس: تقنيات تحليل الخطاب

الفصل الأول: تقنيّة تحليل القوى الفاعلة

الفقرة الأولى: شبكة تحليل القوى الفاعلة

الفقرة الثانية: تعريف عناصر شبكة تحليل القوى الفاعلة

الفصل الثاني تقنية تحليل حقول الدلالة

الفقرة الأولى: شبكة تحليل حقول الدلالة

الفقرة الثانية: التعريف بمكوّنات الشّبكة

الفصل الثالث: تقنية تحليل مسار البرهنة

الفقرة الأولى: شبكة تحليل مسار البرهنة

الفقرة الثانية: التعريف بمكوّنات الشّبكة

خاتمة عامّة

الملاحق

المراجع و المصادر

تقديم الدّرس

وصف الدرس

يعنى الدرس بتحليل الخطاب السياسي في وسائل الإعلام من منظور اللسانيات التداولية و ذلك بالنظر إلى طبيعة مجال الاختصاص المتعلّق بعلوم الإعلام و الاتصال.

و لذلك فهو يعتمد على الأحداث السيّاسيّة الجارية و التاريخيّة، و تمظهرها خطابيّا في وسائل الإعلام و مقاربتها مقاربة تداولية، أي في ضوء ظروف إنتاجها، بهدف الوقوف على مقصد الخطاب و تحديد معناه العميق.

و من المفروض أن يكون الطالب، في نهاية الدرس، قد ألمّ بالنظريات النّقدية لعلوم الاتصال و الاتصال السياسي، و أن يكون قادرا على استيعاب الجانب الرّمزي للسلطة و على الرّبط بين مختلف مظاهر السّلطة و الهيمنة، و على الوقوف على درجة الاستقلالية و الخضوع لمختلف الفاعلين الاجتماعيين في المسار الاتصالي.

أهداف الدّرس

للدرس هدف المعرفي، و هدف عملي، و هدف أكاديمي.

الهدف المعرفي

يهدف الدّرس إلى تطوير معارف الطلبة الباحثين في مجال الاتصال السياسي بغية استيعاب العملية الاتصالية و المساهمة في تطويرها، و ذلك من خلال تحليل العلاقة الجدليّة المباشرة و غير المباشرة بين السّلط السياسية و الإعلامية و الثقافية من جهة، و الرأي العام، كسلطة، من جهة أخرى، على المستوين الوطني و العالمي، و كذلك من خلال طريقة تنظيم مختلف هذه السّلط و تفاعلها في الفضاء العام.

و تتّسم العلاقات بين مختلف السّلط المذكورة بصراعات واضحة وخفيّة من أجل الهيمنة.

و تتمظهر الصّراعات غالبا في شكل رمزي من خلال الخطاب أساسا. و قد قال قديما نصر بن سيّار إنّ "الحرب أوّلها كلام" و الكلام يجب أن يمرّ عبر وسائل أو وسائط إعلاميّة جماهيريّة ليضمن له الروّاج، كما يجب أن يوظّف تقنيات و أشكال لغويّة معيّنة حتّى يكون مأثّرا و يرسخ في الأذهان، و من هنا تبرز ضرورة استخدام وسائل الإعلام في الاتصّال السياسي ممّا قد ينعكس سلبا على لغة الإعلام و وظيفته.

الهدف الأكاديمي

يهدف الدرس إلى تمكين الطالب من توسيع دائرة مهاراته و معارفه في مجال البحث العلمي الأكاديمي، مما يمكنه من اختيار التقنية الملائمة لموضوع بحثه. و يتعلّق الدرس بتقنية تحليل الخطاب أي البحث في الخطاب، و هي تقنية من تقنيات البحث في مجال الاتصال تنتمي تحديدا إلى منهج تحليل المضمون. و توظّف هذه التقنية في تحليل معنى القول و العملية الاتصالية عموما.

الهدف العملي

في ما يتعلّق بالجانب العملي، فإن هذا الدرس يفتح أمام الطالب إمكانيّات العمل في مجال الاتصال بصفة عامة و الاتصال السياسي بصفة خاصة (وزارة الخارجيّة، رئاسة الجمهورية،

حزب سياسي، مراكز وضع استراتيجيات، منظمات دولية و مدنيّة) بما يوفرّه له من قدرة على تحليل الإستراتيجيات الاتصاليّة التي تضعها الدّول و المؤسّسات السياسية بصفة عامة، و المتعلّقة بأحداث هامة مثل الانتخابات أو للإقناع بسياسة جديدة في مجال ما، و فهم أهدافها الخفيّة.

المواضيع الرئيسة التى يغطّيها الدرس

- مفهوم الخطاب
- النظريّة التداوليّة
- طرق التأثير على وسائل الإعلام و انعكاساتها على الخطاب الإعلام
- تقنيات تحليل الخطاب السياسي في وسائل الإعلام

منهجية الدّرس

يتراوح الدرس بين الجانب النظري و الجانب التطبيقي المتمثل في القيام بتمارين حول تقنيات تحليل الخطاب (أنظر النماذج المتضمنة في الملحق) كما يعتمد على مشاركة الطلبة بتقديم عروض تطبيقيّة تتمثّل في متابعة طريقة تغطية الأحداث في وسائل الإعلام و تحليلها تحليلا تداوليّا.

المحاور الكبرى للمطالعة و النقاش

الإعلام و الاتصال
الإعلام و الدعاية
الاتصال السياسي حديثا و قديما
المقاربات النقدية في علوم الإعلام و الاتصال
الخطاب كوسيلة اتصال
المقاربة التداولية في مجال الاتصال
المعنى
نظرية المعرفة
الإديولوجية
التصورات
عملية التلقي و التصورات الاجتماعية
الحجاج
الخطاب كوسيلة تأثير
الأجندة الإعلامية كوسيلة تأثير
الإخراج في وسائل الإعلام كأداة تأثير

المنظّرين الأساسيين لتحليل الخطاب

Jean-Michel Adam
Mikhaïl Bakhtine
Roland Barthes
Émile Benveniste
Oswald Ducrot
Michel Foucault
Rodolphe Ghiglione

Roman Jakobson
Dominique Maingueneau
Michel Pêcheux
Paul Ricoeur
Régine Robin
Ferdinand de Saussure
T.A. Van Dijk
Z. Harris
Charles Morris
John Austin
John Searl
Noam Chomsky
Charles Sanders Peirce

العلوم و التقنيات المرتبطة بتحليل الخطاب

Sciences de l'information
Sciences de la communication
Philosophie
Herméneutique
Linguistique
Sociopsychologie
Sémiologie
Sémantique
Analyse de contenu
Analyse de données textuelles

مدّة الدرس:
ساعتان أسبوعيّا على امتداد سداسيّة واحدة

التقييم
امتحان كتابي في آخر السّداسيّة

التمهيد

أهميّة تحليل الخطاب السياسي لوسائل الإعلام

سؤل مرة الزعيم البولندي "ليش فاليزا" عن السبب الأساسي في انهيار النظام الشيوعي فأشار إلى جهاز التلفزيون قائلا: "هذا هو السّبب"
و بعد أن كشف الرئيس الأمريكي "جونسن" بأن الصورة المتلفزة المرعبة كانت سببا لكي يفقد الأمريكيون حماسهم حول حرب فيتنام، قرّر السّاسة الأمريكان، ابتدءا من إدارة الرئيس "ريغان" ألاّ يتمتع المراسلون الصّحافيّيون مرة أخرى بفرصة التشويش على سياسة الحكومة. و قد نجح هذا القرار إلى حد بعيد خلال الحرب الأمريكية الأولى على العراق سنة 1991، حيث احتكرت قناة "س.ن.ن" الأمريكية تغطية الحرب ميدانيّا تحت رقابة السّلطة العسكرية.
و لم يسمح للمراسلين غير الأمريكان بتغطيّة الميدان العراقي، فظلّوا في الكويت، حيث كان النّاطق الرّسمي باسم رئاسة أركان الجيش يمدّهم بالمعلومات. و كانت المؤتمرات الصحفيّة تتمّ تحت خيمة تابعة للقاعدة العسكريّة الأمريكيّة (1)

و قد ظهرت نجاعة تقنية تحليل الخطاب أكثر من أي وقت مضى خلال هذه الحرب التي تميّزت بالتعتيم الإعلامي و الدّعاية السياسية. و تدعّمت هذه الممارسة بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 و ما نتج عنها من إخضاع وسائل الإعلام للأجندة السياسية و تجنيدها في الحرب، حرب الكلام، التي لا تقل شراسة عن الحرب الماديّة.
و بصفة عامّة، لم يحدث أن تم الادعاء بقول الحقيقة بهذه الكثافة قبل ظهور وسائل الإعلام الجماهيرية التي انزاحت بفعل التلاعب السياسي من دور الكشّاف إلى دور المبرّر، و من وظيفة إثبات عالم الأشياء إلى وظيفة إخراج المشاهد، و من مهمة وصف الأفكار و البرهنة عليها إلى مهمة الوصف الذي لا تحدده مقدمات و لا نتائج.
فوسائل الإعلام قادرة، بالرغم من أنها مجرد وسيط وليست منتجة أصلية للأفكار, على المساهمة بفاعلية في تغيير الأوضاع، مما يمكّنها من تشكيل وسيلة أساسية في التقريب بين البشر أو تصادمهم.
و تكمن أهميّة الإعلام في دوره الحاسم في تكوين المعرفة، أمّا خطورته فتتمثّل في إمكانيّة توظيف المعرفة لخدمة سلطة ما، و تبليغ هذه المعرفة عن طريق التأثير و الإغراء، بهدف قولبة رأي المتلّقي و دفعه نحو سلوك مبرمج.
ويقول الكاتب الأمريكي "ميكل مور" مؤلف"هلموا إلى الملجأ. أهلا بكم في الولايات الأمريكية الغبيّة " بأن الأمريكيين يشعرون بفداحة ممارسات نظام الرئيس الأمريكي السابق "بوش الابن" لكنهم لا يستوعبون ذلك بوعي تام يمكّنهم من ردّ الفعل الملائم.
و يردّ "ميكل مور" هذا العجز إلى ما يسميّه "بحالة الجهل الإجبارية المفروضة على هذا الشعب منذ المدرسة، حيث لا يتعلم الفرد الأمريكي شيئا يذكر حول بقية العالم" و يضيف بأنّ "هذه الحالة تتواصل مدى الحياة بسبب تجاهل وسائل الإعلام لكل معلومة ترد من الخارج و لا تهمّ مباشرة الولايات المتحدة الأمريكية" كما يؤكد "مور" بأن "عشرات الآلاف من الأمريكيين يعارضون سياسة "بوش" لكن الناس لا يعرفون بوجودهم لأن وسائل الإعلام تتجاهلهم" (2)

لقد تمّ توظيف الإعلام في هذه الحالة بالذات للعب دور معرفيّ خطير تمثّل في ترويج ثقافة الصّدام و العنف و الإقصاء.
و يدخل الأمر طبعا ضمن استراتيجية اعلاميّة تخدم الإستراتيجية السياسية، ذلك أن السلطة تعتمد في نشاطها على ثلاثية العنف و الخديعة و الاتصال لكي تكون قادرة على ممارسة السيطرة، حتى أنه تم تشبيه وظيفة الاتصال صلب النشاط السياسي بالدورة الدموية في تغذيتها.

وقد نجحت هذه الإستراتيجية في التأثير حتى في الشعوب المطعّمة ضدّ الإطلاقية و المتربيّة على مبادئ التنسيب و اختلاف الآراء.
و يتضح بالتالي بأن الثقافة الديمقراطية، و إن كانت ضرورية، فهي ليست كافية. و يجب تدعيمها بتسليح المتلقي ضد عمليات غسل الدماغ و فخاخ وسائل تكوين الرأي، من كتب و أفلام و أغان و إعلام مشوّه، لذلك قامت العديد من الدّول بإدراج مادّة التربية على وسائل الإعلام و الاتصال ضمن برامج التعليم لتلقيح الناشئة ضدّ تحريف العملية الإعلامية.
أما بالنسبة للباحثين في مجال الإعلام فإن مساهمتهم تتمثّل في الكشف عن الاستراتيجيات و الآليّات القوليّة في وسائل الإعلام التي تسمح بخلق معاني هدفها توجيه فكر المتلقي و تغيير سلوكه و تعبئته بمعرفة تخدم الإديولوجيات و الأجندات السياسية، و هذا هو هدف تحليل الخطاب.
و لذلك سنركّز على الإشكاليات التي تطرحها قراءة الخطاب و في آليات التحليل الملائمة لذلك، و التي سيتم التفصيل فيها في الأجزاء الخمسة لهذا الكتاب، حيث يتعيّن علينا البدأ بتحديد **مفهوم الخطاب (الجزء أوّل)** هذا المفهوم الذي يتقاطع مع مفاهيم أخرى من لغة و دلالة و تركيب و نص... (**الفصل الأوّل**) و الذي يكشف عن معناه الخاص من خلال عناصر محدّدة تقوم بوظيفة انتاج معنى الخطاب (**الفصل الثاني**)
ثم نقوم بالتعريف بالخصوصيات الوظيفيّة و اللغويّة كل من الخطاب السياسي و الخطاب الإعلامي (**الجزء الثاني**)

و نقف على انعكاسات الضغط السياسي على الخطاب الإعلامي التي تبرز في المغالطات اللغويّة و الحجاجيّة (**الجزء الثالث**)

أما **الجزء الرابع** فسنخصّصه لمفهوم تحليل الخطابمن خلال الوقوف على خصوصيّة تحليل الخطاب (**الفصل الأول**) و الفرق بين تحليل الخطاب و تقنيات التحليل التقليدية (**الفصل الثاني**) و نصل في **الجزء الخامس** إلى تقنيات تحليل الخطاب مرفوقة بشبكاتها التحليليّة و **بتعريف لمختلف عناصرهذه الشبكات.**

الجزء الأول: مفهوم الخطاب

الخطاب الإنجليزيّة و بالفرنسيّة (discourse, discours) هو لفظ مشتقّ من الكلمة اللاتينيّة Discoursus أو Discourere، وتعنى في الأصل الحوار.

و قد تعدّدت المفاهيم الخاصة بالخطاب بتعدّد مجالات التخصصات العلميّة، من لسانيّات و علم نفس و علم اجتماع و فلسفة، ممّا أدّى إلى فرض كل حقل معرفي مسلّماته و إشكاليّاته و تقنيّات تحليله.

فبينما يضيّقه البعض ليقتصر على أساليب الكلام والمحادثة، يوسّعه آخرون لجعله مرادفًا للنظام الاجتماعي برمتّه. فبعض أقطاب الفلسفة المعاصرة وخصوصاً المفكر الفرنسي ميشيل فوكو، يستعمل اللفظ كما هي أصوله عند نيتشه، حيث لا فرق بين مفهومي الواقع والخطاب(3)

و لذلك ننبّه إلى ضرورة التقيّد بمفهوم الخطاب بالارتباط بحقل الإعلام و الاتصال مع الإستئناس ببقيّة الإختصاصات لمزيد من الفهم و التمّييز. و هو ما سنتعرّف عليه في الفصل الأول من هذا الجزء المتعلّق بتعريفات الخطاب و الذي سندعّمه في الفصل الثاني بتعريف العناصر المنتجة لمعنى الخطاب.

الفصل الأوّل: تعريفات الخطاب

ابتكر "هاريس" مصطلح الخطاب وعرّفه بقوله: "إن الخطاب منهج في البحث في أية مادة مشكّلة من عناصر متميزة ومترابطة في امتداد طولي، سواء كانت **لغة أم شيئا شبيها باللغة**، ومشتمل على أكثر من جملة، إنها بنية شاملة تشخّص الخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه"(4).

و يعرّفه إيميل بنفنست (Emile Benvenist) بأنه "كل تلفظ يفترض **متكلمًا ومستمعًا**، بحيث يحاول المتكلم التأثير على المستمع بطريقة ما" (5).

ويعرّفه تودروف (T.Todorov) " إنه أي **منطوق أو فعل كلامي** يفترض وجود **راوٍ** ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما" (6).

ويعرف فوكو(Michel Foucault) الخطاب بأنه "النصوص والأقوال كما تعطي مجموع كلماتها ونظام بنائها، وبنيتها المنطقية، أو تنظيمها البنائي" (7)

ويعرفه "هارتمان وستورك" (Stork &Hartmann) أنه "نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلّغ **رسالة** ما". (8)

و يرى "أوليفي روبول" أن المقصود بالخطاب عدة معانٍ:

المعنى الشائع: الخطاب مجموعة منسجمة من الجمل المنطوقة.

المعنى اللساني المختزل: الخطاب عبارة عن متوالية من الجمل المشكّلة **لرسالة**.

المعنى اللساني الموسع: الخطاب عبارة عن **مجموعة من الرسائل** بين أطراف مختلفة تعرض طبائع لسانية مشتركة (9)

و يوجد خيط ناظم بين مجمل هذه التعريفات، فالخطاب عند الغربيين هو "كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً، غير أن الاستعمال تجاوز ذلك إلى مفهوم أكثر تحديداً، يتصل بما لاحظه الفيلسوف هـ. ب غرايس عام1975م من أن للكلام **دلالات غير ملفوظة**، يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة. و قد اتجه البحث فيما يعرّف بتحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التي تحكم مثل هذه الاستدلالات أو التوقعات الدلالية.

و يهدف الخطاب في كل الأحوال إلى تحقيق **التواصل** بين منتج الكلام و مستقبله سواء عبر الكلام أو الكتابة. فالملفوظ وحده لا يحدد الخطاب إلا إذا أظيفت إليه **وضعية الاتصال**.

الخطاب= القول+وضعيّة الاتّصال.

Situation de comminucation + Enoncé = Discours

و بذلك يمكن تعريفه على أنه إنجاز لغوي يتمّ الربط فيه بين بنيته الدّاخليّة وظروفِه المقاميّة، أي بين مقالِه ومقامِه، ومستعمِليه، من متكلِّمٍ ومُخاطَبٍ، أي إنّ بنية الخطاب لا يمكن أن تتحدّدَ إلاّ وفقاً لهذه الظّروفِ، وأنّها، أي البنية اللّفظيّة، خاضعة لوظائف المقام وظروف التَّواصل.

ويمكن تصنيف أنواعِ الخِطابِ من حيث الغرض التّواصلِيّ إلى خطابٍ سردي أو حِكائي، وخطابٍ وصفي، وخطابٍ حِجاجِيّ إقناعِيّ، وخطابٍ تعليميّ تلقينيّ، وخطابٍ ترفيهي. و تروّج

وسائل الإعلام معظم هذه الأنواع من الخطابات في برامجها أو أركانها المختلفة و أيضا حسب قواعد تقنيات التحرير الصحفيّة المخصّصة لكلّ نوع أو جنس من المقالات أو الحصص (إخبار و روبرتاج و رأي...)
كما يمكن تصنيف الخطاب، من حيث نوع االمشاركة، إلى حوارٍ ثنائيّ أو حوارٍ جماعيّ أو خطابِ الذّات (مونولوج) . و قد تكون المشاركة مباشرةً بين المتخاطبين أو غير مباشرة كأن تكون مكاتبةً أو مكالَمَةً هاتفيّةً.
و الخطاب " تاريخي"، بمعنى أن الذات القائلة محددة في الزمان والمكان، و لكنّ القائل يخضع لتأثير القوى النفسية و الاجتماعية التي تميّز عصراً ما. ولقد أدرك فوكو، على نحو فريد، هذه الخاصيّة المزدوجة بين التاريخيّة و غير التّاريخية (القائل المعروف و القائل المجهول) عندما رأى أن "الخطاب مجموعة من القواعد مجهولة الإسم والتاريخية، و محكومة دائما بالزمان والمكان، تحدد لعصر أو مجال اجتماعي أو اقتصادي أو جغرافي أو لغوي شروط ممارسة الوظيفة المقالية (10)

و نستخلص من كل ماتقدم ملاحظتين أساسيتين :

1- تتعدد دلالات الخطاب بتعدد اتجاهات و مجالات تحليله، وعلى هذا الأساس تتداخل التعريفات أحياناً، أو تتقاطع، وأحياناً أخرى يكمّل بعضها الآخر.

2- لتحديد الخطاب وتحليله، التحديد والتحليل المقبولين، علينا أن نحدد الاتجاه الذي ننتمي إليه والمجال الذي يشتغل في صلبه الباحث، و هو بالنسبة إلينا مجال الإعلام و الإتصال.

و يظهر بوضوح من خلال التّعريفات التي أوردناها، التّشديد على العناصر الأساسيّة الضروريّة لتحقيق فعلي الإعلام و الإتّصال، ممّا يفسّر اهتمام حقل اختصاصنا بالبحث في الخطاب و تحليله.
و قد تعمّدنا كتابة الألفاظ الدّلة على ذلك بالخط الغليض.
فعلوم الإتصال تهتمّ بالبحث في التأثيرات التي يحدثها الخطاب الإعلامي على آراء و سلوك المتلقين و طرق توظيفها في مختلف المواقف و المؤسسات، لذلك نقترح أن نميل مع الطرح الذي يرى أن الخطاب كلام ينجز في ظرفية ما من ظروف التواصل، وهي ظرفية تعامل اجتماعية خطابية.

وهو الرأي الذي يذهب إليه "بنفنيست" عندما يقول بأن الخطاب هو "كل قول يفترض متكلما ومستمعا، ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخر على نحو ما"

و إلى جانب هذه التعريفات العامّة، يفرّق المختصّون أو يربطون بين الخطاب و بعض المفاهيم القريبة منه، و من أهمّها الحديث و النّص و اللّغة.

الفقرة الأولى: الخطاب والحديث (الحوار)

في التقليد الأنجلوساكسوني، وبالأخص مدرسة بيرمنغهام، يحصر العديد من اللسانيين، الخطاب في "الحوار"

Conversation

انطلاقا من التفاعلات بين المعلّم والتلاميذ. و يتعاملون مع الخطاب في بحوثهم باعتباره "الحوار" شفوياً كان أم كتابياً(11)

ويثير "ميخائيل باختين" أسئلة جوهرية في مسألة علاقة الخطاب بالحوار و تأثيره فيه: "كيف ندرك في الواقع خطاب الغير؟ كيف تحسّ الذات المتلقية في وعيها بتلفظ الغير، هذا الوعي الذي يعبر بواسطة الخطاب الداخلي ؟ كيف يستوعب الوعي الخطاب بفعاليّة، وما هو التأثير الذي يمارسه الخطاب على توجيه الكلام الذي يتلفظ به المتلقي من بعد ؟ " (12)

و يورد "باختين" تعريف "تدوروف" لمفهوم الحوار بقوله "كل علاقة بن ملفوظين تعتبر تناصا (ارتباط النصّ بنصوص متقدّمة)

L'intertextualité

فكل نتاجين شفويين، أو كل ملفوظين محاور أحدهما الأخر، يدخلان في نوع خاص من العلاقات الدلالية نسميها علاقات حوارية"(13).

و يعتبر مفهوم "التناص" أساسيّا في الخطاب، كما رأينا ذلك في تعريف "فوكو" و لا يوجد خطاب بدون تناص.

الفقرة الثانية: الخطاب و اللغة

يرى البعض أن للغة وظيفة اجتماعية، فهي تستعمل لدعم العلاقات داخل المجموعات البشرية. و يرى آخرون أن وظيفتها الأساسية معرفية، بمعنى أنها تستعمل لتمثيل معلومات و خزنها و تبليغها. أي أنها مجرّد نظام ترميزي. و يعتقد غيرهم أن اللغة هي بمثابة الجوهر الذي يمكن للأفكار، التي لا يتسنى نقلها مباشرة لأنها مجردة، أن تصبح من خلال اللغة قابلة للنقل بواسطة الجمل (و هي مادية) التي تعبر عنها.

و تتعين الألفظ بثلاثة أشياء:

- المعنى العام الذي هو معناها القاموسي و أصل الكلمة و تطوّرها حسب مختلف مجالات المعرفة

La signification, la sémantique, l’éthymologie

- المعنى الخاص الذي يضبطه سياق التركيب و النحو بما يسبق من ألفاظ وبما يتبع منها في الكلام.

La Syntaxe et la grammaire

والمعنى الظرفي الذي يحدّده المقام التداولي بحكم حيثيات التخاطب والمحاورة

و بهذا يتمّ التفريق بين اللغة أو اللسان و الكلام.

Langue et language

و نجد نفس المفهوم قديما ، عند عبد القاهر الجرجاني، لكن بطريقة غير واضحة تماما لأنّه لم يذهب بالفكرة إلى منتهاها بالتفريق بين اللغة و الكلام. فهو يرى بأنّ اللفظ لا يكون لفظا إلا و هو دال على معنى، فإذا تعرّى اللفظ عن معناه فهو محض صوت لا دلالة فيه. لذلك فهو يصرّعلى أنّ:"المتكلم إنما ينظم معاني لا ألفاظا (...) فاللفظ تبع للمعنى في النظم"(14)

و "ليست الألفاظ إلا دوال على المعاني الجزئية المفردة، لا تكتسب دلالتها الكاملة، و من ثم لا تكتسب فصاحتها أو بلاغتها، إلا إذا دخلت في علاقات تركيبية مع غيرها من الألفاظ" (...) "ليت شعري هل كانت الالفاظ إلا من أجل المعاني ؟ و هل هي إلا خدم لها و مصرّفة على حكمها؟ أ و ليست هي سمات لها، و أوضاعا وضعت لتدل عليها ؟" (15)

ما يعني أن اللغة ليست إلا مجموعة من القوانين الوضعية، سواء على مستوى المفردات (الألفاظ) او على مستوى التركيب (الجملة)

يقول نصر حامد أبو زيد "و إذا كانت الألفاظ في اللغة مجرّد دوال وضعية اصطلاحية اتفاقية، أليست قوانين النحو التي تدخل الألفاظ على أساسها في علاقات هي بدورها قوانين لا يملك المتكلّم إزاءها إلا الخضوع ؟ و إذا كانت الإجابة بالإيجاب، فما دور المتكلم؟ و ما مدى الحرّية المتاحة له في صنع الكلام ؟ و يمكن لنا القول بطريقة معاصرة إن عبدالقاهر كان على وعي تام بالفارق بين اللغة و الكلام ذلك الفارق الذي أرسى دعائمه العالم السويسري فردينان دي سوسير و طوّره تشمسكي في تفرقته بين "الكفاءة" و "الأداء". إن قوانين النحو و معاني الألفاظ تمثل عند عبدالقاهر "النظام" اللغوي القار في وعي الجماعة، الذي تقوم اللغة على أساسه بوظيفتها الاتصالية، أما الكلام فهو التحقق الفعلي لهذه القوانين في حدث كلامي بعينه. و من هذه التفرقة بين اللغة و الكلام، و هي تفرقة ضمنية في فكر عبدالقاهر، يتحرّك عبدالقاهر ليصوغ مفهوم "النظم" الذي يميز على أساسه بين كلام و كلام، لا من حيث الصحة اللغوية أو النحوية، بل من حيث "الفنية" او "الأدبية" لأن الكلام الأدبي دون غيره، هو الذي ينسب إلى قائله، و يعبّر عن فاعليته العقلية. و هنا فقط تتحقق للمتكلم أقصى درجات الحرية الممكنة داخل قوانين اللغة" (16)

و يضيف أبو زيد: "و قديماً قال ابن فارس في فقه اللغة: "لغةُ العرب يحتج بِهَا فيما اختلفُ فيه، إِذَا كَانَ التنازع في اسم أو صفة أو شيء مما تستعمله العرب من سننها في حقيقة و مجاز، أو ما أشبه ذلك، فأما الذي سبيله سبيل الاستنباط، أو ما فيه لدلائل العقل مجال - فإن العرب وغيرهم

فيه سواء" وهذه قاعدة تنطبق على كل اللغات، فيجب التفريق بين ما تقدمه اللغة من دلالة والوقوف عنده، وبين ما تضيفه الدلالة المنطقية والاجتماعية إلى اللغة، فلو قال قائل يتجمد الماء في الدرجة°10 كانت مقولته خاطئة علمياً، ولكنها صحيحة لغوياً، لأنه استخدم المفردات المعجمية في مكانها، وتركيبها على القواعد النحوية السليمة، فمن المهم التفريق بين الدلالة اللغوية وقصرها على حدودها وتمييزها عن الدلالة العرفية والمنطقية"(17)

و هو ما يحيلنا على أبرز المقولات اللسانية التي انتهى اليها الباحث السويسري "فردينان دي سوسير" (18)

Ferdinand de Saussure (1906-1911)

مؤسّس اللسانيات البنيوية. و تتمثّل هذه المقولات أساسا في:

- التفرقة بين اللغة والكلام

- اعتباطية العلامة (الدال والمدلول)

و يدلّل "دي سوسير" على هذين المقولتين كالتالي "إن اللغة والكلام عندنا ليسا بشئ واحد، فإنما هي منه (أي الكلام) بمثابة قسم معين وان كان أساسيا، والحق يقال، فهي في الأن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة من المواضعات يتبنّاها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. واذا أخذنا الكلام جملة بدا لنا متعدد الأشكال متباين المقومات موزعا في الآن نفسه، الى ما هو فردي، والى ما هو اجتماعي (...) أما اللغة فهي على عكس ذلك، كل بذاته "

إذا كان أب اللغويات الحديثة "فردينان ديسوسير" قد أقر بثنائيتي اللسان والكلام ، فإن الكلام يتحول عند "بول ريكور" إلى مفهوم الخطاب، فالخطاب عند" ريكور" هو التحقق الفعلي للسان.

يرادف إذن مصطلح الخطاب، الكلام، عند "دى سوسير"، وبالتالي يعارض اللغة، فالكلام يتّسم بالتّصرف الفردي للمؤسسة الاجتماعية للغة، فهو نشاط يتّسم بالتّحول والتّغير ويتيح فرصا لتحليله من توجهات علمية عديدة : نفسية ، اجتماعية ، انثروبولوجية .. الخ

و حسب هذا الطرح فإن قواعد المستوين التركيبي و الدلالي، أي اللغوي، تحدّد بالمواضعة الجماعية (وظيفة اجتماعية) أما إنجاز المعنى فيحدده الفرد. و هذا يقع على مستوى القول لذلك يعتبر كل قول فريد.
و لذلك يفرّق اللسانيون و الاتصاليون بين اللغة و الكلام أو القول (فردينان دي سوسير، شارلز موريس، جون أوستين، جون سيرل) و يعتبرون أن إنجاز الكلام يتم بواسطة اللغة، أما المعنى فينجز بواسطة الفكر الذي يتجسد في الكلام.
يقول الفيلسوف الألماني شليرماخر: "الخطاب لا يخترع دلالة غير مسبوقة في اللغة، فهو لغة، لغة معطاة و لكنّه فكرا سابقا" (19)
إن اللغة التي تعني الخطاب هي لغة خاصة، و ليست اللغة المتعلّقة بالقواعد النحويّة و الصرفية أو طريقة كتابة الجمل، بل هي لغة تنتظم ضمن تشكيلات خاصة لتؤلف الخطاب الذي يتسم بكونه متقاطعا مع الأنظمة المعرفيّة السابقة.

و بالنّهاية فإنّ الكلام هو الفكر أو المعنى لذلك يعتبر الخطاب معنى و ليس لغة، فالخطاب هو المعنى الذي ينجزه الفكر. واللغة هي إذن غير الكلام/الخطاب.

و لفهم أعمق للفرق بين اللغة و الخطاب نعطي الأمثلة التالية التي تظهر أن استعمال اللغة و إنتاج الجمل و فهمها يتطلب معارف غير لغوية، و يستلزم عمليات استدلالية (20)
لنفترض المقامات التالية:
1) يقترح رجل على ضيفه قهوة، فيردّ هذا الأخير أن القهوة تمنعه من النوم.
فهل قصد الضيف أن يقول بأنه يرفض القهوة لأنه يريد أن ينام باكرا، أم أنه يقبل القهوة لأنه يريد أن يسهر مع صديقه ؟
نرى هنا أن فكّ الرموز اللغوية ليس كافيا لفهم قصد المتكلّم، و أن الفهم يحتاج إلى توضيح من طرفه.

2) يتوجه عمر إلى بيت صديقه زيد لزيارته و أمام الباب يكتفي بالقول " زيد ليس بالبيت" و يعود أدراجه.
و قد استنتج ذلك من غياب سيارة زيد، و أيضا لأنه يعلم أن زيدا لا يتنقل أبدا بدون سيارة.
نرى هنا أيضا أن المتكلم استعمل جملة واحدة "زيد ليس بالبيت" عوض ثلاث جمل تؤلّف مسار برهنة كامل، و هي:
- "سيارة زيد ليست موجودة"
- "زيد لا يتنقل أبدا بدون السيارة"
- إذن "زيد ليس بالبيت"

3) بعد تناول العشاء، يطلب أب من ابنه أن ينظّف أسنانه، فيجيب الطفل "لا أشعر بالنّعاس" يبدو الجواب غريبا و غير مناسب، غير أن الأب يقبل الحجّة، لأنه، بالاستدلال، فهم أن ابنه لا يرفض الأمر و إنما يؤجّله لسبب صحّي. و قد تم هذا الاستدلال اعتمادا على معارف طبيّة لا لغوية.
و رغم ذلك يمكن أن يكون الطفل قد لجأ إلى هذه الحجة كحيلة للتخلص من عملية تنظيف أسنانه.
و في هذه الحالة يمكن للأب، اعتمادا على معرفته بطبع ابنه، أن يرفض الحجة مع أنها منطقية.
فالمعارف السابقة ضرورية إذن لفهم أبسط الجمل. و هذه المعارف ليست لغوية بل هي اجتماعية (أعراف اجتماعية) ثم استدلالية. كما انّ معنى الكلام لا يتجّلى في اللغة أو في المنطوق، بل في ما وراء اللغة، أي في الفكر.
و على هذا الأساس، ليس إنتاج اللغة و تأويلها عمليّتين قائمتين على نظام ذي طابع ترميزي حصرا. فوجود نظام ترميزي و المواضعة في اللغة لا شك فيه، إلا أن استعمال اللغة لا يقتصر على مجرد عملية ترميز (بالنسبة إلى الإنتاج) و فك الرموز (بالنسبة للتأويل) فالعمليات الاستدلالية التي تضاف إلى عمليات الترميز ليست من خصائص استعمال اللغة بل من المعارف.
و هكذا فإن اللغة، و إن كانت نظام ترميز مستقل، فإن استعمالها لا يمكن فصله عن القدرات البشرية، الاستدلال و المعارف التي تخص الكون و التي ليست لها أية صبغة لسانية.
و يستنتج من هذا الطرح أن اللغة و القول ينتميان إلى نظامين مختلفين و لكنهما متكاملين دون أن يكون متكافئين. فاللغة ينتجها نظام طرفي و الفكر ينتجه نظام مركزي.

و تتمثّل **الحجة على هذا الطرح** في السؤال التالي: "هل يستطيع الحاسوب التفكير ؟"

يقول عالم الرياضيات "آلان تيورنغ" في الأربعينات من القرن الماضي، بأنه إذا أمكن إجراء محادثة طويلة مع آلة دون أن نكون قادرين على تمييز إجاباتها من الإجابات التي قد يقدمها إنسان، فإن الآلة حينئذ تفكر.
لكن الحواسيب أخفقت إلى اليوم في اجتياز اختبار "تيورنغ" و من هنا نتجت قاعدة عامة في مجال الذكاء الاصطناعي و هي أنه ما يعسر على الإنسان يسهل على الحاسوب، و ما يسهل على الإنسان يعسر على الحاسوب.
فالحاسوب قادر على التعامل مع لعبة معقدة و وافرة المعلومات مثل الشطرنج، و غير قادر على تحقيق المعنى. فهي لعبة قواعدها موضوعة و متفق حولها و لا تتطلب خلفية معرفية أو فكر. كما يحصل ألا يكون لأمهر لاعب شطرنج فكر أو أن يكون أمهر مفكر ضعيف في لعبة الشطرنج أو جاهل لها تماما.
و هكذا يعدّ الحساب و الرياضيات و لعبة الشطرنج و سائر الأنشطة التي تتطلب من الإنسان مجهودا ذهنيا، أنشطة يسهل على الحاسوب حلها نسبيا و في المقابل فإن التعرف على الأشياء بالعين المجردة و القدرة على فهم الجمل و إنتاجها، تتجاوز القدرات الحالية للحاسوب.
لقد استطاع الحاسوب إلى حدّ الآن تخزين المستوين التركيبي و الدلالي فقط، و التعامل بهما مع الإنسان تعاملا جماعيا و ليس فرديا (معجم التركيب و معجم الدلالة المبرمجان في الحاسوب يتضمنان مجرد رموز)
و لا تعود هذه الظاهرة إلى القدرات المادية للحاسوب، سعة الذاكرة مثلا، بقدر ما تعود إلى صعوبة إنتاج البرامج المناسبة و القادرة على تجاوز النظر إلى اللغة في شكلها اللساني، أي كسلسلة من الكلمات المتعاقبة التي تكوّن جملا على أساس قواعد تركيبية محددة، و النظر إليها كاستعمال أي استعمال الجمل للتعبير عن أفكار و تعيين الأشياء و إسناد هذا الاستعمال إلى كمية ضخمة من المعارف حول الكون، و التي يعتمد عليها المخاطبون ليستدلوا على ما يريد المتكلم قوله لهم. الحاسوب، في الوقت الحاضر، لا يستطيع استنتاج ما استنتجه الأب حول مسألة تنظيف أسنان ابنه و لا استنتاج ما استنتجه عمر حول غياب زيد و لن يستطيع التفكير في افتراضين مختلفين بخصوص جملة "القهوة تمنعني من النوم"
و لم يتمكن المهندسون من تحقيق تعامل فردي بين القاموس و الفرد أي من تحقيق المعنى، لذلك لا يوجد تواصل كامل بين المستعمل و الحاسوب مثلما يحصل بين الأفراد.
كما تعطي بعض الحالات المرضية الحجّة على اختلاف الأنظمة بين كل من اللغة و القول و على تكاملهما، و اعتبار اللغة نظاما طرفيا مساعدا للقول و اعتبار القول نظاما مركزيا.
الأبكم بالولادة أو الذي يفقد ملكة الكلام لا ينقطع على التواصل مع الآخر و إنتاج المعنى الفردي الخاص به، و إن بنظام طرفي غير لغوي كالإشارة و التصوير و الكتابة.
أما المتخلف الذهني فهو يتواصل فقط باللغة و ليس بالفكر و المعنى الفردي.
و كذلك الإنسان المنطوي أو المتوحّد

L’autiste

و هو الذي يقصي المتلقي من حسابه باعتباره غير قادر على فهمه فلا بتواصل و لا ينجز معنى و لا قول.

ولكن وبالرغم من كون الخطاب يتنزّل في حقل الاستعمال اللغوي، لا حقل المواضعة اللغوية إلا أنه لا يهمل الوضع، فاستعمال اللغة الموضوعة يعد جزءاً من مبدأ التعاون بين المتخاطبين، إذ الوضع اللغوي هو المشترك بين أفراد الجماعة اللغوية. لذلك يجب الالتزام بقواعده العامة حتى يتحقق التعاون اللغوي بين أفراد هذه الجماعة، ولا تحدثَ المخادعة التي تضيّع المعنى.

الفقرة الثالثة: الخطاب و النصّ

يشير اختلاف مصطلح كل من الخطاب والنص في اللغتين الفرنسية و الإنجليزية إلى وجود دلالة لكل مصطلح(21) و رغم ذلك تتعدد وجهات نظر اللسانيين في هذا الشأن.

فيرى بعضهم أنه لا يوجد فرق بين النص والخطاب، لذلك يتمّ الدّمج بينهما في الغالب.

و يغلب في التقليد الأوربي استخدام مصطلح النص، على حين يغلب استخدام مصطلح الخطاب في التقليد الأنجلو أمريكي.

ويرى آخرون أن النص غير الخطاب، فهم يعتبرون النص وثيقة مكتوبة و الخطاب مرتبط بالجانب المنطوق من اللغة أي بالتواصل اللساني الشفوي. و يبرهنون على ذلك بأنّ دراسة اللغة نصاً تستلزم دراسة كل الوحدات التبليغيّة المتماسكة من حيث التركيب البنائي لنقل الخطاب، أما الخطاب فهو عملية معقدة من التفاعل اللغوي بين المتحدثين والمستقبلين للنص(22)

و بِالجُمْلَة، و من وجهة نظرهم، فإنّ الخِطابَ، ، على عكس النّص، يقْتَضي مُخاطِباً ومُخاطَباً، ولو على سبيلِ الافْتِراض، وظُروفَ تخاطب، بالإضافَةِ إلى عناصرَ تميّزُه كأن يكونَ ملفوظاً مثلاً. و يشدّدون على أن الخطاب يبقى في علاقة مع ظروف إنتاجه، لذلك فإن التفرقة بين النص و الخطاب ترتكز على قضية السياق. و يلخص جون ميشال آدم (23) ذلك كالآتي:

الخطاب= النص + ظروف الإنتاج
النص= الخطاب - ظروف الإنتاج
و عموما فإنّ التمييز، المستعمل في اللسانيات بين النص و الخطاب، يميل إلى التلاشي. فقد اهتمّت لسانيات النص بالمستوى الدلالي من خلال بحثها في العلاقات المعنوية غير الظاهرة، منطلقة من كون النص وحدة دلالية كبرى يمكن تحليلها بالنظر إلى مكوناتها الصغرى بالإضافة إلى عنايتها بالظروف و الملابسات و السياقات الخارجية. و من ثم تمّ التعامل مع النص بوصفه حدثا اتصاليّا.

و يجعل هذا التحديد "النص ظاهرة تتجاوز ما هو لغوي "،أي أن "تحليل النص لا ينحصر في مقولات اللغة. فعلاقته باللغة هي علاقة إعادة توزيع (تفكيك و إعادة بناء) و هذا يعني أنه ليس وصفا أو سردا لحقائق اللغة فحسب، بل تترك الحرية للمفسرين لكي يقدموا عمليات تفكيك للأبنية اللغوية التي تخلق اوجه العلاقات بين الدوال و المدلولات، ثم إعادة الربط بين الجزئيات القائمة على خبرة المفسر و ثقافته و توجّهه" لذلك يعتبر كل من "فان ديك" و "رقية حسن" بأن "النص ليس وحدة شكل بل وحدة معنى"

و قد كان ل"سوسير" فضل كبير لتوضيح قيمة الوحدة داخل النظام، حيث ذهب إلى أنه وهم كبير أن ننظر إلى بنية لغوية معينة على اعتبار أنها مجرد اتحاد صوت/صورة سمعية/دال مع مفهوم/مدلول، "فمحاولة تحديدها من هذه الوجهة فيه الكثير من الإجحاف لما يترتب عنه من عزل لها عن النظام الذي تنتمي إليه، لانه لا يمكننا بحال من الأحوال الانطلاق من الكلمات للوصول إلى النظام بل على العكس من ذلك يتوجب علينا النظر إلى النظام ككل متكامل، و منه نستطيع الوصول من خلال التحليل إلى العناصر المكونة له" (24)

و عندما نعود إلى شروط قيام النصّ لكي يتحقق كصياغة لغويّة متكاملةٌ، و هي شروط متفق حولها، نجد ان الخطاب يشترك مع النص في أغلب هذه الشروط، و هي:

1) استقلال النّصّ وحدوده الفاصلة

و هي استقلالية المعنى عن اللغة. لذلك فإنّ الصّحّة النّحويّة لكلّ جملة من جمل النّصّ (أو فسادها) لا تقتضي بالضّرورة صلاح النّصّ (أو فساده) من حيثُ هو كلّ

و نذكّر بالمثال الذي قدّمه نصر حامد أبوزيد الذي أوردناه أعلاه:" فلو قال قائل يتجمد الماء في الدرجة°10 كانت مقولته خاطئة علمياً، ولكنها صحيحة لغوياً، لأنه استخدم المفردات المعجمية في مكانها، وتركيبها على القواعد النحوية السليمة"

2) البنية

وجوبُ توفُّر شروطِ البنية، مثل الائتلاف والانسجام والتّرابُط والاتّساق...

3) المقصديّة

L'intentionnalité

حيث يجب أن يخضع النّصّ لقصد المتكلّم ونيّتِه

4) المقبوليّة

L'acceptabilité

وهي وَقفٌ على تعاوُن المُتقبِّل واستعداده. و المقبوليّة تتوقف على وظيفة التواصل و الإفادة و المناسبة، و تعني:

أ) الوظيفة

أن تكون جُمَل النّصّ ذاتَ وظيفةٍ تواصليّة

ب) الإفادة

L'informativité

و هي رهن بعلاقة المتكلّم بالمتقبّل

ج) المناسبة المقامية

La situationalité

أن يكون النّصّ مفيدا في مقام معيّن

5) التّناصّ

L'intertextualité

و يطلق عليه بعض الباحثين مصطلح "الفضاء الإيديولوجي"
و هو ارتباط النصّ بنصوص متقدّمة، إذ نجد في فضاء النص عدّة أقوال مأخوذة من نصوص أخرى (جوليا كريستيفا) فالنص عملية استبدال من نصوص، أي عملية تناص. و نرى انّه يمكن اعتبار السيّاق بصفة عامّة تناص سواء كان زمنيا أو مكانيّا أو فكريّا.

و قد رأينا في الفقرة المتعلّقة بتعريفات الخطاب مجمل هذه الشروط. إنّ التّداخُلُ بين النّصّ والخِطابِ أمر حاصلٌ إذن.

و مهما كان الأمر فإنّ مسألة النص/الخطاب لا تطرح بالنسبة للباحثين في مجال الإعلام و الاتصال، ذلك أنهم يقومون بتحليل خطابات نصية في الصحافة المكتوبة و الإلكترونية، كما يقومون بتحليل خطابات شفاهية في الصحافة المسموعة و المرئية، و التفريق بين النص و الخطاب لا يستقيم أصلا بالنسبة لاختصاصنا في علوم الإعلام و الاتّصال، فتحليل نصّ مقال صحفي من منظور سياقي، لا يمكنه إغفال ظروف الإنتاج و لا حالة المخاطب، كما أنّ الخطابَ الإعلامي الشفاهي في التلفزيون و الإذاعة يشتغلُ في الحقيقة بآلياتٍ نصّيةٍ تضمنُ له الانسجامَ و التّماسُكَ.

فمجمل هذه العناصر هي التي تعطي للخطاب معناه، إذ يتم التركيز في تحليل الخطاب على معنى الخطاب أي على مقصده و مغزاه من خلال تحليل العناصر المنتجة للمعنى فيه.

و مفهوم المعنى في نظريّة الخطاب له خصوصيّة سنقوم بتوضيحها تاليا، و ذلك بالنظر إلى أهميّتها المنهجيّة في عمليّة تحليل الخطاب.

الفصل الثاني: العناصر المنتجة لمعنى الخطاب

يقول ابن منظور في لسان العرب ما معناه، إنّ "المقال هو إحداث قول بتوجيه من الذات" كما يقول بجواز تسمية الاعتقادات والآراء قولا، لأن" الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول" و يضيف بانّ الرأي أو الاعتقاد لا بد له من سياق أو مقام حتى تُعرف جهته ووجاهته (25) توجد إذن سمة الخِطابية ما أن يوجد **توجيه ذاتي وتوجيه سياقي** لمقاطع لغوية.
لذلك فإن العناصر المنتجة للمعنى هي القائل و المتلقّي و السياق.
و قبل الدخول في تفاصيل هذه العناصر و مفهومها يجدر بنا تعريف المعنى، المعنى المتعلّق بالخطاب كمفهوم، حسب التعريفات السابقة للخطاب.

الفقرة الأولى: الخطاب و المعنى

(انظر نصّ: "هل يصنع القرّاء المعنى؟" في الملحق، وثيقة رقم 1)

اهتم الفلاسفة واللغويون والقانونيون بقضية المعنى وحيثياته فتتالت الأطروحات التي حاولت الكشف عنه، و توصّلوا إلى أن مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا

يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين، يستند فيه المتخاطبون إلى الوضع اللغوي، ويتجاوزونه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم الدلالية.
و من هنا نستنتج بأنّ المقصود بمعنى الخطاب ليس معنى ألفاظه اللغويّة، أي مجرّد تفسير معجمي للألفاظ.

La signification des termes.

و إنّما المقصود هو مغزى الكلام أي القصد منه.

Le sens

فالمعنى اللفظي هو أي شيء يرغب المرء في التعبير عنه بواسطة تتابع معين للعلامات اللسانية، أما المقصد أو المغزى فهو أكبر من المعنى اللفظي، بل إنّه أكبر من قصد المتكلّم
فهو مرتبط بسياق أكبر، لذلك لا نتحدّث في تحليل الخطاب عن قصد المتكلّم بل عن معنى الخطاب ككل.
و لذلك لا تتعلّق مسألة المعنى بمجرّد التفسير، بل بعمليّة أكثر تعقيدا و هي التأويل. و يرى الفيلسوف الألماني شليرماخر: "أنّ كلّ مقوّمات التأويليّة تعود إلى مسألة الفهم. و بذلك فإنّ السؤال "كيف نفهم ؟ " يمرّ بالضرورة بسؤال آخر هو "كيف نؤوّل ؟ " (26)

و يضبط "شليرماخر" نوعين من التأويل: "التأويل النحوي" للغة، و هو ذو منحى "موضوعي" لا دخل للذات فيه، و التأويل "التقني" و هو ذو منحى "ذاتي" (شليرماخر:ص 48) و على هذا الأساس يتمثّل التأويل حسب "شلايرماخر" في أن نكون قادرين على الخروج من طريقتنا الخاصة في التفكير من اجل الدخول في طريقة الكاتب" (شليرماخر:ص 49) لأنّ ما يقوله المؤلّف ليس "دلالة" الألفاظ فقط

La signfication

بل "المعنى"

Le sens

الذي يأخذه اللفظ في "مجاله" داخل "اللغة الخاصّة و اللغة الأجنبيّة" (شليرماخر:ص 50)
و يعتبر أن المؤوّل هو الذي ينجح في فهم ثلاث مستويات:
أ- ما هو مشترك بين الكاتب و القارئ (اللغة)
ب- ما هو خاص بالكاتب من خلال إعادة بنائه
ج- ما هو خاص بالقارئ، الذي يهتم الكاتب به بوصفه شيئا جزئيا او خاريجيا. (شليرماخر: ص 51)

و ينبّه شليرماخر إلى معطى منهجي أساسي قائلا: "إن التأويليّة، من حيث هي فنّ الفهم، لا توجد في صورة عامة، و لكن توجد عدّة تأويلات خاصّة" (شليرماخر: ص99)
و لذلك فهو يرى أنّ "الفهم مهمّة لا متناهية" (شليرماخر:، ص48 .)
"Comprendre est une tache infinie"

و بالنسبة للمعنى اللفظي و معنى الخطاب يمكننا الإشارة إلى "بارت" الذي يرى أن الكلمات تتميز بالغموض بشكل عام. و بما أنه لا توجد كلمة تعني شيئاً محدداً، فكلمة خروف مثلا يمكن أن تحيل إلى معنى "الحيوان" أو إلى معنى الغذاء، بحيث أن التمييز بين الدلالتين يرجع إلى السياق (27)

و في قولنا: "المطر يهطل"، لا يفهم منه وضعياً سوى أن الماء ينزل من السماء، ولكن يفهم منه تخاطبياً معاني عدة، فقد يكون القصد، التنبيه إلى حمل المظلة في مقام ما، وقد يكون القصد طلب

البقاء في المنزل، وقد يكون القصد ضرورة إغلاق النوافذ لئلا يتسرب الماء منها، وكل ذلك ممكن حسب القرينة، ومن الملاحظ أن كل مفهوم هنا يلغي الآخر.

و نضيف بأنّ بعض الكلمات لا تعني أحيانا شيئاً محدداً حتى من خلال السياق، بل تتطلب تأويلا. و نضرب مثالا لذلك بكلمة "الكلالة" الواردة في القرآن بخصوص الميراث (النساء:12) حيث لم يتبين معناها حتى من خلال السياق.

و في هذه الحالة فإنّ فهم معنى الخطاب يتطلب تخميناً أي تأويلا لقصده، و ليس مجرّد العودة إلى السياق اللفظي. غير أنّه ليس من اليسير الوصول إلى اتفاق حول المعنى الذي قصده المؤلف، فالتأويلات المتعدّدة و المتناقضة لكبرى النصوص التاريخية شاهدة على هذه الصّعوبة. و بما أنه من المتعذر إزالة الغموض عن الكلمات أو الألفاظ، إلا من خلال فعل القراءة، أي التأويل، فإن "المعنى" ليس متأصلاً في الكلمات والألفاظ ولكنه استنتاج مبني على الاحتمالات. ما يعني أن عمليات الفهم تبقى مسألة احتمالات وليست مسألة يقين.

إذن نحن نتحدّث عن المعنى التخاطبي و هو المفهوم الذي يستفاد من تركيب ما بالرجوع إلى أصول التخاطب، وليس بالرجوع إلى المعاني الوضعية للألفاظ أو المعاني المنطقية، أي يستفاد بفهم اللغة في حيز الاستعمال لا الوضع.
يرتبط تحديد المعنى إذن بالعملية التخاطبية كلها، من لغة وأسلوب وسياق...الخ و يهدف تحليل الخطاب إلى الكشف عن معنى الكلام بهذا المفهوم.
و لفهم أعمق يجدر بنا التوقف عند طريقة تشكّل المعنى و هو ما سنراه من خلال تقديم العناصر المنتجة للمعنى و طريقة عملها خطابيّا.

الفقرة الثانية: القائل/ المخاطِب/المتكلم/الباث/المرسل، **ومقاصده التخاطبية**

L'énonciateur, l'émetteur et l'intentialité

الخطاب هو الحامل اللغوي لمقاصد المتكلم موجهاً إلى المتلقي. و نقصد بالمتكلم انتماؤه الفكري و المعرفي و سيرته الذاتية بصفة عامّة. لذلك يقول الفيلسوف شليرماخر: " يجب أن نعرف الإنسان حتى نفهم الخطاب. فالخطاب عرض لفهم، و لكي نفهمه علينا أن نعمل على مستويين: مستوى الفهم داخل اللغة و مستوى الفهم ضمن من يتكلم. و ليس التأويل فنّا إلا بسبب هذا الفهم المزدوج" و يستنتج بأنّ "التأويل هو القدرة على الخروج من طريقتنا الخاصة في التفكير من أجل الدخول في طريقة المتكلم" (شليرماخر :ص63)
فالتأويل لا يعمل على معنى خارج تماما على إرادة المتكلّم. و يأكّد شليرماخر أن:"المؤلّف هو بالأساس خلاق معنى لأنّه خلاق لغة و إن الكاتب هو معا و دون فصل ابن لغته و عصره و لكن أيضا ابن فنّه." (شلايرماخر :ص63)

فاستخدام الإنسان لأي لفظة من ألفاظ اللغة لا يقوم على اختيار اعتباطي، وإنما هو يحمل بين طياته الخفية موقفا محددا من الحدث الذي يقع التداول في شأنه أو من الظاهرة التي يرام وصفها والتحدث فيها.

ففاعل الخطاب يستعين بالرموز اللغويّة و القوانين التي تفسّر تسلسلها في بناء الجمل، و طبقا لذلك فإنه يقوم باختيار الرموز اللغويّة التي ينبغي أن تتوافق مع:
- موضوع خطابه

-إلمام المتلّقين بها
- أكثرها تأثيرا
و بالإستعانة بالاسلوب الملائم، يقوم بنشر هذه الرّموز بطريقة تحقّق أكبر قدر من الفهم و الإقناع عند المتلّقي.
و عند ترتيب الكلمات في وحدات كهذه فإنها تعطي قدرا معيّنا من التأكيد مما يؤثر على معانيها و يتم ذلك سواء على طريق الشكل الذي رتبت به الكلمات أو عن طريق النبرة المستخدمة، و يعتمد التأثير إلى درجة ما على نوع العلاقة بين المتكلم و المتلقي و الموقف الذي يجري فيه الاتصال.

ومن هنا نستنتج بأن الكلام يحمّل صاحبه مسؤولية محددة حين يفوه به، حتى ولو ظن أنه مجرد واصف أو ناقل، كما هو الحال بالنسبة للإعلامي (28) فهامش الموضوعية في استعمال الإنسان للغة هامش محدود جدا ويكاد ينعدم أحيانا، فكون الخطاب يولد في سياق تخاطبي وبلغة مشتركة، فهو يقوم على افتراضات مسبقة، ومتضمنات للقول صريحة وضمنية، كما رأينا في الفصل السابق.

العملية التخاطبية تبدأ إذن بالمخاطب، وبقدر ما يكون ناجحاً في إرسال الخطاب ومبيناً لمقاصده يتم فهم مقاصده ومعرفة معاني خطابه.
و من الضروري التنبيه إلى أنه عندما نتحدث عن نجاح العملية التخاطبية وفق شروط معينة، لا نعني النجاح الرياضي الدقيق، ولكنه نجاح نسبي في مقام ما، فقد نفقد المعنى ولا نصل إليه في مقام آخر رغم تحقق الشروط، فاللغة ليست معادلات رياضية منضبطة، و المتخاطبون يغيرون في الدلالة اللغوية بقدر ما تتفاوت مقاصدهم وأغراضهم الإنسانية.

الفقرة الثالثة: المتلقي/ المخاطَب/الجمهور **كشريك في إنتاج المعنى**

Récepteur, interlocuteur, co-énonciateur

يعد المتلقي آخر المحطات التخاطبية، وهو النصف الثاني لمعادلة النجاح التخاطبية مع المرسل، ويتوقف نجاح العملية التخاطبية على فهمه لمقصد المتكلم.

و لا تتحقق العملية الإتصالية إلا في ظل تواصل حقيقي بين باث ومتلق. و لا يقصد بالحقيقي التواصل العيني، لكن أن يكون المتلقي من ضمن اعتبارات المتكلّم. فالقائل يتخيل أو يتمثل دائما المقول له، بل إن التواصل لا يتحقق إلا على أساس هذه التمثلات المتبادلة بين الذوات القائلة(بوصفها قائلة أو مقولا لها) يقول الروائي الروسي "تولستوي" في هذا الصدد: " أنا اعرف من تجربتي في الكتابة أن تواتر النص الذي أكتبه ونوعيته يتوقفان على التصور القبلي للقارئ الذي اكتب له"

إن كل تواصل يقتضي إذن تعرفا واعترافا متبادلا لقدرات الذوات القائلة.
و قد صاغ غرايس **"مبدأ التعاون"** الذي يقتضي أن "المتكلمين يتعاونون في تسهيل عملية التخاطب" وهو يرى أن "مبادئ المحادثة المتفرّعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية" (29)
و يعطي السيميائي الفرنسي "رولان بارت" مكانة جوهرية للقارئ فيقول:" إن النص مفتوح، ينتجه القاريء في عملية مشاركة لا مجرد استهلاك (....) فممارسة القراءة إسهام في التأليف" و يأكّد على ان "عملية التفسير لا تقل أهمية عن دور المنتج"

بل يذهب"رولان بارت" (30) إلى أبعد من ذلك حين يعتبر أن المتلقي هو الخالق الوحيد للمعنى حتى أنه أعلن عن **"موت المؤلف"** في مقال بعنوان "مات المؤلّف"

« L'auteur est mort »

نشره سنة 1968 . و يقول فيه بأن "ولادة القارئ تؤدّي إلى موت المؤلف"

« La naissance du lecteur doit se payer de la mort de l'auteur ».

أيّ أنّ المتكلم، و إن كان مسؤلا على قوله، كما ذكرنا، إلا أنّه ليس الضامن الوحيد لمعنى قوله. و هو ما عبّر عنه الشاعر "بول فاليري" بقوله: " إن تأويل الكاتب لمؤلّفه، بعد صدوره، ليست له قيمة أكبر من تأويلات غيره"

"Quand l'ouvrage a paru, son interprétation par l'auteur n'a pas plus de valeur que toute autre par qui que ce soit. Si j'ai fait le portrait de Pierre, et si quelqu'un trouve que mon ouvrage ressemble à Jacques plus qu'à Pierre, je ne puis rien lui opposer, et son affirmation vaut la mienne. Mon intention n'est que mon intention, et l'œuvre est l'œuvre " In: Paul Valéry dans "Tel quel"

و هو ما أكدّه كذلك الشاعر الفلسطيني الرّاحل محمود درويش، في قصيدة "اغتيال" قائلا: "يغتالني النقاد أحياناً"، حين فسّر بعض النّقاد قصائده بما لا يروق له.

و يوضّح "شلايرماخر" أن المطلوب هو :" فهم الخطاب اولا كما فهمه مؤلّفه، ثمّ أفضل منه"

Herméneutique p 114

و ذلك يعني ان "نخرج إلى حيّز الوعي أشياء عدّة يمكن أن تكون قد بقيت بالنسبة إلى الكاتب غير واعية"

Ibidem

و يصبح التأويل بهذا المعنى أهمّ من الخلق، فهو الذي يروّج و يتغيّر عبر الزمن.

و نضرب مثالا على ذلك باختلاف التأويلات أو القراءات للنص الديني حسب الأزمنة و الأمكنة، و هو ما يفسر تعدد المذاهب و أحيانا تناقضها رغم أن القائل واحد، بل أن الفقه، و هو تأويل، يعلو أحيانا في التطبيق و الاعتقاد على النصّ الأصلي، رغم مخالفة البعض منه للنص الأصلي صراحة أو روحا(31)

Dans le texte ou dans l'esprit

و يظهر من كلّ ما سبق بأنّ المتلقي هو أكثر من مجرد متلقّي، إنّه فاعل و شريك في صنع معنى الخطاب و تحديده.

Un co-énonciateur un co-interlocuteur, un co-émetteur

يصنع المتلقي المعنى إذن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال العاملين التالين:

1) عند صياغة قوله يأخذ المتكلم الأفق الفكري للمتلقي بالاعتبار، فيتم بذلك إشراك المتلقي في تحديد المعنى.

2) يتدخل المتلقي بطريقة مباشرة في تحديد المعنى عبر عملية التأويل التي تتكرر مع كل متلقي و في أزمنة و أمكنة مختلفة، و تتجاوز بذلك زمن القول و مكانه. لذلك يقال أن النص لا يتوقف على توليد المعنى أو عن التّمعنى. فالمعنى بهذا المفهوم ليس سابقا على التأويل و إنما هو نتيجة للتأويل.

1) التّأويل

نذكّر بأن الفيلسوف "شلايرماخر" يرى بان "الفهم مهمّة لا متناهية" و أنّه : " من الصّعب جدّا أن نثبت وجود تأويليّة عامّة" باعتبار أنّ " التأويليّة، من حيث هي فنّ الفهم، لا توجد بعد في صورة عامة، و لكن يوجد عدّة تأويلات خاصّة"

Herméneutique p 99

و يعرّف محمد عابد الجابري الخطاب بأنه مجموعة من النصوص لها جانبان ما يقدمه المرسل و هو الخطاب، و ما يصل المتلقي و هو التأويل. و يتضح الفرق بين ما يقدمه المرسل وما يفهمه المتلقي بمقدار الاختلاف في القصديّة. فالخطاب محكوم بمستوى الافتراض الذي يقوم به الكاتب للقارئ النموذجي، غير أن القارئ لا يستمد بالضرورة مرجعيته اللغوية من معجم الكاتب (32) و في كثير من الحالات يلعب المتلقي دورا أساسيا يمكن أن يطغى على خطاب المتكلم. فتأويلات "المتلقي" لحادث 11 سبتمبر تجاوزت بل و تناقضت أحيانا مع تصريحات الفاعلين أنفسهم.
فرغم اعتراف "منظمة القاعدة" بقيامها بالتفجيرات فإن العديد من الكتاب و جزء هام من الرأي العام في الغرب و في المنطقة العربية، ما زالوا ينفون الأمر و يقدمون حججا على أن وكالة الإستخبارات الأمريكية أو الموساد أو "عصابة البيت الأبيض" هم من خططوا و نفذوا التفجيرات. و هكذا لم يتمكن الفاعل الأساسي من التحكم في الرسالة التي أراد توجيهها من خلال العملية(33)
غير أن هذا لا يعني الحرية المطلقة للباحث في التأويل، فالباحث مطالب بالالتزام بالقواعد العلميّة في التفسير و التاويل، و لا يقبل منه تأويلا على طريقة المتلّقي العادي.

الخطاب هو إذن حوار مستمر بين المرسل و المتلقي مما يجعل منه عملية اتصالية بالأساس

Le discours est une opération de communication par excellence

و قد عبّر كل من "أرمون ماتلار" و "ميشال ماتلار" بدقة عن مفهوم الاتصال بهذا المعنى في مؤلفيهما "تاريخ نظريات الاتصال" (34)

حيث يعرضان و يفسّران أطروحات المدارس الإتصاليّة الأساسية (35)

Chicago, Birmingham, Palo Alto

و أهم المؤلفين في هذا المجال، و هم

Lasswell, Shannon, Barthes, McLuhan, Habermas, Baudrillard, Virilio.

و على إثر أبحاث "لازرفيلد"

Lazarsfeld

لم يعد الباحثون يركزون فقط على تأثير وسائل الإعلام في المتلقي بل و أيضا على تأثير المتلقي في وسائل الإعلام (36)

و منذ الثمانينات، و بفضل المقاربة الثقافية للمدرسة الأمريكية، تم الاعتراف بمكانة المتلقي و بدوره في العملية الاتصالية، حيث لم يعد الباحثون يركزون فقط على هيمنة وسائل الاتصال و إنما أصبحوا يأخذون بالاعتبار دور المتلقي في العملية الاتصالية، بحيث أضيف إلى سؤال: "ماذا يفعل التلفزيون بالمتلقي ؟ " تساؤل جديد مفاده:"ماذا يفعل المتلقي بالتلفزيون؟ " و لم تعد عملية الاتصال تعالج من زاوية هيمنة المتكلم المنمّطة في سؤالات "لاسوال" السّتّة الشهيرة: من ؟ ماذا ؟ أين ؟ متى ؟ كيف ؟ لماذا ؟ بل بمقاربة وسائطيّة (الميديولوجيا) و تفاعلية.

Médiation ou médiologie et interaction

2) الميديولوجيا

و تعني الوسائطية أو الميديولوجيا "خطاب وسائل الاتصال" (37)

و يعتبر درس روجيس دوبري "دروس في الميديولوجيا العامة" (38) النص المؤسس لهذه المقاربة، و المديولوجيا هي تقنية تحليل و ليست مجالا جديدا في المعرفة، و هي تسمح بالوقوف على الروابط بين الظواهر السّلوكية و الخطابية الجديدة (دينية، فنية، لغوية، سياسية...) و نظام اتصالي محدد من جهة (ظاهرة تدين الشباب و الفضائيات، ظاهرة اللغة المختصرة للرسائل الهاتفية القصيرة، ظاهرة تغير عادات الأكل و اللباس و سهولة السفر بفضل وسائل النقل الحديثة...) و تأثير الثقافة المحلية في وسائط الاتصال الكونية الجديدة من جهة أخرى، عن طريق استيعابها أو تغييرها (توظيف الشبكة العنكبوتية في خطاب الشعوذة و السحر مثلا أو الحركات السياسية المتشدّدة)

وتسمح الميديولوجيا بفهم المفارقات الثقافية الناتجة عن عملية التفاعل بين الثقافة و تكنولوجيات الاتصال الحديثة.
و من هنا يظهر أن النص أو القول شيء، و فهم النص أو فهم القول شيء آخر.

الفقرة الرابعة: السياق التخاطبي

ترتبط العملية الاتصالية بإطار محدّد، و لا يمكن أن تكون مستقلة عما حصل قديما او ما يحصل حولها، فهي على الأقل محددة في الزمان و في المكان، "الآن و هنا"، و هو ما يسمّى بالسيّاق. و السياق حسب "شلارماخر" هو:" المعجم الذي كتب فيه المؤلّف، و هو وحده الذي يساعدنا على الحسم في الفرق بين "دلالة" لفظ ما و "المعنى" الذي يأخذه ضمن الجنس الأدبي الذي أنتجه"

Herméneutique p 119
و تؤثّر مختلف العناصر المكوّنة للسياق في العملية الاتصالية، أي في الخطاب، إذ يحصل تداخلا أو تشويشا

Un parasitage
يحدث تغييرا في العملية. و يظهر التغيير على مستوى الأسلوب و المعنى. فملفوظات الخطاب لا تنفصل عمّا يسمّى بسياقات التلقي و من هنا جاءت ضرورة "تسييق القول" أي قراءته أو تحليله في ضوء الظروف المصاحبة لإنتاجه.

Les circonstances de production du discours

و للسياق أنماط مختلفة، لذلك نتحدّث عن أسيقة او سياقات. فهو يشمل السياق الإحالي (عالم الموضوعات، حالات الأشياء والأحداث) و السياق النفسي، والسياق الفعلي، والسياق المقامي، والعقد بين المتخاطبين،

Le contrat de communication

والعرف الاجتماعي، كأنساق الاعتقادات والقناعات والافتراضات، و أنساق الإيديولوجيا؛ فهذه الأنساق المعرفية، التي هي في الغالب قوالب جاهزة، تتعلق بأطوار عُرفية في ثقافة ما.

و أخيرا فإن العلاقة بين الخطاب و سياقه هي علاقة جدلية و ليست مجرّد علاقة تبعية بين السياق المُولِّد، والخطاب المولَّد، ذلك أنّ الخطابات تخلق بدورها أسيقة، وهذا معناه أنها فاعلة و ليست منفعلة بشكل صرف إزاء الأسيقة.

فالخطاب قادر على تغيير السياق نفسه؛ فقد ذكَّرنا "أوستين"، كما سنرى بعد قليل بأن"القول فعل"، وهذا معناه، أن الخطاب هو محرّك حياةِ الجماعةِ القائلةِ والوقائعِ النفسية الاجتماعيةِ التي تترتب عنها (39)

السياق إذن أنواع، لذلك سنفصّل في القول في أنماطه التي تهم تخصّصنا.

1) السياق اللغوي

رغم أن التداوليين في فلسفة اللغة أو في اللسانيات ، يرون بأن السياق لا يوجد في النص، و قد رأينا في الفقرة المتعلّقة بالخطاب و اللغة كيف أنّه يبقى فعلا خارجاً عن الدلالة اللغوية. إلا أنّه يكون من الضروري أحيانا تسييق المقطع اللغوي في تحليل الخطاب (40)
و كمثال على التسييق اللغوي، نشير إلى أنّه بالرّغم من حرص المتكلم على وضوح عبارته، إلا أنه يعترض طريق المقصد أمور خارجة عن إرادته، تتعلق باللغة، منها على سبيل المثال:
الترادف. و يعدّ الترادف من المشكلات التي تواجه المعنى، فليس من اليسير انتقاء اللفظ الذي يعبّر بدقّة عن المطلوب دون التعبير بمرادفه الذي يحمل مفارقة له، وإن كانت قليلة ولكنها مؤثرة. و قد تقع عند المتلقي غير الموقع الذي أراده المرسل، لذا فإن مستخدمي اللغة يتجنبون استعمال ألفاظ معينة في بعض المواقف التخاطبية لما تجلبه من إيحاءات مستهجنة قد تكون مرتبطة بالمعاني الأخرى التي تدل عليها الكلمة أو العبارة.
ومن المشاكل التي تعترض طريق المعنى مشكلة المشترك. وهو وجود أكثر من معنى للفظ واحد و تكون هذه المعاني متكافئة في علاقتها باللفظ، كلفظ العين الذي يدل على الشمس والعين و الماء والجاسوس، فكيف سيفهم المتلقي المقصود من الخطاب عندئذٍ ؟ هنا وللحد من أثر هذه المشاكل التي تعترض المعنى نلجأ إلى النص المرافق أو القول المرافق للمفهوم المراد فهمه أو تحليله، أي إلى حقله الدلالي.

Le cotexte

و سنرى ذلك في تقنية تحليل حقول الدلالة (41)

La technique d'analyse des champs sémantiques

2) السياق الزّمني للقول

الزّمن وسيط شأنه شأن اللغة و المتكلم و المتلقي، بمعنى أنه عنصر يتحكّم في صياغة مضمون الخطاب و يؤثّر في انتاج معناه. فمعنى مقال ما في صحيفة يرتبط بالأحداث التي أنتجته، أي بزمن القول.

و يقول شليرماخر أنّه هناك نوع من "الكلّ" التاريخي الذي ينبغي أن نفهم داخله أثرا جزئيّا ما. "فالزمن هو المعجم الذي كتب فيه المؤلف، و هو وحده الذي يساعدنا في الحسم في الفرق بين دلالة لفظ ما و معناه"

Herméneutique p 119

و يرى "شليرماخر" :" أن لغة كل كاتب محدّدة سالفا مرّتين: على نحو إيتيمولوجي و على نحو تاريخي، فالمؤلّف يكتب لغته و عصره معا "

Herméneutique, p 53

لذلك يأخذ الفقهاء مثلا بأسباب النزول كعنصر مساعد في تفسير النصّ القرآني. و هي أسباب تاريخيّة مرتبطة بزمن القول.

فكلمة العبودية كانت تحيل في التشريع القديم إلى وضع اجتماعي و اقتصادي معيّن أما في المعجم القانوني الحديث فهي تشير إلى الجريمة.

يتحكم السياق الزمني إذن في اللغة من خلال تغيير المصطلحات في مقاربة موضوع محدّد، فمثلا في السبعينات و حتى التسعينات كانت تتم مقاربة الصراع في الشرق الأوسط "بكلمة العدو الصهيوني" و ليس "دولة إسرائيل". فالسياق كان مختلفا بحكم وجود نظام عالمي مختلف يتكون من قطبين و يوفّر توازنا في القوى و التعامل بشيء من الندية التي تسمح بالتعبير عن المواقف لغويا من منطلق القوي و بالتالي الإفصاح عن المواقف و عدم الرضوخ للغة القوة المعادية.

قارن كذلك بين زمن فعل قول الرئيس بوش خلال حملته الانتخابية سنة 2000 حيث لم يكن هناك تهديد يبرّر التّدخل الأمريكي. فقد أكّد المرشّح بوش آنذاك على ضرورة وقف التدخل الامريكي. لكن الرّئيس بوش غيّر مضمون خطابه بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث أصبح يؤكّد على شرعيّة التدّخل لحماية الأمن القومي.

3) المكان أو السياق المقامي

Le lieu

المقام هو الظرف المادي المباشر الذي يتنزل فيه الخطاب مثل المكان أو إطار مجتمعي أو سوسيولوجي ما،(مستشفى، فصل دراسي، محكمة) أو إعلامي مثل صحيفة، تلفزيون، انترنات حيث يتم التأثير من خلال الإخراج، أو إطار سياسي (خطاب في سياق انتخابي، خطاب في سياق حرب، اجتماع شعبي عام، اجتماع حزبي ضيق، برلمان، مجلس الأمن، قمة عربية أو عالمية...) أو بظروف الحياة اليومية (مطعم، محادثة غير رسمية...) التي تحدد العادات الفكرية وتوزيع الأدوار التي يؤديها المشاركون في التخاطب. و نشير هنا بأن المراتب الاجتماعية، وسلطة القائل بالدرجة الأولى لهما أهمية بالغة في التوجيه السياقي، إذا ما أريد فهم معنى مقطع خطابي ما، ففي

هذا الميدان تتوقف الاختيارات الأسلوبية، والإجراءات البلاغية على نوعية القيود السياقية (خطاب مهذب، رسمي، أو غير رسمي)

و يدخل ضمن المقام مفهوم **العقد بين المتخاطبين** وهو مفهوم هام جداً في تحديد المقصود من الخطاب، فمثلاً كلمة الصلاة إن استخدمت في الأوساط الشرعية فالمقصود منها العبادة المعروفة، وإن استخدمت في الأوساط اللغوية كان المقصود منها معناها اللغوي وهو الدعاء، فقضية العقد بين المتخاطبين تلعب دوراً بارزاً في بيان المعنى.
فهو إذن سياق **سوسيوثقافي**، بوصفه مجموع المحددات المجتمعية والسوسيولوجية.
و يؤثر هذا الوسيط كثيرا في المخاطب و بالتالي في خطابه. لذلك نقول " لكل مقام مقال" فهناك فرق بين خطاب موجه للاستهلاك الداخلي و آخر للاستهلاك الخارجي رغم أن المتكلم هو نفسه. مثال خطاب ياسر عرفات في المخيمات يختلف عن خطاباته في البيت الأبيض أو في الأمم المتحدة، فالأول ثوري و الثاني دبلوماسي. و قد استنتج "ولفوفيتش" و هو أحد صقور البيت الأبيض في عهد بوش الابن، بأن عرفات "إرهابي" لأن خطابه مزدوج. و قد استخلص ذلك بعد قيامه بدراسة مقارنة لخطاب عرفات الموجّه للاستهلاك الداخلي و خطابه الموجه للاستهلاك الخارجي في الزمن ذاته.
إذن يجب البحث في المقام و تأثيره كوسيط.

4) النسق المعرفي/ الفكري

Le système cognitif/de pensée

لا يمكن فهم الخطاب بالاقتصار على مقامه الآني الزّمني و المكاني، لأن الخطاب يندرج أيضا في نسق معرفي فكري أو إديولوجي. فالمجالات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية تشكل نظاما يندرج ضمنه القول و لا يستطيع المتكلم تجاهله. ولا يعطي الخطاب معناه إلا من خلال النسق المعرفي الذي يندرج فيه.

و تحدد نظرية المعرفة(42)

épistémologieLa théorie de la connaissance ou l’

طريقة فهم الإنسان للظواهر الطبيعية و الاجتماعية، من خلال تحديد ماهيّة المصادر الأساسية للمعرفة و وظيفتها. و من أهمّ هذه المصادر، العقل و الطبيعة و المعتقد الدّيني. و تختلف الأفكار باختلاف طرق ترتيب مصادر المعرفة. فمعرفة ظاهرة ما يمكن أن تتحقق من زوايا مختلفة و تقّدم بطرق مختلفة حسب المخزون المعرفي لكل فرد. لذلك تقول الفلسفة أنه لا توجد معرفة مسبقة لدى الفرد و إن كل معرفة تمر بوسيط.

Toute connaissance est médiatisée

بحيث أن ماهية الشيء أو الظاهرة لا تتحدد فقط بعناصرها الخاصة بل تتحدد إلى حد كبير بتصور الفرد. و يمكن القول بالتالي أن كل حقيقة تظل جزئية و أن كل معرفة تبقى ذاتية، لأن

الوسائط تتعدّد و تختلف و تتناقض، و لأن كل فرد عارف محدد بتجربة اجتماعية تكيف معرفته و معتقداته و بالتالي سلوكه و مواقفه و أقواله.

و تعتبر الإديولوجيا أداة من أدوات المعرفة و لمعرفة ذاتية و نسبية تحديدا. و هو ما يجعل الإنسان المؤدلج يرى الأشياء طبقا لما يعتقد أنه حق و واجب التطبيق حتى بالقوة و يعتبر خلاف ذلك خطأ مطلقا يستوجب العقاب.

يقول عبد السلام المسدي : "المعرفة معادلة كمعادلة أهل الرياضيات: الأعداد المعاليم فيها هي ما وقف عنده علمنا، و الرموز المجاهيل فيها هي ما نسعى إلى استدراكه (...) و في خانة المعلوم نصادف المنصوص عليه(...) و الذي فرغ الناس من تفصيل القول فيه، كما نصادف السائد، و المعترف به، و الّذي كرسه الاستخدام و تواطأ الجمهور على التسليم به. ثم نجد أشياء قد صادر الناس عليها مصادرة فلا هم يبحثون لها عن برهان و لا هم يقبلون في أمرها سؤالا يهزّ ثوابت اليقين لديهم لأنهم اطمأنوا أنها في مدارج المألوف" (43)

و يشـــير فوكـو إلـى أن الإيـديولوجيا تعتمـد فـي أساسـها علـى ضـرورة التفريـق بـين المقـولات الحقيقية عن العالم ، وهذا ما نطلق عليـه " العلـم " وبين المقولات الزائفـة (المشوشـة) ، وهذا مـا نعنيه بالإيديولوجيا (44)

و يرى فان ديك أن الأيديولوجيات هي النظم الأساسية التي يتم من خلالها إدراك وتنظيم المواقف الاجتماعية، وهي تسيطر بشكل غير مباشر على تشكيل سياق الخطاب، ومن التحليل الدلالي لهياكل الخطاب نرصد الأيديولوجيات(45)

إن الكلمات ومعانيها ودلالاتها داخل اللغة الواحدة تتغير من خطاب إلى خطاب آخر. ومن أهم أساسيات الخطاب هو أن المعاني تتولد من مبدأ الاختلاف القائم في المجتمع.

و لنأخذ مثالاً من الصّراع في الشرق الأوسط لتوضيح تداخل اللغة مع الحقائق الاجتماعية التي تعبر عنها ، فالفلسطينيون الذين يقاتلون من أجل استرداد أرضهم يمكن وصفهم ب"الإرهابيين" كما يمكن نعتهم ب "المقاومين" أو "المجاهدين" و ذلك حسب إديولوجية او معتقد المتكلّم. إن الواقع يشير إلى أنهم يقاتلون، أي أنهم يقومون بأفعال تتضمن عمليات قتل، ولكن ماذا يعني هذا القتال؟ أو كيف نصف هذا النوع من القتال ؟ إنّ الحقيقة نفسها أو الواقع لا يمكن أن يكفي هنا لتبرير اختيار لفظ محدّد من بين الألفاظ المذكورة. فاستعمال اللغة لوصف هذه الحقائق يسمح بتلوين هذه الحقائق. إن بعض الأوصاف، حتى ولو أنها تبدو غير حقيقية، يمكن أن تظهر على أنها حقائق، لمجرّد أن الناس يعتقدون فيها ، ويؤمنون على أنها تمثل لهم حقائق غير مشكوك فيها. فبغض النظر عن كون الفلسطينيين (أو غيرهم من الشعوب المكافحة) إرهابيين أم لا، فإذا كان المتكلّم يعتقد ذلك ويتصرف من منطلق هذه المعرفة، فإنهم سيصبحون إرهابيين، لأنه يتعامل معهم من خلال هذا التصور(46)

و لنأخذ أمثلة قديمة من واقع أدبيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر التي تؤكّد هذه الفكرة. فعندما كانت الكنيسة الإنجليزية تخوض خصومات مع الكنائس الأخرى، أو مع منظمات

معارضة لها، كانت الكلمات التي تستعملها كل فئة من هذه الفئات المتخاصمة، و على الرغم من كونها كلمات واحدة، ذات مدلولات مختلفة. وعلى سبيل المثال، فإن كلمة الخلاص والإنقاذ salvation لها معنيان مختلفان عند الكنيسة الإنجليزية وعند خصومها. فالكنيسة ترى بأن "الخلاص" يكون عن طريق اكتساب الحياة الأبدية (الأخروية) بوساطة الإيمان بالمسيح عيسى بن مريم، على حين أن الكلمة نفسها عند جماعات أخرى تعني الوصول إلى الحرية و التحرّر من الأحكام الاستبدادية. و نجد نفس المفهوم تقريبا عند الإسلاميين الذين يروّجون لمفهوم الحريّة و التحرر بمعنى الخضوع إلى أوامر الله و نواهيه بالتحرّر من الشهوات، فإذا تعارض الخضوع إلى أوامر الله مع حريّة الفرد بالمعنى الحديث للكلمة فإنّ واجب التحرّر من الشهوات يلغي الحقّ في الحريّة الفرديّة (47)

و تقوم المؤسسات الاجتماعية بإنتاج عدد من أساليب التفكير و طرق التعبير عنها في كلّ مجالات الحياة الإجتماعيّة، تكون ذات ارتباط بطبيعة هذه المؤسسات ومكانتها. و يتمثل هذا الإنتاج في عدد من العبارات والمصطلحات والتصريحات التي تقوم بتعريف المقبول وغير المقبول أو الممكن والمستحيل اجتماعياً ووصفه وتحديده، على مستوى ماذا يجب أن يقال، وكيف يمكن أن يقال. و لهذا فإن موضوعات مثل الجنس والسلطة والعلم والأسرة لها خطاباتها الخاصة، التي تكون قد نشأت من قربها أو بعدها من مؤسسة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو جاءت كردة فعل عليها .

و يعدّ "فوكو" أحد الرواد الذين نظّروا في هذا الاتجاه. فهو يؤكّد مثلا أن مفهوم حرية الفرد ليس له أي معنى في إطار شبكات القوة، ونفوذها الشامل على الأفراد. ويرى فوكو(48)

"أن القوة هي التي تجعل من الأشياء حقائق معاشة. ويوضّح بإن كل مجتمع لديه نظام من الحقائق وسياسات عامة عن هذه الحقائق، وهي ما نسميه ونحدده بنوع الخطاب السائد في المجتمع" و هكذا ربط الخطاب بموضوع القوة.

وقد طرح فوكو بخصوص مفهوم القوّة أسئلة ذات صبغة كيفية، فهو يرى أنّ السؤال حول كيفية ممارسة القوّة، أي الإستراتيجيات والآليات وشبكات القوة، أولى و أهمّ من سؤال :" من يمارس القوة"؟ و يعتبر فوكو أن معرفتنا بقضية أو موضوع أو حالة اجتماعية معينة تأتي نتيجة تنافس عدد من الخطابات التي ترتبط بالقوى الاجتماعية و الجماعات المسيطرة، و أنّ نتيجة هذا الصراع هي التي تحسم مسألة حقيقة ومصداقية هذه المقولات.

و هكذا، حسب فوكو، فإنّ القيم الاجتماعية التي نحملها و التي تترك أثرها وفعلها على معرفتنا ومفاهيمنا عن العالم و معظم مقولاتنا، تقع تحت نفوذ الإيديولوجيا. و يستنتج فوكو على هذا الأساس بأن الخطاب أليّة من أليّات ممارسة القوّة.

لذلك يرى عدد من الباحثين بأن طغيان النقل على العقل في تفسير النص الديني لدى المسلمين و الذي يقدّم كحقيقة مقدّسة هو نتيجة لحسم المعركة قديما بين جماعة المقاربة العقليّة و جماعة المقاربة النقلية او الظاهريّة لصالح الجماعة الأخيرة.

و هكذا وظّف فوكو مفهوم الخطاب كقوّة، للإجابة عن إشكالية الحقيقي (العلمي) والمزيف (الإيديولوجي) في المقولات الاجتماعية.
و يطرح فوكو أيضا فكرة مفادها بانّ بنية الخطاب هي عبارة عن عدد من الأحكام والقواعد الموروثة التي تقرر طبيعة المعرفة، وهي التي تتحكم بالتالي في مضمون الخطاب وتحدد المؤهّلين للحديث باسم الخطاب. و يستنتج بانّ الناس لا يتحملون مسؤولية تأسيس شروط الخطاب، ولكن تشكيلات الخطاب

La formation discursive

هي التي تحدد تعريف كل شخص ومكانته في منظومة العالم الاجتماعي. ولهذا فإن فوكو يتجنب ربط الخطاب بمؤلفين أو كتاب، لأن عملهم لا يتعدى كونهم ينفذون ما أملاه عليهم الخطاب، فهم يحققون وظائفه، وليسوا بأي شكل من الأشكال سوى أدوات أو أجهزة لتأسيس بناء النص الذي ينتجونه. و هي أهمّ مقولة في نظرية فوكو(49)
و لا تعني هذه المقولة أن الأفراد لا ينتجون خطاباتهم، ولكنهم يؤدون عملاً محدداً لهم، يتمثل في إنتاج مقولات تصب في القوالب المصنوعة لهم سلفاً عند التكوين الأساسي للخطاب.

يندرج القول إذن في المنظومة المعرفيةالسائدة و هي الإديولوجيا المهيمنة في عصر ما أو في ثقافة ما (اللائكية، الديمقراطية، المعتقدات الدينية) أو في المنظومة المعرفية التي يتبناها المتكلم و التي تحدد نظرة الإنسان إلى الظواهر الاجتماعية و السياسية و تأطّر عملية فهمه و تفسيره للأحداث و للظواهر و بالتالي عمليّة إنتاج خطابه (50)

و كمثال نذكّر كيف ولّد زلزال القاهرة سنة 1990 مثلا، موجة تديّن، لاعتقاد الناس بأنه عقاب إلهي على الفساد الذي يعيشون فيه، و في بلد لائكي يمكن للخراب أن يولّد طاقة للعمل و للتفكير مثلما حصل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

نرى ذلك أيضا في طغيان اللغة الإيمانية (إن شاء الله) و إعلانات الإيمان و التكفير في نظام معرفي يحتل فيه عنصر الوحي، كعنصر تستمد منه المعرفة، المرتبة الأولى، و في المقابل فإن اللغة الإيمانية تكون ضعيفة أو مفقودة في نظام معرفي علماني يعطي لعنصر العقل البشري و للعلم و للتجربة و للواقع أسبقية في تفسير الظواهر الاجتماعية و السياسية على العنصر الديني. و نلاحظ ذلك سواء على مستوى كامل المجتمع (قارن بين لغة كل من المجتمع العربي المسلم و المجتمع الغربي) أو على مستوى التنظيمات السياسية (قارن بين لغة كل من الأحزاب المعتمدة على إيديولوجيا دينية و الأحزاب الشيوعية أو الليبرالية أو القومية العربية اللائكية) و هذا يطرح قضية الخطاب كحامل للإديولوجية.

يتحدد الخطاب إذن بالنظام المعرفي الذي يتبناه القائل أو المتلقي و هو الذي يؤطر طريقة عمل عقله.

لذلك و لفهم معنى الخطاب يجب البحث في مصادر المعرفة لدى المتكلم و المتلّقي: هل هي الوحي فقط أو الواقع فقط ؟ أم هي الوحي و الكون و العقل و الواقع ؟ و كيف يتم ترتيب جملة هذه العناصر المعرفية ؟ و لأي منها تعطي الأولوية في المعرفة و التفسير ؟ و كيف تحدّد العلاقة بين مختلف هذه العناصر ؟

و تستمد هذه المعلومات من الخصوصية الثقافية لمجتمع المتلقي و المتكلّم و من خطاب المتكلم ذاته. و يمكن أن تظهر بوضوح إذا أعلن عنها المتكلم أو من خلال المرجعيات التي يتبناها و من موقفه من المرجعيات التي يرفضها(51)

و إجمالا يمكن القول بأن تحليل الخطاب يسعى إلى تحليل البنى القولية بالتركيز على السياق دون الفصل بين مختلف أجزاء الخطاب. فهدفه هو تجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد انتاج النص (على هذا الأساس يتم التفريق بين نحو الجملة و نحو النصّ)

إنّ مجموع أنماط التوجيهات السياقية التي تولّد الخطاب هي التي تحدد إذن في جانب هام معنى الخطاب، لذلك فإن التذويت (ذات المتكلم و ذات المتلقي) والتسييق عمليتان تكامليتان تسمان خصوصية الخطاب الدلالية، وهما العمليتان اللتان تميزان المقاربة التداولية الخاصّة بتحليل الخطاب و التي سنقف على النظريّة المؤسّسة لها في فصل لاحق.

خلاصة الجزء الأوّل

الخطاب ليس اللغة بل الكلام او اللغة في حالة الإستعمال. و الخطاب هو المعنى أوالمغزى أو المقصد.

Le discours c'est le sens

لذلك فالخطاب هو ما وراء اللغة.

و الخطاب يتجسّد قوليّا بطريقة شفاهيّة (محادثة) او كتابيّة (النصّ) كما يتجسّد في علامات غير قولية فهو بهذا كل ما يعبر عنه المتكلم بطريقة قولية أو غير قولية عن فكرة ما.

و القولي و غير القولي يختلف عن الصّريح و المسكوت عنه. فالإشارة مثلا تدخل في غير القولي و لكنها لا تدخل ضمن المسكوت عنه (52)

Le verbal et le non verbal ne sont pas l'équivalent de l'énoncé et du non dit. La communication est à la fois verbale et non verbale. La kinésique (mouvements du corps), les silences, les postures... sont autant d'indices ou indicateurs communicationnels.

و الخطاب هو فعل اتصالي بالأساس يتم بين متكلم و متلق، و هو بالتالي يؤثّر و يتأثّر.

و موضوع الخطاب ليس تصوير الواقع بل هو موضوع المشهد الذي يتم إخراجه عن طريق العلامات و التصورات أو التمثلات و هو تصور المتكلم للعالم الذي يريد إقناع المتلقي به و التأثير فيه. فالخطاب بهذا المعنى يشكّل سلطة، سلطة القدرة على تغيير الواقع.

و الخطاب ليس نصا أو قولا واحدا بل مجموعة من النصوص أو الأقوال

و الخطاب ليس الخطبة، فالخطبة هي جزء من الخطاب.

للقول إذن ثلاثة أبعاد:

1) المستوى اللغوي : و هو كل ما يتعلق بالنحو

Syntaxe

و هي مجموعة القواعد التي يستعملها المخاطب بطريقة سليمة لكي يكون قوله مفهوما. مثل:
أكل محمد تفاحة (فعل فاعل و مفعول به)

و هي مادة بدون معنى

Une substance sans sens

2) المستوى الدلالي

La sémantique

أو مستوى علم العلامات و يتمثل في تحليل العلاقات بين العلامات و ما تحيل إليه من أشياء فهو المعنى بالمفهوم المعجمي

.La signification

وعلم الدلالة هو علم الربط بين الدال و المدلول

Le signifiant et le signifié

و حسب "فرديناند دي سوسير" لا يمكن فهم الدال دون المدلول و العكس بالعكس و بالتالي فهما وجهان لعملة واحدة.
و هي مادّة ذات معنى

Une substance avec un sens

3) المستوى التداولي

Le niveau pragmatique

و هو مستوى المعنى الذي ينتج من استعمال اللغة.
و المعنى يستخرج بالتفكيك و الاستدلال من خلال قراءة أفقية و عمودية (المصاحب للنص أو للقول)

Le cotexte et le contexte

و أيضا قراءة لما هو خارج القول ذاته، أي السياق. و هو المعنى بدون مادّة لفظيّة.

Un sens sans substance

و هو ما يسمّى **<u>بالمقاربة التّداوليّة</u>**

L’approche pragmatique

و هي المقاربة التي تهمّنا في تحليل الخطاب السياسي لوسائل الإعلام، كما سنرى ذلك بالتفصيل لاحقا.

هوامش الجزء الأوّل
التمهيد و الفصل الأوّل

1) **Saloua Charfi**, L'information dans le monde arabe entre le prisme occidental et le mutisme national, p34, In Rencontres 91, actes du colloque sur" Les medias et la libération politique et économique des nations" Département d'information et de communication, Université Laval, Sainte-Foy, Québec, publié par the Graduate School of Journalisme, the University of western Ontario, Canada, 1992

2) **Michael Moor.** Tous aux abris. Bienvenue aux Etats stupides d'Amérique! Ed La Découverte, Paris, 2004, p 9

3) **محمد المزوغي** نيتشه، هايدغر، فوكو. تفكيك و نقد. دار المعرفة للنشر، تونس ط 1 2004 ، 212 ص

4) **ديان مكدونيل**: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة د.عز الدين إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 2001، ص 30

5) **Emile Benviniste**, Problèmes de linguistique générale II Ed. Gallimard. Paris, 1974.

6) **Tzvetan Todorov**, Les Genres du discours, Ed. Seuil. Paris, 1978

7) **Michel Foucault** Les Mots et les Choses. Une archéologie des sciences humaines, Gallimard, coll. « Bibliothèque des sciences humaines », Paris, 1966, 405 p

8) **Hartmann, R.R.K., and F.C. Stork**. 1972.Dictionary of language and linguistics. London: Applied Science.

9) **أوليفيي روبول،** لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، المغرب، أفريقيا الشرق ،2002، ص ص 41-42.

10) **M.Foucault,** L'archéologie du savoir, Paris, Gallimard, 1969

11) **Martyn Hammersley**, Conversation Analysis and Discourse Analysis: Methods or Paradigms ?, Discourse & Society, Vol 14, No 6 , , pp 751-781. 2003

12)) Mikhaïl Bakhtine. Pour une philosophie de l'acte L'Âge d'Homme. Paris 2003

13) **Mikhaïl Bakhtine,** Le principe dialogique Tzvetan Todorov, Ed Seuil, Collection poétique, Paris 1981. P 24

14) **عبد القاهر الجرجاني،** دلائل الإعجاز، قراءة و تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984 ص ص 55-56

15) **عبد القاهر الجرجاني،** نفس المصدر ص417

16) **نصر حامد أبوزيد،** اشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994، الطبعة الثالثة، 272 ص. ص ص 160-176

17) **نصر حامد أبوزيد،** نفس المصدر ص 28

18) **فردينان دي سوسير** دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي و محمّد الشّاوش و محمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، 406 ص.

19) **Friedrich Daniel Ernst Schleiermacher** (1768-1834), Herméneutique, tr.Fr. de C. Benner, Paris, Cerf, 1987, p 102

20) هذه الفقرة ماخوذة بإيجاز و تصرّف من:
آن روبول، جاك موشلار، التداوليّة اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة. دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط 1، 2003، 278 ص، ص ص 13-22

21) **سمير شريف استيتية**: اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 2000 ، ص 15

22) **R. Fowler**, linguistic Criticism,oxford university press, 1995, pp 80-90.

23)**Adam (JM)** éléments de linguistique textuelle.Théorie et pratique de l'analyse textuelle. Mardge, Liege p11

24) **Saussure Ferdinand de**. Cours de linguistique générale, Paris et Lausanne. Ed Payot 1971, P151

هوامش الفصل الثاني

25) **ابن منظور**، لسان العرب دار إحياء التراث العربي، بيروت، مدخل قول، ج11، ط3، 1999 ، ص : 350

26) **Schleimacher**, Herméneutique, Op Cit. p. 49

- V aussi Herméneutique. Pour une logique du discours individuel (Paris, Le Cerf, 1987)

27) **Roland Barthes**, La théorie du texte, Encyclopédie Universalis. Vol 15, pp 1013-1017

28) **Patrick Charaudeau**, Discours journalistique et positionnements énonciatifs. Frontières et dérives , Semen, 22, Énonciation et responsabilité dans les médias, 2006, mis en ligne le 1 mai 2007.

Pour citer cet article, référence électronique : http://semen.revues.org/document2793.html. Consulté le 15 juin 2009

29) **Herbert Paul Grice** Logic and conversation. In Cole, P. and Morgan, J. Ed. Syntax and semantics, vol 3. New York. Academic Press.1975

Grice a élaboré une théorie selon laquelle la signification réside dans la communication d'un locuteur avec autrui. Il part du principe que la compréhension se fonde sur la conversation entre plusieurs personnes, qui doivent accepter les mêmes règles. Il a introduit la notion de **maximes conversationnelles** ou **loi du discours** dans la théorie pragmatique, ainsi que la notion **d'implicature conversationnelle.**

30) **Roland Barthes**. La théorie du texte, Encyclopédie Universalis, Op.cit

31) **سلوى الشرفي**، الإسلام و المرأة و العنف، منشورات دار علامات، تونس، 2003

32) **محمد عابد الجابري** الخطاب العربي المعاصر دار الطليعة بيروت 1982 ط 2

(33) انظر مثلا:
دافيد راي غريفن تقرير لجنة 9/11 ، التجاهلات و التحريفات، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1 ، 2006.
و انظر كذلك "شبهات حول 9/11" لنفس المؤلّف.

34) **ARMAND MATTELART, MICHELE MATTELART.** HISTOIRE DES THEORIES DE LA COMMUNICATION

35) L'école de Palo Alto se fonde à partir des travaux de Paul Watzlawick, Gregory Bateson, Ray Birdwhistell, Edward T. Hall, Don J Jackson.

36) أنظر على سبيل المثال:

Dominique Wolton dans Penser la communication (1997),

37) Le terme est construit sur le mot media, et le suffixe *logos* (discours en grec)

38) **Régis Debray.** Cours de médiologie générale.

*r*39) **Michel Foucault**, Surveiller et punir. Naissance de la prison , Gallimard, Paris, 1975, 328 p

40) **Oswald Ducrot & Tzvetan todorov**. Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. E.Seuil.1972.p405-410

41) بالنسبة لتطبيق تقنية حقول الدلالة أنظر:

سلوى الشرفي الإسلاميون و الديمقراطية. منشورات علامات. تونس 200

42) Le terme d'épistémologie désigne l'étude des épistémès avec deux sens distincts, celui d' « étude critique des sciences » et celui de « théorie de la connaissance » - à partir de l'emploi du terme dans le monde anglo-

saxon. L'**épistémè** est la conception du monde, la pratique du monde d'un groupe social, à une époque donnée.

43) **عبد السلام المسدي**، ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس 182 ص، 1994 ص 5

44) **Michel Foucault** ,Surveiller et punir. Op Cit.

45) **Teun A. van Dijk**, Discourse Semantics and Ideology**, Discourse & Society**, Vol. 6, No. 2 , 1995, p253.

46) **N, Failclough** , Language and Power, London. Longman, 1990 p 26

47) **Teun A. van Dijk** , Discourse Semantics and Ideology, **Op. cit ,** pp 243-289

48) **Michel Foucault**, Surveiller et punir. Op Cit

49) **Michel Foucault.** Qu'est-ce qu'un auteur ? Bulletin de la Société française de philosophie, 63e année, n° 3, juillet-septembre, pp. 73-104

50) **محمد عابد الجابري.** بنية العقل العربي. المركز الثقافي العربي, لبنان-المغرب, ط 3 1993

51) **سلوى الشرفي** الإسلاميون و الديمقراطية**.** مصدر سابق

52) حول التعبير بطريقة قولية أو غير قولية ,انظر خاصّة مدرسة "بالو ألتو" التي تعتمد على أبحاث كل من "فاتزتلافيك" و "بيفن" و "جاكسن"

L'école de Palo Alto se fonde à partir des travaux de Paul Watzlawick, Gregory Bateson, Ray Birdwhistell, Edward T. Hall, Don J Jackson.

الجزء الثانى: الخطاب السياسى

فى وسائل الإعلام

ليس المقصود بالخطاب السياسي في وسائل الإعلام، فعل الإخبار عن الأحداث السياسية، فذاك يبقى من صميم الخطاب الإعلامي و يدخل ضمن وظيفة وسائل الإعلام، شأنه شأن تغطية الأحداث الثقافية أو الإجتماعيّة، و إنما المقصود هو الخطاب السياسي بخصوصيّاته، التي سنقف عندها، و الذي يطغى على فعل الإعلام و الإخبار و يقضي على الحسّ النقدي لدى الصحفي، فتكون نتيجته التباس الخطاب الإعلامي بالسياسة و تحويل وجهة أجندته، التي من المفروض أن تكون عاكسة للواقع قدر المستطاع و معبّرة عن اهتمام الرّأي العام، فيصبح الإعلام بذلك ناطقا بالأجندة السياسية، و مروّجا لأديولوجية معيّنة تحت غطاء الإخبار. و يتمّ ذلك عادة بسبب ضغوطات السلطة السياسية(1)

و لا يقتصر الخطاب السياسي لوسائل الإعلام، بالمفهوم المذكور، على وسائل الإعلام المختصة بالشأن السياسي، مثل الصحف الحزبية أو الحكومية، و تسمّى عادة بوسائل إعلام الرأي، إذ يمكن أن نجد رسائل سياسية في كل الوسائل الإعلامية مهما كان التخصّص المعلن عنه. و تكمن هذه الرسائل في المفاهيم و التصورات و المواقف التي تروّج من خلال مضامين الأركان أو الحصص الاجتماعية أو الثقافية أو الدينية أو حتّى الرياضية، و كذلك من خلال كلمات الأغاني، و مضمون الأفلام السينمائية التي تختار عرضها.

و قبل التفصيل في طرق الضغط السياسية على وسائل الإعلام يجب توضيح الفرق بين الخطابين السياسي و الإعلامي، من جهة الأهداف و الوظيفة، و أيضا من ناحية الخصوصيّة اللغويّة لكلا الخطابين، و هو ما سنقوم به في الفصلين التاليين من هذا الجزء.

الفصل الأول: الخطاب السياسي

لا يقوم أمر السياسة إلا إذا آزرها المال وعضدها السلاح.

L'argent est le nerf de la guerre.

و تلك حقيقة قديمة، أما الآن فقوة المال وقوة العتاد لا تكتسب فعاليّتها بدون سلاح الخطاب.

فالخطاب سلطة، كما رأينا ذلك.

فقد طرح ميشيل فوكو نظرة متميّزة للخطاب حين ربطه بالسلطة، وإذا كان هناك ارتباط وثيق بين السلطة والخطاب، كما ذهب إلى ذلك فوكو، فإنّ ذلك ليس مجرّد تخطيط، وتنظيم من قبل السلطة فحسب، وإنما علاقة تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية ككلّ(2)

يتنزل الخطاب السياسي إذن ضمن المفهوم العام للخطاب لكنه، كجنس محدد، له خصوصيات تميّزه عن غيره من الخطابات.

الفقرة الأولى: خصوصيات الخطاب السياسي (3)

انظر الو ثيقة رقم 2 في الملحق حول المقارنة اللغويّة بين خطابي كلّ من بوش و أسامة بن لادن.

و هي خصوصيات يستمدها من العناصر التالية:

1) مجال عمله

وهو مجال السلطة، رسميّة كانت أم غير رسميّة، أي مجال تسيير أمور الجماعة بصفة عامّة. و تتحدّد عملية التسيير في عملية أخذ القرار و تنفيذه و المشاركة فيه و التأثير فيه.

2) صفة المتكلّم

و يكون إما رجل سياسة أو مؤسسة سياسية، مثال حزب أو منظمة أو جماعات ضغط أو سلطة من سلطات الدولة، و لذلك يتم تحليل الخطاب البرلماني أو الحزبي، أي خطاب مؤسّسة، كما يتم تحليل خطاب رجل سياسي، أي خطاب شخص.

3) مفاهيم الخطاب السياسي

يصعب حصر المفاهيم السياسية في المعنى الضيق لكلمة سياسة، و إنما يمتد ذلك إلى الاستعمال و المقام و الإطار و الأهداف و صفة المخاطب.

بالنسبة للاستعمالات أو التوظيف، فعندما يتحدث رجل سياسي في الدين، مثلا، يكون الخطاب سياسيا، و عندما يتحدث رجل دين في السياسة يصبح أيضا الخطاب سياسيا. فالسياسة تظلّ هي الطاغية.

و بما أنه يمكن توظيف جل مجالات الحياة سياسيا (إعلام، ثقافة، اقتصاد، أدب، دين، رياضة...) يمكن القول بأنّ وظيفة الخطاب و أهدافه و لغته هي التي تحدد مجال انتمائه.

4) وظيفة الخطاب السياسي (4)

يتمثل رهان الخطاب السياسي في الانتصار في معركة ما، انتخابية أو إيديولوجية أو حربية.

L’enjeu du discours politique est de nature guerrière

فهو خطاب يسعى إلى جلب المناصرين و تغيير القيم و التعبئة و التجييش ورفع معنويات مناصرين و تحطيم معنويات أعداء. ويتم ذلك عبر التأثير، لذلك يوظف الخطاب السياسي أساسا للتأثير، عبر السلطة الرمزية للكلام.

Le discours politique est un discours d’influence

و يمكن قياس هذا التعريف على مفاهيم الاتصال و الدعاية. لهذا تعرّف العديد من الأدبيات الاتصالية الخطاب السياسي بأنه التأثير المقصود في اتجاه جمهور ما بتقديم أدلة تؤدي إما إلى تغيير اتجاه المتلقي أو إلى ترسيخه و يتم ذلك على أساس إستراتيجية تعتمد أربع مستويات:

- مستوى الإدماج:

L'intégration

بهدف خلق إجماع.

- مستوى مراوغة المحرمات: أي مجموع الأفكار و الألفاظ التي تمنعها الأعراف السائدة. مثال، لم يكن في استطاعة "جورج بوش الإبن" القول بأنه ذاهب إلى العراق للاستيلاء على النفط، فقد كان يدّعي انه ذاهب كمحرّر لأن الأعراف تقبل، بل و تجلّ قيمة الحرية، و ترفض قيمة اللصوصية.

- ترويج تصورات أو تمثلات حول أشخاص (فاعلين) أو مفاهيم، من خلال اللغة الخاصة بالدعاية و تقنياتها، مما ينتج عنه إعادة تصوّر للعالم أو إعادة إخراجه أي خلق واقع، حسب تصورات المتكلم.

La construction de la réalité

- الإقناع بهذه التصورات أو التمثلات بواسطة مسار برهنة ملائم، يجعل المتلقي يعتقد بأنها تمثلاته الخاصة الناتجة عن وقائع و حقائق.

الفقرة الثانية: لغة الخطاب السياسي

يقول الدكتور عبدالسلام المسدّي: "إن السياسة واللغة قرينان متلازمان، وليس من قول في السياسة إلا خلفه فعل سياسي" (...) " وكم من منعطف كانت فيه الكلمة هي الصانعة للحدث السياسي وهي الرّاسمة لمعالم الموقف بكليته "(...)ويرى د.المسدّي، أنه منذ القديم، كانت صناعة الخطاب هي الوجه الآخر من السياسة (...) منذ قصة التحكيم التي انتهت إليها معركة صفّين بين "علي بن أبي طالب" و"معاوية ابن أبي سفيان" (5)
و اللغة السياسية ليست بريئة فهي تعيد تشكيل الحقائق السياسية و تستخدم لغزو نفسيّة المتلقين، ثم إعادة تشكيل عقولهم.
و في حادثة طريفة وظّف "معاوية ابن أبي سفيان" اللغة في السياسة و الدّين معا، لإضفاء الشرعيّة على سلطته التي يرفضها البعض. فقد سأل "معاوية" اعرابياً : "من افصح الناس؟ "
فأجاب: " أفصحُ العربِ قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات وتيامنوا عن عنعنة تميم وتياسروا عن كسكة بكر، وليس لهم عجعجة قضاعة، ولاطمطمانية حمير" فبادر "معاوية" مستفهما:" من هم ؟" قال الإعرابيّ : "قريش"

و حين نعلم أن بعض فقهاء الأحكام السلطانيّة، أو ما يعبّر عنه اليوم بفقهاء القانون الدستوري، و منهم "الماوردي" جعلوا الإنتماء إلى قريش من شروط الخلافة، نفهم أنّ هذا المقام ليس مجرّد تصّورات لغوية يلقّنها اعرابي الى رجل "كمعاوية" فقول الإعرابي، سواء كانت الحادثة صحيحة أو مختلقة، يبيّن عدم استحقاق متكلمي لهجات أخرى للخلافة بسبب انعدام النضج اللغوي، والتي قدّمت ككماليّة لرئيس الدّولة.

اللغة السياسية هي صانعة العالم إذن، وهي التي تحركه وتحث علي السلام أو الحرب. والكلام محيط بالحرب من أوّلها إلى آخرها، ف"الحرب أوّلها كلام" كما قال قديما نصر بن سيّار.

و يمكن حصر **أهم مميّزات لغة الخطاب السياسي** في النقاط الآتية(6)

- يتسم الخطاب السياسي بكونه ذا بنية نظرية على درجة من التماسك، و هي بنية مستمدة من أيديولوجيا معينة هي الأيديولوجيا التي يتبناها النظام السياسي القائم.

- يكون الخطاب السياسي، في الغالب، على شيء من التعقيد في الصياغة، ومفكراً به مسبقا.

- يهدف الخطاب السياسي، بالأساس، إلى إضفاء المشروعية على إجراءات السلطة السياسية في الماضي والحاضر والمستقبل ولذلك فهو يتضمن وعوداً من جهة، ونقداً للآخر الأيديولوجي من جهة أخرى.

- القصد من الخطاب السياسي هو التوجيه لمن تمارس عليهم السلطة، لتسويغ الأخطاء والاخفاقات إن وقعت، أولتوضيح الخطط والإجراءات المستقبلية.

- يصدر الخطاب السياسي عن السلطة السياسية، الحزبية أو الحكومية، إلى جهة أدنى هي الشعب عامة، لذلك تكون لغة السياسة آمرة، كما تميل إلى التذكير بالواجبات حتى و إن حاولت إخفاء ذلك.

- يزعم المتكلّم السياسي عادة بأنه يعالج مشكلات الواقع، وذلك لإخفاء الجوهر السلطوي لخطابه.

الفصل الثاني: الخطاب الإعلامي

تختلف وظيفة الخطاب الإعلامي و بالتالي لغته عن وظيفة الخطاب السياسي.

الفقرة الأولى: خصوصيات الخطاب الإعلامي

يسعى الإعلام إلى مساعدة المتلقي على تكوين رأيه الخاص من خلال وصف الواقع و بث معلومات متوازنة تعبر عن مختلف الآراء و تتوافق قدر المستطاع مع الوقائع. (7)

ففحين يسعى الخطاب السياسي إلى الإغراء و التأثير و الإقناع بهدف دفع المتلقي إلى القيام بفعل ما، فإنّ الخطاب الإعلامي، حتى السياسي منه، و باستثناء وسائل الإعلام الحزبية، يسعى إلى الإعلام فقط و ليس إلى الحث على الفعل، و بالتالي فإن طريقة القول تختلف.

كما أنّ القائل السياسي يقف دوما في موقع المنافسة و يحاول الإقناع بصدقيّة قوله على حساب المنافس، في حين يكتفي الخطاب الإعلامي بمحاولة الإقناع بصدقيّة معلوماته فقط، و حتّى المنافسة التجاريّة بين مختلف وسائل الإعلام التي قد تدفع بالوسيلة الإعلامية إلى تبني خطاب تأثيري و إغرائي لشدّ المتلقّي، لا تجعلها تحيد جذريّا عن وظيفتها الإعلامية و لغتها الخاصّة التي تحقّق بها هذه الوظيفة، كما سنرى ذلك في الفقرة الخاصّة بلغة الإعلام غير القوليّة.

الفقرة الثانية: خصوصيات اللغة الإعلامية

لا تقتصر لغة الإعلام على ما هو منطوق أو مكتوب، بل هي تكمن أيضا في مختلف فنونه الإخراجية، فاللغة الإعلاميّة هي لغة قوليّة و غير قوليّة.

1) لغة الإعلام غير القولية

تكمن لغة الإعلام غير القوليّة في الاخراج الصحفي أساسا، أي في توزيع الوحدات التيبوغرافية طبقا لخطة معينة (تصميم وهندسة) و تتمثّل وظيفة الإخراج الصحفي في دفع الجمهور أو القارئ لقراءة الفقرات الثلاث الأولى من الرواية الاخبارية، وبعد ذلك تبدأ مسؤولية الصحفي في شدّ الجمهور للموضوع، أي أن فاعلية المادة المكتوبة أو المنطوقة تبدأ بعد انتهاء مرحلة الجذب الخارجي.
و تتمثّل العناصر الموظفة في الإخراج الصحفي في: (8)

- المساحة
- عدد الأعمدة
- اختيار الحروف و تحديد أبناطها
- الأرضية
- الاطارات
- الألوان
- الصور

- الصوت بالنسبة للإذاعة

- الصوت و الصورة المتحركة بالنسبة للتلفزيون و الإنترنات.

و مهما كانت الطرق الفنية التي يستخدمها المخرج، فإنّ أغراضها يجب أن لا تحيد عن المبادئ العامّة للإعلام، أي أن دلالاتها يجب أن لا تتجاوز حدود جعل موضوع ما يحظى باهتمام القارئ و تحقيق الأهداف المتعلّقة بالجوانب التالية فقط :

أ) الجانب الاعلامي

و يهدف الى ابراز المادة الاعلامية المنشورة حسبما تفرضه اولويات القيم الاخبارية المتعارف عليها في علوم الاعلام (الإفادة و الجدّة، و القرب)

ب) الجانب الاقتصادي

و يتمثل في الإعلانات التي تساهم في تشكيل جزء هام من ميزانية المؤسسة الصحفية.

ج) الجانب الفني

الذي يوظف القدرات المطبعية و الفنيّة في خدمة المظهر العام للوسيلة الإعلاميّة طلبا للتناسق و الإنسجام و حرصا على المقروئية.

د) الجانب النفسي

الذي يراعي طبيعة الجمهور من حيث السن والمستوى الثقافي والملامح الاساسية العامة لشخصية المجتمع الذي تصدر فيه الصحيفة.

2) لغة الإعلام القولية

و نقصد باللغة القوليّة الأسلوب الخاص بالتعبير الصحفي سواء كان سردا أو حجاجا.

و كما هو معروف، يمنع مبدئيا على الصحافي استعمال ضمير المتكلّم خشية تمرير رأيه الخاص، و حرصا على موضوعيّة المعلومة. فالصحفي لا يخلق المعلومة، إنّما ينبئ بها، فهو مجرّد ناقل أو مفسّر للخبر و مطالب بتوفير شروط المصداقيّة للخبر من خلال التثبت في المصادر و عدم إقحام رأيه الخاص و فرضه على المتلقي. لذلك يمنع الخلط بين الرأي و الخبر، و بالنسبة لمقالات الرأي يسمح للصحفي بتقديم رأيه بشروط البرهنة عليه بحقائق واقعيّة معروفة، و تفادي الإرتسامات و المزاج الخاص، و هو ما يجعل من الرأي المقترح مجرّد مساعد للمتلّقي على تكوين رأيه الخاص (9)

و لتحقيق ذلك يجب أن تتميّز لغة الإعلام عن لغة السياسة بسمات معيّنة تسمح لها بتفادي السلطوية، والأحادية، والرسمية.

أ) السلطوية:

و نعنى بذلك تبنيّ أجندة السلطة من خلال القصص التي يختار التركيز عليها و الشخصيّات التي

يخترها لتفسير الأحداث و الحجج التي يعتمدها مثل الإستشهاد بأقوال الرّسميين، و القيم التي يروّجها و التي تنتمي عادة إلى إديولوجيّة السلطة.

ب) الأحادية :

ونقصد عمليّة فرز الأفكار التي تتجسّد في أحاديّة الرأي واستبعاد ما يتناقض معه شكلا ومضمونا مما ينتج عنه تهميش الرأي الآخر و حتّى إقصائه.

ج) الرسمية:

تنتمي الأجهزة الإعلامية إلى مؤسّسات المجتمع المدني، و هي بهذا المعنى يجب أن تكون مستقلة عن السلطة السياسية، بل إنها من المفروض أن تكوّن شكلا من أشكال السلطة المضادة. غير أن الأجهزة الإعلامية المكرّسة لخدمة إديولوجيا السلطة و لترويج خطابها و تبريره، هي مؤسّسات تابعة للمؤسسات الرسمية، و لهذا فهي لا تنتج مواقفها الخاصّة المتعلّقة بالأحداث و الظواهر بل تتجاهل الحدث في انتظار إعلان الموقف الرسمي و تلّقى التوجيهات و حتّى المقالات الجاهزة، فتحرم من المبادرة في الإعلان عن الحدث، و تصبح بذلك أجندتها مطابقة للأجندة الرّسميّة شكلا و لغة و معنى. و يبدو ذلك جليّا في الخلط الحاصل بين الاشكال الصحفيّة حيث يمتزج الرأي بالخبر و يطغى التوجيه على التفسير و التحليل.

و تؤثر هذه الممارسات على مصداقيّة المؤسسة الإعلامية و بالتالي على علاقتها بمتلقيها.

و هذا ما يهمّنا البحث فيه، لذلك تقع الإشكاليّات التالية في صميم تفكير الباحث في تحليل الخطاب الإعلامي:

ما هي وسائل الضغط التي تستخدمها السلطة السياسية لفرض هيمنتها على وسائل الإعلام ؟

الفقرة الثالثة: وسائل الضغط على وسائل الإعلام

إذا كان الخطاب السياسي هو الفاعل الأساسي في تحريك الواقع وتحديد معالمه، من خلال تقنيع الواقع و إعادة إنتاج واقع متخيّل مرغوب في تكريسه و ترويجه على نطاق واسع وفق آليات تضفي عليه المصداقيّة الضروريّة لإقناع المتلّقي و التأثير فيه و دفعه إلى سلوك معيّن و مبرمج سياسيا، فإن أهمية الخطاب الإعلامي تكمن في قدرة الأجهزة الإعلامية على منافسة الاجهزة السياسية في الكشف عن الوقائع و نقد الخطاب السياسي، و بذلك يكون الخطاب الإعلامي السلطة المضادة الرابعة حسب مبدأ تفريق السلط، و هو مبدأ مركزي في الفلسفة الديمقراطيّة. و بما أن السلطة السياسية تسعى عادة للإستحواذ على السلط الأخرى لتتمكن من بسط نفوذها كليّا على المجتمع، فهي لا تستثنى السلطة الإعلاميّة، خاصّة أنّه لا يمكنها القيام بمهمّة خلق واقع ترغب

في تكريسه دون مساعدة الأجهزة الإعلاميّة أو على الأقلّ دون كسب صمتها و القضاء على حسّها النقدي.

و الضّغط السياسي هو الذي يجعل الوسيلة الإعلامية خاضعة للأجندة السياسية و يمسخ بالتالي لغتها، و هو ما يتعارض مع العقد الإعلامي المبرم ضمنيّا بين الباثّ و المتلقّي.

و من أهمّ العناصر التي تجعل وسائل الإعلام تخضع للتوظيف السياسي و تتحول إلى بوق دعاية:

1) القناعة العقائدية: و التي تظهر من خلال وسائل الإعلام الحزبية، فهي تتكلم باسم الإيديولوجيا التي تعتنقها و تعلن ذلك صراحة. و تكون عادة نسبة الرأي فيها أعلى من نسبة الإخبار.

وهناك أيضا وسائل الإعلام المتعاطفة مع إيديولوجيا ما و هي عادة لا تخفي توجهها.

و هذا لا يعني استثنائها من اهتمام الباحث، بل يجب البحث فيها، لأن ما يهمنا هو التعرّف على التقنيات الدعائية التي تستخدمها وسائل الإعلام و تصنيفها و الكشف عن طرق عملها و تاثيرها.

2) الترغيب أو الضغط المالي:

و يتم عبر الترغيب في دعم مالي (من خلال توزيع الإعلانات مثلا) مقابل الولاء السياسي.

3) الضغط السياسي:

ويتم عبر الرقابة السابقة للنشر (الأوامر) و اللاحقة (المنع من البيع) أوالتهديد بالغلق و المحاكمات، و تحصل هذه الممارسات عادة في الأنظمة الاستبدادية. و تلجأ هذه الأنظمة بصفة عامّة إلى العنف المادي (سجن/ترهيب) لمنع المواطن من اتخاذ موقف أو القيام سلوك معاد لها. أما الدول الديمقراطية فتستعمل العنف الناعم، أي الخطاب الدعائي للتأثير في سلوك المواطن (الشعب الأمريكي صوّت لبوش لولاية ثانية رغم اكتشاف كذبه لأنه أصبح يعتقد بفعل الخطاب الإعلامي أنّه يوجد عدو يتربصّ به)

ففي المجتمعات الديمقراطية الحديثة لم تعد ممارسة القوة تعتمد على الإكراه بالدرجة الأولى بل على الإقناع الذي بات أحد العناصر الحاسمة للوصول بالخطاب لمختلف الفئات الاجتماعية، ولا شك أن الاتفاق على فكرة الهيمنة عبر الإقناع وتحقيق إجماع وتعدد شكلي داخل المجتمع، أو ما يعرف بالهيمنة الناعمة، هو ما دفع مدارس التحليل النقدي للخطاب نحو الاهتمام بتحليل الخطاب الإعلامي، الذي يعكس عملية الصراع والهيمنة عبر الإقناع وتزييف وعي الجماهير(10)

4) العنف المعنوي: و يظهر خلال الأزمات الحادة و الحروب، حيث يعتبر الخارج عن الإجماع الوطني خائنا(لا صوت يعلو فوق صوت المعركة) و حتى كافرا عندما توضع عبارة الله أكبر على العلم مثلما حصل في العراق.

5) الوفاق بين السلطة و الإعلام: و هي خاصية الدول الديمقراطية حيث يتسم الإعلام بحرية شبه مطلقة في أغلب الأحيان إلا في الحالات التي تعتبر فيها السلطة أن معلومة محددة تمس بالأمن الوطني أو بالمصلحة الوطنية العليا (تم التعتيم في وسائل الإعلام الأمريكية على عدد

القتلى في صفوف الجيش الأمريكي في العراق) فقاعدة الخطوط الحمر هي التي تحول وسائل الإعلام بوقا للسلطة حتى في الدول الديمقراطية.

6) التسريب: في هذه الحالة لا تكون الوسيلة الإعلامية واعية بالتلاعب السياسي بالخبر. فالتسريب عملية تدخل تحت خانة الدعاية السوداء التي لا تفصح عن مصادرها ، مما لا يسمح بالتثبت من المصدر. و تتمثل عمليّة التسريب في تقديم معلومات هامة و مثيرة إلى الصحفيين عن طريق مصادر سياسية موثوق فيها و معروفة بمصدقتيها، غير أنها يمكن أن تكون كاذبة. فقد وزّعت سنة 1991 خلال الحرب على العراق صورة لطائر ملوث بالنفط في الكويت، بعد الادّعاء بأن الجيش العراق حطّم التجهيزات النفطيّة. و كان هدفها إظهار صدّام حسين في صورة مجرم بيئي. و قد نشرت معظم وسائل الإعلام تلك الصّورة، ثمّ اتضح أن هذا النوع من الطيور لا يعيش في منطقة الخليج.

كما يمكن تسريب معلومة صحيحة غير أن هدفها لا يكون تقديم معلومة إلى الناس، وإنما تصفية حسابات سياسية (قولة حقّ يراد بها باطلا) و قد سرّب مكتب ديك تشيني، نائب الرئيس بوش الإبن، معلومة كشفت هوية عميلة مخابرات أمريكية، و هي معلومة حقيقيّة. و كان الهدف من ذلك الضغط على زوجها الدبلوماسي الذي كذّب وجود صفقة اليورانيوم بين العراق و النيجر التي قدّمتها الإدارة الامركية كدليل ضدّ العراق سننة 2003. و قد كان زوج العميلة سفيرا للولايات المتّحدة الأمريكية في النيجر في الفترة التي زعمت فيها الإدارة الامركية حصول الصفقة.

يدعونا كلّ ما سبق إلى التساؤل عن انعكاسات العلاقة بين السياسي و الإعلامي على الخطاب الإعلامي.

هوامش الجزء الثاني الخطاب السياسي في وسائل الإعلام

1) **Ghiglione, R**. ; **Landré, A. ; Bromberrg, M. ; Dorna, A**. Ecoute voir ou le discours politique médiatisé. Psychologie Française, 1990.

2) **Michel Foucault**, L'Ordre du discours. Gallimard, Paris, 1971, 88 p

3) **Hermet Guy, Badie Bertrand et al.,** Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques , Paris, Armand Colin, 1994, 279 p.

4) **Trognon, Alain. ; Larrue, Janine.** Pragmatique du discours politique. A. Colin, Paris, 1994.

5) **عبد السلام المسدي** .السياسة وسلطة اللغة. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، 369 ص،

6) **MAINGUENEAU, Dominique**. L'analyse du discours politique. Paris, Hachette, nouvelle éd, 1997.

7) **Bill Kovach, Tom Rosentiel**, Principes du journalisme. Ce que les journalistes doivent savoir, ce que le public doit exiger. Nouveaux Horizons, Paris 2004 (traduit de l'américain) 207 p

8) **عبد العزيز سعيد الصويعي**، الإخراج الصحفي و التصميم، بين الأقلام و الأفكار و الحواسيب. دار الملتقى للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1998 ، 740 ص.
انظر كذلك:
RIVET, Jacques. La mise en page de presse, Coll. « Cahiers du Québec/Communications », La Salle, Hurtubise HMH, 1992.

9) **IMBERT, Patrick**. L'objectivité de la presse. Le 4e pouvoir en otage, Coll. « Cahiers du Québec/Communications », Ville La Salle, Hurtubise HMH, 1989.

10) **Teun A. van Dijk**, Discourse Semantics and Ideology, Discourse & Society, Vol. 6, No. 2 , 1995, p253.

الجزء الثالث: انعكاسات الضغط السياسي على الخطاب الإعلامي

يخدم الإعلام الأجندة السياسية و يفرض رأيا معيّنا على المتلقّي تحت غطاء الإخبار بواسطة التلاعب باللغة القولية و غير القولية، و هو ما ينتج التضليل و المغالاطات.
لذلك سنقف في **الفصلين الأول و الثاني** على طرق استخدام الأساليب االدعائيّة و انعكاساتها على اللغة الإعلاميّة، القوليّة منها و غير القوليّة. و نتعرّف في **الفصل الثالث** على الأساليب الدّعائيّة الحجاجيّة و نتائجها المتمثّلة في المغالطات الحجاجية

الفصل الأول: أساليب المغالطة باللغة غير القولية

لا يسعى الإخراج الفنّي في هذه الحالة إلى تحقيق الانسجام والتناسق فقط، و هو الهدف الرئيسي من الإخراج كما رأينا ذلك، بل يمكن كذلك أن يوظّف في إبراز مادة خبريّة على حساب غيرها تحقيقا لغرض سياسي بحت و دون مبرّر إعلامي من نوع الإفادة و الجدّة مثلا. و هنا تكمن خطورة امكانيّة استخدام عناصر اللغة غير القولية للتعتيم أو للتضليل و الإثارة.
و تتمتّع عناصر اللغة غير القولية بإمكانيات تعبيرية هامة، و هي تنقسم إلى عناصر تابعة للشكل، و أخرى تابعة للمضمون.

الفقرة الأولى: العناصر غير القوليّة التابعة للشّكل

تتمثّل العناصر غير القوليّة التابعة للشّكل في الحروف و المساحة و المحسّنات (الارضيّة و الإطار و اللون و مساحة الأعمدة و عددها) و الموقع في الصحيفة او في شبكة البرامج أو التوقيت، و الموقع في الصفحة أو في النشرة الإخبارية، و نوعيّة الإخراج (بؤري أو فسيفسائي أو مختلط)

1) الحروف

و هي تشكل مادة العناوين والمتون. ويخضع تقسيم الحروف من حيث شكل الوجه الى تقسيم يتم من زاوية النوع او الجنس.

و يتقرر حجم الحرف (البنط) و نوعه(Simplified Arabic أو أبجد هوّز...) و سمكه (خفيف أو ثقيل) و لونه، على ضوء الغرض من المادة المطبوعة والعمل الذي سوف تؤديه، بالاضافة الى ضرورة معرفة المواضع المطلوب ابرزها والتأكيد عليها داخل النصوص المطبوعة نفسها حتى يمكن تمييزها عن غيرها بحروف عميقة او ثقيلة.

وأول ما يجب توافره في الحرف الطباعي هو القدرة على تحقيق المقروئية، وهي تعني انتقال العين بيسر على المادة المطبوعة ثم وصول الافكار الى عقل القارئ بدون أي عائق، فالحروف الكبيرة مثلا مريحة لعين القارئ، لذلك يتم عادة تخصيصها للمادة التي يراد إبرازها.

2) المساحة

تعتبر المساحة المخصصة للحدث مؤشّرا على درجة الأهمية المعطاة للحدث. و هي تقاس بالسنتمتر مربّع بالنسبة للصحافة المكتوبة و بالتوقيت بالنسبة للصحافة المرئية و المسموعة.

و بقدر تواتر تغطية الحدث تكون المساحة مرتفعة و هو دليل على الاهتمام و أيضا على محاولة التأثير عندما لا يكون التواتر مبّررا.

3) المحسّنات الشكلية

و تتمثل في الإطار و الأرضية و اللون و حجم الأعمدة، بالنسبة إلى الصحافة المكتوبة، إضافة إلى الصوت و الموسيقى المصاحبة في وسائل الإعلام المرئية و المسموعة و الإلكترونية. و يتمثل تأثيرها في جلب اهتمام المتلقي إلى الحدث الذي تريد الوسيلة الإعلامية إبرازه.

و بالطبع لا يحتاج كلّ حدث إلى عناصر إبراز و إنما تخصص هذه العناصر للأخبار الهامة حسب نظرية الخبر. أي ما يهم الجمهور على أساس قاعدة القرب الجغرافي و الثقافي و النفسي و الانعكسات العالمية.

4) اختيار الموقع

و يتمثل في تخصيص المواقع (في الصحيفة و في الصفحة) أو التوقيت الأكثر جلبا لنظر المتلقي لحدث ما، و منها: الصفحة الأولى و الأخيرة و الصفحات الجميلة (الفردية) أو النشرة الرّئيسية، و و بداية النشرة و مطلع الصفحة و ساقها و هو ما من شانه تضخيم الحدث و الإيحاء بأنه الأهم من بين الأحداث، الأمر الذي يعتّم على أحداث أخرى و يفرض على المتلقي النظر إلى العالم من زاوية محدّدة.

و بالنسبة للموقع في الصفحة فإنه يتم الإعتماد على كيفيّة تنقّل العين عند القراءة حسب اللغة. فبالنسبة للغة العربية تنتقل العين على شكل حرفS أي من اليمين إلى اليسار و من فوق إلى تحت، لذلك تخصص المساحة في أعلى الصفحة على اليمين للأخبار التي يراد جلب نظر القارئ إليها. و بالنسبة للغة الفرنسية فإن العين تنتقل من اليسار إلى اليمين و من فوق إلى تحت على شكل حرفZ

و باستخدام هذه الطرق، تصبح الصفحة الأولى في الصحف و تحديدا الموقع الأقوى منها، والستون دقيقة الأولى من ساعة الأخبار الرئيسية في التلفزيون والإذاعة مكرسة لتغطية نشاطات الرسميين حتى لو كانت تلك النشاطات تأتي في آخر أجندة الجمهور.

5) الإخراج البؤري أو التئبير

La focalisation

و هو عكس الإخراج الفسيفسائي (في الصحافة المكتوبة) أو المختلط الذي يعطي قيمة متساوية نسبيا لكل الأحداث.

و يفرض التئبير على المتلقي أجندة للعالم أي المواضيع الجديرة بالإهتمام

La focalisation impose une « thématisation » du monde.

و هو ما من شأنه أن يستخدم في غير محلّه لتحقيق أهداف دعائيّة بحتة.

الفقرة الثانية:العناصر غير القوليّة على مستوى المضمون

و تتمثّل العناصر غير القوليّة على مستوى المضمون في العنونة و الصورة و الرسوم بصفة عامة و المصادر و التوقيع و أجناس المقالات.

1) العنونة

تنقسم العناوين إلى أنواع:

أ) - العنوان الإخباريّ و هو الأكثر حياديّة لأنه يعلن عن مضمون الخبر بوضوح و يكتفي بالإجابة عن الأسئلة التقليدية المعروفة: من و ماذا و متى و كيف و لماذا. مثال "المفاوضون يعلنون فشل المحادثات"

ب) - العنوان المؤثّر الذي يجلب انتباه القارئ بموقف أو بالتصدي لموقف. مثال: "لا لسياسة الكيل بمكيالين"

ج) - العنوان الغامض و هو مثير بسبب لغته ذات الطابع الضمنيّ. مثال:"أسرار المفاوضات""

و تعتبر العناوين ذات الصياغة المؤثّر و الغامضة وسيلة من وسائل التبئير الهادفة إلى دفع المتلقي إلى الإهتمام بالموضوع أو لإثارته و ترسيخ الفكرة في ذهنه، لذلك فإنّ اختيارهل لا يكون اعتباطيا.

و يمكن استخدامها بشرط أن تكون مبرّرة بضرورة إعلامية بحتة و ليست سياسية.

كما يتم إبراز الأخبار بواسطة استخدام الأبناط الكبيرة للعناوين (عريضة و ثقيلة) و اختيار نوعية خط جميل و تلوينه حتى على حساب المقروئية.

و إلى جانب اختيار صيغة العنوان يمكن التأثير و جلب الإنتباه استخدام العنونة متعدّدة الدّراجات، فبالإضافة إلى العنوان الرئيسي الواجب توفّره في كل المقالات، يتمّ اللجوء إلى العناوين الفوقية و التحتية و الفرعيّة، بدون موجب أحيانا. فقد يكون حجم المقال لا يتحمّل مثل هذا الثقل، أو قد يتم تكبير حجم المقال بطريقة اصطناعية، و هو ما يتعارض مع مبادئ الإخراج، إذ يجب أن يكون إبراز العناوين مبرّرا بحجم المقال و أهميّة الخبر، و إلا اعتبر ذلك داخلا في محاولة الإغراء و التأثير.

2) الصورة و الرسوم بصفة عامة

الصورة لا تكون دائما إخبارية، أي مجرّد عنصر مكمّل للخبر أو مساعد على فهمه، فهي تضيف في الغالب رأيا سلبيا أو إيجابيا للخبر عندما تكون حاملة لعناصر إثارة. و عادة يتم تقديم الصورة مع النص على أساس التكامل بينهما، فالصورة قادرة على تعزيز معنى النصّ أو شرحه او التقليل من قيمته، بحيث تنشأ معنا إضافيا. و مهما كان الأمر فإن الصورة تحمل خطابا مبطّنا تسعى إلى تبليغه. هذا إلى جانب تعدّد معناها، فالصورة، شأنها شأن الخطاب اللفظي، متعدّدة المعاني، فحينما تقع عين المتلّقي على صورة فوتوغرافية تبدأ مخيّلته في بناء قصة أي معنى؛ و المعنى يختلف من فرد إلى آخر بحسب الموقف والتجربة والعمر والحالة النفسية.

فالصورة كمجموعة علامات تكوّن لغة خاصّة، بل إنّ الصورة عابرة للغات اللفضيّة يفهمها الأمي و المتعلّم. و هي تشكّل بهذا المفهوم عنصرا من عناصر عملية توصيل المعاني ونقل الوقائع والأفكار والأحاسيس، و هي شانها شأن اللغة اللفظية تحمل خطابا كما أنّها مثل اللغة اللفظيّة لا تعبر سوى عن جزء من الواقع بسبب كيفية صنعها و طريقة تقديمها (1)

بل إن الصورة يمكن أن تكون أصلا مفبركة كما ذكرنا ذلك بخصوص صورة الطائر الملّوث بالبترول الكويتي و التي تهدف إلى إثبات جرائم الجيش العراقي في الكويت سنة 1991 و الذي نسى مركّبوها أنه لا وجود لهذا النوع من الطيور في الخليج.
و تلعب الصورة بهذا المعنى دورا هاما في جلب نظر المتلقي و خصوصا في توجيه رأيه. لذلك تحرص السلطة السياسية على استخدامها بما يخدم اهدافها و مصالحها و ينصّع صورتها. و هو ما يفسّر تعتيم الإعلام الأمريكي عل صور جثث الجنود العائدة من العراق خلال حرب 2003.
و قد كان "غوبلز" وزير الدعاية في عهد "هتلر" يوعز للصحف بنشر صورة أحد المعاونين الذي كان يرغب هتلر في التخلص منه إلى جانب خبر سيّئ، فترتبط تدريجيا و بصورة غير واعية في ذهن القارئ صورة سيّئة عن هذا الشخص. لذلك يمكن تحليل الصور بنفس التقنية المخصصة لتحليل اللغة القوليّة (انظر شبكة تحليل حقول الدلالة في الفصل الخامس)
و يمثل الكاريكاتور الدانماركي الشهير الذي نشر سنة 2005 و هو يمثّل الرسول محمد في صورة إرهابي، نموذجا لمفعول الصورة كحاملة لرأي و موجهة لرأي المتلقي، بما أثاره من تصادم بين ثقافتين.
و يمثل الكاريكاتور أعقد حالات الصورة، فهو يدخل في الأجناس الصحفية في خانة التعليق، أي أنه مقالا في الرأي باسلوب ساخر، و هو في نفس الوقت لايقدّم الحقيقة كما هي. و في هذه الحالة يمكن النظر إلى الكاريكاتور و تلقيه من زاويتين. زاوية الفكاهة و هي تحدّ من طابعه النقدي أو زاوية النقد و هي تحد من طابعه الفكاهي. و يسمح هذا الطابع المزدوج بالإدعاء تارة بأنه يمثل الحقيقة في جانبه الإعلامي النقدي، مما يمنحه مشروعية السخرية الجارحة تحت ذريعة حرية تعبير، كما يسمح بالتنّصل من الجانب الثلبي الجارح بالتخفي وراء الجانب الفكاهي و الادّعاء بأنّ الأمر ليس جدّيا. و هي نفس المبرّرات التي قدّمها أصحاب الكاركاتور المذكور.
إذن الصورة، و على عكس ما يشاع، لا يمكن أن تكون لغة عالميّة، فمعناها يتغيّر حسب ثقافة القارئ و معتقده و سنّه و مستواه التعليمي، و فئته الإجتماعيّة.
و الصورة أيضا، و على عكس ما كان يقال بأنها لا يمكن أن تكذب، يمكنها أن تكذب حتى على حسن نيّة. و تتوقّف درجة الصّدق على الشخص الذي التقط الصورة، و على الزاوية التي التقطت منها، و الإطار المستخدم، و اختيار سكرتير التحرير أو المخرج صورة من بين عشرات الصور الملتقطة حول الموضوع.
كما يتوقف فهم الصورة على الموقع الذي نشرت فيه، فإذا وضعت في موقع سيئ في الصفحة فإنّ القارئ لا يراها بنفس الطريقة لو وضعت في موقع بارز.
كما يتوقف فهم الصورة و تاويلها على التعليق (مفتاح الصورة) الذي يعطي معنى إضافيّا يمكن ان يغيّر وجهة المعنى الظاهر للصورة.
كلّ هذه المؤثّرات تكوّن إشكالات بحث في الصورة كلغة غير قوليّة و كوسيلة دعائيّة.

3) جنس المقال

إن اختيار جنس المقال أو نوعية الحصّة لطرح موضوع معين ليس اختيارا اعتباطيا، بل هو يرتبط بمدى اهتمام الوسيلة الإعلامية بالموضوع و برغبة جلب اهتمام المتلقي إليه.
و تنقسم الأجناس الصحفية إلى نوعين أساسين:
- المقالات الإخبارية و هي الخبر المجردّ و التفسير و التحليل و الإستجواب و الروبرتاج و التحقيق.
- و مقالات الرأي و يدخل ضمنها العمود و التعليق و النقد و الإفتتاحية و البطاقة.
و يمكن أيضا تقسيمها إلى:
- أعمال مكتبيّة مثل الخبر المجرد و التأليف و التفسير و التحليل و مجمل مقالات الرأي.
- أعمال ميدانية و هي الإستجواب و الروبرتاج و التحقيق.

و تعبّر الأعمال الميدانية عن اهتمام الوسيلة الإعلامية بالموضوع، فهي من جهة مكلّفة ماديّا، و هي، من جهة أخرى، أجناس تجلب اهتمام المتلقي أكثر من غيرها و تؤثر فيه. كما يمكن توظيف مقالات الرأي لتمرير مواقف معيّنة.
لذلك فإن البحث في تواترها لتحديد نسبتها الكميّة يسمح بتحديد الأجندة الإعلامية، أما تحليل مضمونها تحليلا نوعيّا كخطاب، فيوفّر مؤشرات هامة على مغزاها و هدف الوسيلة الإعلامية من التركيز عليها.

4) التّوقيع

و نقصد به هوية المتكلم. و للتوقيع أهميّة خاصة كمؤشر على درجة الإهتمام بموضوع ما. فالمواضيع الهامة يوقّعها عادة الصحافييون المحترفون و المشهورون إضافة إلى مثقفين و مختصين معروفين. و يهتم الباحث بتحديد نسبة التواقيع و أنواعها و التوجه السياسي للمساهمين من غير الإعلاميين.

5) المصادر

المصدر هو غير التوقيع، و إنما هو الجهة التي أخذ عنها الصحافي المعلومة، و يمكن أن تكون وكالة أنباء أو مصدر رسمي أو مختص أو شاهد عيان أو الموقّع ذاته. و من المهم أن تكون المصادر متنوعة و من جهات سياسية أو فئات اجتماعية مختلفة، لإضفاء المصداقية. فعدم تنويع المصادر يمكن أن يكون مؤشّرا على ممارسة التضليل بالتعتيم على مصادر مختلفة و متناقضة.

و يتم ذلك عن طريق الاعتماد كليا أو جزئيا على وكالة الأنباء الوطنية التابعة للسلطة في الدول غير الديمقراطيّة، أو بالغلّو في إعطاء الكلمة لأشخاص من تيار سياسي واحد، و هو ما ينسف قاعدة التوازن الإعلامي التي تحقّق الموضوعيّة و الحياد. و هو ما قامت به الإدارة الأمريكية التي كلفت بهذه المهمة كبرى وسائل الإعلام المساندة لسياستها و نجحت بذلك في احتكار الحقيقة و توجيه الرأي العام وجهة محددة. فقد لعب الإعلام الأمريكي على وتيرة الإجماع بتجاهل الأصوات المعارضة و نجح في إفراغ ذهن المتلقي من بذور الشك.

و قد أكد مرصد الإعلام الأمريكي المستقل (فاير) الذي قام بتحليل مضمون النشرات الإخبارية لستّ قنوات تليفزيونية على مدى ثلاث أسابيع (ابتداء من يوم 20 مارس 2003 تاريخ إعلان الحرب على العراق) أن المشاهد الأمريكي كان يتلقى 25 تعليقا مواليا للحرب مقابل تعليق واحد معارض, و أن عدد المصادر العسكرية كان مضاعفا للمصادر المدنية, كما لم تتجاوز الآراء ذات المصدر الأكاديمي أو المدني نسبة الأربعة في المائة من بين مجمل الآراء المعروضة. كما أنه و من بين 840 متحدثا من الإدارة أو من الجيش دافع أربعة فقط على رأي معارض للحرب. و لم تقم أي قناة بحديث مطول مع شخصية سياسية معارضة. وهكذا انطمس النقاش المتوازن بين مؤيد للحرب ورافض لها (2)

الفصل الثاني: أساليب المغالطة باللغة القولية

يؤثّر خضوع وسائل الإعلام، طوعا أو كرها، للضغوطات السياسية في وظيفة الإعلام.

و يبدو ذلك أساسا من خلال تشويه اللغة الإعلاميّة القولية، و فرض رأيا معيّنا على المتلقّي تحت غطاء الإخبار فتتحوّل بذلك وسائل الإعلام من مؤسّسات إخبارمساعدة على تكوين الراي إلى مؤسّسات دعائيّة.

و لا يقيّم موقف الصحفي من خلال استعمال ضمير المتكلم فقط، إذ توجد طرق ضمنيّة لفرض رأي ما. فالموقف يمكن أن يختفي وراء طرق قوليّة أخرى، وصفيّة أو سرديّة أو حجاجيّة، فحتى الخبر الذي يعتبر نظريا محايدا، فإنه يمكن أن يستغلّ لتمرير رسائل سياسية من خلال التّواتر و التركيز على فاعلين محدّدين، و على طريقة تقديم صورهم، و وصف أفعالهم و قيمهم، و التنبؤ بانعكاسات هذه الأفعال. كما أن اختيار ألفاظ حاملة لقيم معيّنة تكشف موقف الإعلامي (الإختيار مثلا بين قول عمليّة استشهاديّة أو انتحاريّة و قول المقاوم أو الإرهابي)

و تستلهم معظم هذه الطرق من تقنيات دعائيّة مشهورة يتمّ توظيفها في مجال الإعلانات و في المجال السياسي خاصّة.
والدعاية حسب منجد اللغة والإعلام "هي نشر الدعوة لشخص أو حزب أو عقيدة" و يرى "هارولد لاسوال"
Harold Lasswell
إن الدعاية هي الاحتيال عن طريق الرموز. و في ما يتعلّق بالدعاية وعلاقتها بالحقيقة يقول "وينستن ترتشل": "الحقيقة ثمينة إلي حدّ أنه يجب حمايتها بموكب من الأكاذيب"

و تمارس الدعاية على الفرد بوسائل تصويرية أو كلامية أو موسيقية.

و تتمثل وضيفة الدعاية في إقناع المتلقي و التأثير عليه عن طريق رسائل دعائية محمّلة بمضامين نابعة من تصور إيديولوجي، و ذلك بهدف توجيه الجماهير و تطويعهم حسب رغبة الباث.

و لكي نتمكن من التفريق بين ماهو إخباري و ما هو دعائي يجب أن نكون ملمين بأشكال الدعاية و بقواعدها و أساليبها اللغويّة.

الفقرة الأولى: أشكال الدعاية

للدعاية أنواع أربعة و هي:

1 الدعاية البيضاء

وهي دعاية تخاطب المتلقي بطريقة علنيّة وتتّسم بوضوح مصدرها و بكشف اتجاهها و أهدافها، مثال البرامج التربوية و البرامج الصحيّة.

2 الدعاية الرّماديّة

و يمكن تلخيصها في كونها "كلمة حق أريد بها باطل"
فهي دعاية تركز اتّجاهها على خدمة هدف خفيّ غير الذي تعلنه، دون إخفاء مصدرها. و يمكن خلق وسائل إعلام خاصّة للقيام بهذه المهمّة (صوت أمريكا، قناة الحرّة، راديو سوا، مجلّة هاي...)

كما تعتمد الدعاية الرّماديّة في خطابها على البديهيات و الحقائق التي لا مجال لإنكارها، مضيفة إليها بعض الأكاذيب. وهذا النوع من الدعاية يجنّد كل ما لديه من إمكانيّات لتجميل الأكذوبة. و لأن لكل حرب أهداف معلنة وأخري مسكوت عنها، تستخدم الدعاية الرّماديّة
لإخفاء الأهداف التي لا يمكن إعلانها، لذلك يقال بأن الدعاية هي نصف الحرب، و هذا النصف هو الذي يكون في الأغلب كاذبا.

فالدعاية الأمريكية لمشروع الشرق الأوسط، في الإعلام الموجه للعرب، تركّز مثلا على عدم احترام حقوق المرأة و عدم توفّر الديمقراطية، و هي فعلا كلمة حقّ غير أنّ مرادها باطل.

3 الدعاية السوداء

وهي دعاية تعتمد الأكاذيب الصّرفة و مخاطبة الأحاسيس. و يكون مصدرها مجهولا و أهدافها غير جليّة. و تتّسم بعدم ذكر المصدر أو غياب التوقيع، أي بنشر مقالات غير موقّعة أو موقّعة بالأحرف الأولى أو بأسماء مستعارة غير معروفة ممّا ينسف مصداقية الخبر. و تدل هذه الممارسات على أن مصدر الخبر غير صحفي ويمكن أن يكون وليد أجهزة المخابرات.

و تستعملها عادة الإذاعات و الصحف السريّة لتمرير إشاعات. وتستخدم الدعاية السوداء أثناء الحروب لتحطيم معنويات العدّو، عبر تشويه الحقائق وبث معلومات ناقصة أو كاذبة و هو ما يسّمى بالحرب النفسية، و هدفها غسل الأدمغة و إعادة برمجتها إديولوجيّا. و يجب ان تعتمد

الدعاية السوداء على الترويج الواسع و التّواتر لضمان النجاح، لذلك تشكّل وسائل الإعلام أداتها الأساسيّة، فيطلب تطوّعها للتعاون في الحملة أو يتمّ توظيفها بالحيلة، من خلال التّسريب.

فالولايات المتحدة الأمريكية، المتفوقة بلا منازع في مجال تقنيات الاعلام، أظهرت مهارة فائقة في هذا المجال. فالعديد من دوائر الاتصال داخل إدارة البيت الابيض و البنتاغون و وكالة الاستخبارات المركزية و وزارة الخارجية، اضافة الى المستشارين في العلاقات العامة، سعوا، بحسب التعبير الرسمي، إلى "اجتذاب القلوب والعقول" لصالح استراتجية جورج دبليو بوش الهادفة الى تطبيع العراق عن طريق توظيف الإعلام.

و قد تسربت، في شهر فيفري 2002 ، معلومات مفادها ان وزارة الدفاع الاميركية انشأت في سرية تامة خريف 2001 مكتبا للتأثير الاستراتيجي يسعى الى التلاعب بالرأي العام من خلال، وهنا المهارة القصوى، وكالات انباء غير امريكية، خصوصا رويترز و وكالة الصحافة الفرنسية. ولمواجهة موجة الاستنكار في الكونغرس والصحافة، اضطر وزير الدفاع رامسفيلد للاعتذار واعلان اغلاق هذا المكتب الذي سارع الى استبداله بمكتب آخر اطلق عليه اسما محايدا هو "مكتب المشاريع الخاصة".

4 الدعاية المضادة

و وظيفتها مجابهة الخصم، وهي تقوم على دحض ادعاءاته وفضح أكاذيبه وتعتمد في ذلك على عملية تحليل عام لخطاب العدوّ بهدف مهاجمة النقاط الضعيفة و وضع دعاية الخصم في تناقض مع الواقع (مثال الدعاية المضادّة لقناة المنار تجاه إسرائيل)

الفقرة الثانية: قواعد الدعاية

و تعتمد الدّعاية على خمس قواعد مشهورة و هي:

1 قاعدة التبسيط

La vulgarisation

تستعمل الدعاية هنا أسلوبا بسيطا و واضحا و تعتمد على شعارات و أوامر تصاغ بأقصر أسلوب و بأقوى تأثير ممكن و تستعمل هذه التقنية عادة في الإعلانات التجاريّة و التظاهرات الشعبيّة.

2- قاعدة العدو المشترك و الواحد:

L’ennemi commun et unique

تعمل الدعاية هنا على إبراز عدو واحد يهدد الجماعة

و تتمثّل وضيفة قاعدة التركيز على عدوّ واحد في عدم التشويش على فكر المتلقي لأن كثرة الأعداء تنقص من مصداقيّة المتكلم و تجعل المتلقي يتساءل حول الأسباب التي جعلته مكروها من أطراف متعددة.

3- قاعدة التجويق:

L'orchestration

و تتمثل في تكرار نفس الموضوع. و ينشاء التكرار الكثافة الحسية و الشعورية للمعاني و المفاهيم و الصّور التي يراد غرسها في العقل الباطن للمتلقي (البرمجة الدّماغيّة) كما يمنع المتلّقي من التفكير في الحدث بعقل نقدي. و لكن التكرار في كل النشرات الإخباريّة و لأيام متتالية يولّد الملل، فينقلب السحر على الساحر، لذلك يتم تقديم الفكرة بصيغ مختلفة من خلال زوايا نظر متنوعة. و هو ما يسمّى بالمحاور المتواترة في خطاب ما.

Les thèmes récurrents

4- قاعدة الإدماج/ الاصفاق:

L'intégration

يقال أصفق القوم على قول واحد أي اتّفقوا.

و تستغلّ هذه القاعدة ما هو مجمع عليه قيميّا في مجتمع ما لصالح بناء توجّه معيّن، أي انّها تتمثل في استثمار ركيزة ثقافية هامة في البنية الفكرية للمجتمع للتأثير في المتلقي و تغيير سلوكه، وهي قاعدة يلجا إليها للتّعبئة و التجييش.

و تعتبر الألفاظ الدينية أكثر الكلمات أو العبارات المستعملة في قاعدة الاصفاق، لأنها أقدم و أهم ركيزة ثقافيّة في المجتمع، ويمكن أيضا استغلال شعارات مثل الديمقراطية، التقدم، مقاومة الفقر، التنمية... إلى جانب استخدام قواعد البلاغة بالنسبة للعرب.

و قد قامت باحثة الدراسات الإسلامية في جامعة لايبزيغ، "كرستينا شتوك" في بحثها المعنون ب "اللغة كوسيلة للسلطة: استراتيجيات البلاغة العربية السياسية في القرن العشرين"(3) بتحليل عدد هام من خطب الرئيس العراقي السابق صدام حسين وخطب الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر ومقارنتها، راصدة آليات توظيف البلاغة في فرض توجهات السلطة وسياستها.

و تقول " شتوك " (ص 57) إن البلاغة السياسية العربية "لا تفضّل التعبير المباشر بل الرموز والأمثلة والحكم ومقارنات بالتاريخ الإسلامي أو مقارنات بدول أخرى، فلا عجب أن يكون التشبية والتمثيل والحكم أهم الوسائل اللغوية المستعملة في الدعوة الدينية. فعلم البيان مناسب لتفسير بعض الظواهر, ولكن ليس بشكل مباشر بل بالاستعانة بمقارنات وتشابيه. ويتميز مجاز المشابهة والاستعارة بتأثير عاطفي خاص، وذلك بسبب غموضهما ومعناهما غير المحدد، (مثال

من عندنا: كثير الرّماد بمعنى مضياف، و نؤوم الضحى بمعنى الفتاة المترفة) وهذا ما يفسر كثرة استعمالهما كوسيلة في الدعاية الأيدولوجية وهذا لا ينطبق فقط على العالم العربي"

وتضيف "كرستينا شتوك" في بحثها المذكور (ص 109) بأنّ عبد الناصر كان يعطي أمثلة من الحياة اليومية لتوضيح أفكار مجردة :"فإذا أراد أن يقول مثلا بأنه من الممكن حل الخلافات بطريقة سلمية, يعطي مثال أب يختلف مع أطفاله لأنهم يبالغون في الذهاب إلى السينما. وهذا المثال مقنع, لأن عبد الناصر كان لديه أطفال. في النهاية يتوصل الأب والأطفال إلى حل وسط، إذ لا يجب أن تقود الخلافات الشعب إلى عداوات"

5- قاعدة التضليل الإعلامي:

La désinformation

و يتمثل التضليل في وصف جزء بسيط من الواقع و التعتيم على الجزء الباقي لصياغة كاذبة، بالمقارنة مع المضمون الأصلي لخبر ما، مثل نشر وسائل الإعلام للجانب الايجابي من تصريح يخصّ نظاما ما و التعتيم على الجانب السلبي من نفس التّصريح.

يقول الصحفي الفرنسي اريك رولو

Eric ROULEAU

في مقال صادر في جريدة "لوموند ديبلوماتيك"، (العالم الدبلوماسي) يحمل عنوان "التضليل الإعلامي من خلال الحرب على العراق"(4)
"تحت ستار "التواصل" تمارس جميع الحكومات التضليل الاعلامي في شكل من الاشكال. فالتلاعب بالمعلومات يصبح شائعا في أحوال الحرب عندما يكون كل شيء مكرسا لتعبئة الشعب: نشر انصاف الحقائق، وبث الشائعات. و تعرّف الحرب بكونها "عادلة" و "لا مفر منها" و "دفاعية". وتصبح "وقائية" اذا ما اتخذت احدى الدول المبادرة في النزاع خلافا للمعاهدات الدولية، الهادفة بالتحديد، الى ابطال شريعة الغاب في العلاقات بين الدول"
تكون إذن المعلومة هي الضحية في قاعدة التضليل.

6)- قاعدة التعتيم الإعلامي أو المسكوت عنه

L'occultation

Le non dit

يقوم التعتيم على أسلوب يتم بموجبه إلغاء الحدث إعلاميا و كأنه لم يقع، أو يتم تعويضه في بعض الحالات بخبر مناقض تماما، أو يقع الرد على حدث أو خبر ما، دون إعلام القارئ بالحدث الأصلي.

فقد لاحظنا مثلا, يوم 4 نوفمبر 2005, أن قناتي "ل س إ" الإخباريّة الفرنسيّة و "أورونيوز" الإخباريّة الأوروبيّة، اقتصرتا على بث صور الاحتفال بالذكرى العاشرة لقتل "إسحاق رابين" و سكتت عن الصور البائسة لأطفال فلسطينيين كانوا يلعبون في نفس اليوم, وهو يوم عيد الفطر, تحت الجدار العازل و تحت رقابة الرشاشات الإسرائيلية.

و لننظر كذلك في الأهداف التي أعلنتها الإدارة الأمريكية لإضفاء الشرعية علي عدوانها على العراق سنة 2003، و في تلك التي صمتت عنها و التي أصبحت اليوم واضحة.
و يمكن تلخيص الاسباب المعلنة من طرف الإدارة الأمريكية في الإدعاءات التالية المرّوجة إعلاميا:
- تورّط العراق في أحداث 11 سبتمبر، بارتباطه بمنظمة "القاعدة"
- غياب الديمقراطية.
- وجود أسلحة الدمار الشامل
- تهديد النظام العراقي لجيرانه في الخليج خاصّة، ممّا يؤدّي إلى تهديد السلم في العالم
- عدم احترام نظام صدّام حسين قرارات الشرعية الدولية.

و يوجد من بين الأسباب الخمسة المذكورة، سببان حقيقيان فقط هما غياب الديمقراطية و عدم احترام نظام صدّام حسين لقرارات الشرعية الدولية، و هي أصلا أسباب واهية. فواقعيا يوجد العديد من الدول الصديقة لأمريكا في هذه الحالة و أوّلها اسرائيل بخصوص عدم تطبيق القرارات الدولية.
أما الأهداف الخفيّة التي لم تعلن عنها الإدارة الأمريكية في مؤتمراتها الصحافية، أي التي عتّمت عليها، فيمكن تلخيصها في:
- تغيير خريطة الشرق الأوسط بإسقاط دول وتحويلها إلي دويلات صغيرة.
- الاستيلاء علي ثروات المنطقة.
- إحداث فراغ مدني وعسكري.
- تحويل العراق إلي قاعدة عسكرية كبري واستخباراتية.
- إخضاع الدول المجاورة للعراق مثل سوريا و إيران، التي قد تشكل خطرا، وإجبارها علي تغيير سياستها.
- تحقيق السياسة الأمريكية في إسرائيل علي حساب حقوق الشعب الفلسطيني.
- تحقيق إقلاع اقتصادي واجتماعي داخل مجتمعها وضمان مستقبلها من مداخيل النفط و بيع الأسلحة و عقود إعادة إعمار العراق الضخمة التي يسهل على الصناعات الاميركية الفوز بها في ظل حكومة "صديقة".
- البروز كالقطب الأقوي عالميّا و إرضاخ أوروبا لقراراتها.

ولا يوجد طبعا أي أثر في التصريحات الرسمية حول الفوائد المتوقعة من قيام نظام موال لاميركا في العراق ولا حول المخزون النفطي الكبير في العراق (الثاني من حيث الاهمية بعد السعودية)، أو حول وزن هذا البلد وتأثيره في منطقة الخليج و توسّع الهيمنة الاميركية وترسيخها في الشرق الاوسط وما يتعداها او حول التزايد المتوقع للوزن الاستراتيجي لاسرائيل في مواجهة عالم عربي واهن ومعرض اكثر فاكثر لما تفرضه عليه الولايات المتحدة.

إن تعتيم وسائل الاعلام الكبرى على هذه الاعتبارات يترك الرأي العام الاميركي أمام الظواهر الثانوية والجوانب التقنية للحرب المتوقعة.

و قد استعملنا لفظة تعتيم لأنّه كان من السهل على وسائل الاعلام الأمريكية اكتشاف الوجه المستتر للاستراتجية الاميركية، وذلك بمجرّد العودة الى وثائق مؤسسة "مشروع القرن الاميركي الجديد" (5)
و تعتبر عقيدة بوش تعبيرا صادقا عن هذا المشروع.

و من بين الأهد ف المعلنة بوضوح في هذه الوثائق، تأكيد "الدور القيادي العالمي" للولايات المتحدة لا سيما من خلال منع اي دولة صناعية أخرى من لعب أي دور مهم على الساحتين الدولية والاقليمية (لا يشار الى الدول الاوروبية بالاسم). وتنصح الدراسات بسياسة أحادية الجانب، و باللجؤ عند الضرورة الى الحرب الوقائية من اجل الدفاع عن "قيم و مصالح" الولايات المتحدة. وتعتبر الامم المتحدة "منتدى لليساريين والمعادين للصهيونية والامبريالية" لا يفترض اللجؤ اليها الا اذا دعّمت سياسة واشنطن.

أما المسالة العراقية فتعالج من وجهة المصالح الاستراتيجية الاميركية. فالموضوع لا يتعلق بالديكتاتورية او بخرق حقوق الانسان ولا بحيازة اسلحة الدمار الشامل او دعم الارهاب بل فقط بضرورة المحافظة الى ما لا نهاية على قواعد عسكرية اميركية في الخليج "سواء بقي صدام في السلطة أم لا". ويوجّه الموقّعون تحذيرا من أن "القوة العظمى العالمية الوحيدة" قد لا تنجز دورها التاريخي إذا عجزت عن استغلال الفرص.

و قد بدأ تنفيذ خطة الطريق هذه بعد الاعتداءات على نيويورك وواشنطن في سبتمبر 2001. و قبل إعلان الحرب على العراق، اعترف أحد الموالين للإدارة الأمريكية بطريقة غير مباشرة بالاهداف الحقيقية عندما نشر أحد الصقور البارزين في واشنطن و الصديق الشخصي لوزير الدفاع، "فرانك غافي"، مقالا يتهجم فيه على "اليسار" الذي يريد حرمان الولايات المتحدة وسيلة حرب لا غنى عنها (6)

و تأكيدا لهذا التحليل نذكّر باعتذار الرّئيس "بوش" بعد انتهاء ولايته.

كما عتّمت وسائل الإعلام الأمركية على تعاون وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، مع الرئيس العراقي صدّام حسين في مطلع الثمانينات خلال الحرب العراقية-الايرانية. ووثائق البنتاغون خير دليل على ذلك، فقد سهّل رامسفيلد حصول صدام حسين على الاسلحة الكيميائية التي استخدمها في حربه ضدّ ايران و ضدّ اكراد العراق (7)

و قد ذهل الأمريكيون في المرة الوحيدة التي قامت خلالها مذيعة جريئة ببث صور "رامسفسلد" وهو يصافح "صدام حسين" سنة 1980 بعد إتمام صفقة الأسلحة الكيميائية.

و كان يمكن لهذه المعلومة دفع المتلقي إلى تفكير حرّ و نقدي حول الحملة التي يشنها النظام الأمريكي ضدّ صدّام حسين الذي وصف بالمجرم بسبب استعماله لأسلحة محرّمة دوليّا. فقد يعتبر النّظام الأمريكي شريكا في الجريمة في هذه الحالة خاصّة أنّه لم يتمّ الكشف عن هذه الممارسات بعد مرور قرابة العشرين عاما، مما يدعو إلى الاستخلاص بأن التهمة هي مجرّد مبرّر لشنّ حرب من اجل تحقيق أهداف اقتصاديّة و جيواستراتيجيّة لا تمتّ بصلة للأهداف الإنسانيّة المعلنة.

و إذا لم يكن من الممكن للمتلّقي الأمريكي، الذي لا يحمل في غالبيّته مقومات ثقافة عالمية، أن يستنتج بنفسه استحالة اللقاء الفكري بين "صدام حسين" البعثي اللائكي و "أسامة بن لادن" الإسلامي السلفي، و إذا لم يكن من الممكن لهذا المتلّقي أن يستنتج بنفسه أن العراق لم يكن قادرا في يوم ما على صناعة أسلحة الدمار الشامل، كما ادّعت الإدارة الأمريكية، و أن المرة الوحيدة التي استعمل فيها أسلحة كيميائية كانت بمساعدة أمريكية، فإنّ وسائل الإعلام كانت قادرة على ذلك غير أنّها ساهمت بترديدها تأكيدات الرّئيس "بوش" في إيهام المتلقّي بأن هذه التأكيدات هي "الحقيقة الحقيقية"

7-) **قاعدة التحويل أو كبش الفداء**

Le déplacement ou le transfert

وهي آليّة دفاع ذاتي مرضي، حسب نظرية التحليل النفسي الفرويدي، حيث يقوم المريض، في حالة الإكراه أو الضغط الاجتماعي، بتوجيه أو تحويل عاطفة ما (حب أو كره) نحو موضوع أو شخص بديل (الطبيب أو الله، قصة رابعة العدوية مثلا) غير أنّ تقنية التحويل الدّعائيّة التضليليّة تعتمد بوعي و تخطيط من طرف القائمين على الدّعاية السّياسيّة.

و تعتمد تقنية التحويل في الخطاب السياسي خلال الأزمات بحيث يقع إما تحويل وجهة المسألة بالتركيز على حدث بديل (مثال التركيز على مباريات كأس العالم لكرة القدم، صيف 1982 خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان، و على أنفلونزا الخنازير التي غطّت الكثافة الإعلاميّة حولها على الأزمة الإقتصاديّة سنة 2009) أو يقع الترويج لأسباب وهميّة أو حقيقيّة يتمّ تضخيمها لتبرير الأزمات (شنّ حملة ضدّ الفساد و كشف المرتشين على اساس أنهم السبّب في التدهور الإقتصادي و السياسي، كشف جواسيس لتبرير انهزام في حرب...إلخ)

و قد كان الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة يلجأ إلى هذه القاعدة بعد كل أزمة لتبرير فشل برامجه بالبحث عن كبش فداء، من داخل السلطة أو من المعارضة أو حتّى من خارج البلد، و تحميله مسؤولية التقصير.

و تتطلّب هذه القاعدة القيام بحملة إعلاميّة، لانّ الإعلان عن "اكتشاف الخائن" في خطبة واحدة لرجل سياسي لن يؤثّر كثيرا في الجمهور و لن يقنعه بقبول المحاكمة التي تنتهي عادة بالإعدام أو بحكم قاس بالسّجن، لذلك وجب اعتماد تقنية تواتر الخبر و تحليله و إضافة معلومات توضيحيّة و "إقرار" المتّهم "بجريمته" أمام كامراءات التلفزيون. و من هنا نرى أنّ نجاح الخطّة مرهون بتعاون وسائل الإعلام و قبولها القيام بهذه المهمّة السياسية.

8-) **قاعدة السّؤال الموجّه**

السؤال ليس دائما بريئا، فهو صنف خطابي يقيم علاقة ذي وجهين

Une relation ambivalente

بين المتكلم و المتلقي. فعندما يكون الهدف من السؤال طلب معلومة أو خدمة ما، يكون المتكلم في وضع أدنى من وضع متلقي السؤال، و عندما يكون السؤال أمرا، مثل ما هو الحال داخل قسم الشرطة أو الفصل الدراسي، يكون القائل في مرتبة أعلى من المتلقي. كما يسمح السؤال الموجّه بالحصول عادة على موقف محدد سلفا من قبل الصحفي.

بعد إلقاء القبض في ديسمبر 2003، على الرئيس الراحل صدّام حسين، بثّت قناة الجزيرة حصّة خاصّة حول تداعيات الحدث. و تضمّنت الحصّة استفتاء يدور حول السؤال التالي:"ألا ترى أن إظهار صدّام حسين بهذا الشكل يمثّل إهانة إلى العرب و المسلمين؟" و هو سؤال مغلق و موجّه يدفع بالمتلّقي إلى الكسل الذّهني و الإجابة فورا بنعم. و كان من الأصحّ إعلاميّا طرح سؤال مفتوح مصاغ مثلا كما يلي:"ما هو رأيك في الطريقة التي تمّ بها إلقاء القبض على صدّام

حسين؟" عن السؤال المفتوح يدفع المتلّقي إلى إعمال فكره النقدي و عدم دفعه إلى تبنّي رأي الوسيلة الإعلاميّة معتقدا بأنه يعبّر عن رأيه الخاص.

9) قاعدة الاقتصار على أو الإكثار من ذكر الأخبار السارة

و هي طريقة تهدف إلى تدعيم شرعية الفاعلين السياسيين حين تكون شرعيتهم ضعيفة، كما يتم إبراز الأخبار السيئة التي تحدث في العالم و ذلك في نفس الصّفحة أو النشرة الإخباريّة، التي يقتصر فيها على ذكر الأخبار السارة للفاعلين السّياسين المحلّيين.

10) **قاعدة الاقتصار على ذكر الأخبار السيئة للخصم**

و هي قاعدة مقابلة للقاعدة السابقة، و هدفها تشويه الخصم و تكوين صورة سلبية عنه و ذلك سواء كانت هذه الأخبار حقيقية أو كاذبة.

11) قاعدة الخلط المتعمّد

L'amalgame.

و هي ممثالة اعتباطيّة و تعسّفيّة بين حدثين أو ظاهرتين دون تحديد لما يجمع بينهما، مثل المقارنة بين جمال عبد الناصر "القومي العربي الذي يحرّض على الحرب"، و هتلر "القومي الألماني الذي يسعى إلى الحرب"، و هو ما يوحي للمتلقي بأن المطالبة بتأميم ثروة مصر(قناة السويس سنة 1956) أو تحرير فلسطين، مماثلة لرغبة التوسع لدى هتلر، و هي تمثل بالتالي خطرا على السلام في العالم، هذا إلى جانب الإشارة الضمنيّة إلى معاناة اليهود و معاداة الساميّة.
و قريبا منّا أوحت المقاربة بين المظاهرات المطالبة بإعادة فرز الاصوات بعد الإنتخابات الرئاسيّة في إيران لسنة 2009و بين الثورة الإيرانية لسنة 1978 التي أطاحت بنظام الشاه، بأن النظام الإيراني على وشك السقوط. في حين كانت ثورة 1978 على النظام و ثورة 2009 داخل النظام. و الفرق شاسع على مستوى الإنعكاسات، في العلوم السياسية.

الفقرة الثالثة: الأساليب اللغوية الدعائية (8)

يتمّ تجسيد القواعد الدّعائيّة في اللغة الإعلامية القوليّة بأساليب خاصّة، من خلال اختيار استراتيجية خطابيّة و حجاجيّة معيّنة. و تساعد هذه الأساليب على إخراج المشاهد المراد ترويجها، وهي عادة مشاهد تقوم بإعادة صياغة العالم أو الواقع، و العمل على التأثير في المتلّقي و إغرائه بغية إقناعه بتبني إديولوجيّة ما و دفعه إلى التحرك و الفعل على أساسها.

و نذكر اكثر الأساليب اللغوية الدعائية رواجا في ما يلي:

1- اللغة الخشبية (9)

La langue de bois

و هي تلائم قاعدة التبسيط لأنها تسمح للمتلقي مهما كان مستواه التعليمي بالفهم و الاستيعاب السريع و الحفظ، و يفضّل أن تكون جملة إسمية تمزج بين السجع و التقابل و حتى الغناء، لكي تحفظ بسرعة. (شعار المجاهد الأكبر/ معركة التنمية / محور الخير و محور الشر/ لا صوت

يعلو فوق صوت المعركة، الإسلام هو الحلّ) غير أن هذه اللغة هي في الحقيقة بدون معنى، فهي مجرّد ألفاظ لا تستند إلى شئ واقعي ملموس.

و اللغة الخشبية هي لغة متيبّسة تعتمد القوالب الجاهزة و الأحكام المعيارية و الشعارات و العبارات الجاهزة

Expression figée

(عبارة 11 سبتمبر أصبحت عبارة جاهزة تنتمي إلى اللغة الخشبية في الخطاب الأمريكي) و تتميز مفردات اللغة الخشبية بالتعميم، كما تعتمد على الكلام الملتبس الذي يحتمل أكثر من معنى و الذي لا يفصح عن القناعات الحقيقية للمتكلم، و يتم ذلك من خلال استعمال مصطلحات دون تحديد لمعناها الدقيق مثل الحرية و الديمقراطية و الإسلام و الإرهاب و التقدم و الازدهار أو التأهيل الشامل (الوقوف عند الدال دون ذكر المدلول) وهي أيضا لغة تتفادى تسمية الأشياء بأسمائها من أشخاص و أماكن و أفعال مثال: "الذين يصطادون في الماء العكر" هذه الجملة التي لا توضّح الفعل أو الفاعل، تنقص من أهمية الخبر فللخبر، كما هو معلوم عناصر أساسية لا يستقيم بدونها. كما تتميز المقالات المعتمدة على اللغة الخشبيّة بالأسلوب الإنشائي التي يتّسم بإكثار الأوصاف و تقديم الرأي و الإستخلاصات دون البرهنة عليها.

و تعكس هذه الظاهرة اللغوية موقفا سياسيا متصلبا لا يقبل النقاش أو الجدل، وهي تنتشر في البلدان ذات الأنظمة الاستبدادية. و قد أطلق البولنديون على هذه اللغة اسم "لغة المشعوذين" و كذلك "لغة الحلم" بعد تحليل خطاب وسائل الإعلام في عهد الحكم الشيوعي الذي كان يركّز على شعارات من نوع "تحقيق السعادة، تحقيق المساواة" دون تقديم تفسير لطريقة تطبيق هذه الشعارات.

إذن اللغة الخشبية هي لغة الدال دون المدلول بحيث يصبح الدليل مقتصرا على الدال فقط "الوطن هو الوطن" "التضحية هي التضحية"

Une tautologie

و هي لغة لا تستقيم من حيث المعنى حسب نظرية "دي سوسير"

إنّها استراتيجية لغوية يتبنّاها أغلب السياسيين تتمثّل في إفراغ الكلمات من دلالاتها و معانيها وحشوها بمعان علي هوي مصالحهم. و قد أدّت استراتيجية اللغة الخشبية، غير المنتجة دلاليا وثقافيا، إلى تشويه المصطلحات بل و تشويه المعرفة ذاتها، و إلى تراجع المعرفة الموضوعية والنزعة النقدية التحليلية في المؤسسات التعليمية والثقافية و الإعلاميّة. فقد اصبح مصطلح الديمقراطية، مثلا، معادلا للفوضى أو للكفر.

2- اللغة المانوية

و الكلمة مشتقة **من** "المانويّة" و هي ديانة قديمة.

Le manichéisme

أسّسها الفارسي "ماني" في القرن الثالث بعد الميلاد. و ترى هذه الدّيانة أن العالم مؤسس على ثنائيّة الخير و الشر فقط.
و تستعمل كلمة "مانوي" اليوم

Manichéen

لنعت الأقوال و الآراء و حتى الأشخاص الذين لا يقبلون الحلول الوسطى و الفروقات
Les nuances

فاللغة المانوية هي إذن لغة مؤسسة على ثنائية الخير و الشر كمبدأ و حيد يقوم عليه العالم، و هي تتماشى مع قاعدة العدو المشترك و الواحد.

و يصور الخطاب المانوي عالما و حيدا يمكن العيش فيه، و هو عالم الجنّة أما العالم الآخر فهو مرادف لجهنم. و في الخطاب المانوي يقدم المتكلم رأيه على أنه الحقيقية الوحيدة المطلقة. و الخطاب المطلق هو خطاب استبدادي و رافض للحوار. و يتولد عن الخطاب المانوي ظاهرة تنزيه الذات و تدنيس الآخر و شيطنته. و هي سمة الخطاب التكفيري.

Sanctification de soi et diabolisation de l’autre

يقسّم إذن، الخطاب السياسي المانوي العالم إلى خيّرين، يمثّلهم و يجسّدهم المتكلم، و إلى أشرار، يمثلهم الآخر، أي العدو أو المنافس.
و نجد مثالا واضحا لذلك في خطاب بوش حول "محور الخير و محور الشر" و أيضا في خطاب الخميني "أمريكا الشيطان الأكبر" مما يدفع بالمتلقي إلى رفض الآخر و الاعتداء عليه تحت ذريعة الدفاع عن النفس وهي أساس مفهوم الحرب الإستباقية.
يتم التأثير في المتلقّي إذن من خلال خطاب سياسي مانوي يقدس الذات الخيرية و ينزّها عن الشر، و يشيطن الآخر و يدنّسه، بالتركيز على فكرة تأصّل الشر فيه بالفطرة و ليس بفعل الظروف التي يعيشها. و يسمح هذا "العيب" الحصري و هذا الخطاب المانوي المركّز باستمرار على "نحن" و "هم" بشرعنة الاعتداء على أصحاب "حضارة الشر" و يتم الترويج لهذا الخطاب عبر وسائل الإعلام التي تتحول إلى بوق دعاية سياسية.
و قد أصبح الإعلام العالمي، بعد أحداث 11 سبتمبر، يعمل فعلا على أساس الثنائيات المتمحورة حول فكرة إما مع "بوش" و إما مع "بن لادن" ثم إما مع "بوش" و إما مع "صدام"
بل وصل الأمر إلى تقديس بعض الكلمات أو شيطنتها و تحويلها إلي دائرة الحرام والكفر، كمفهوم العلمانية الذي تقدّمه بعض الحركات السياسية الإسلاميّة بمعنى الكفر و الإلحاد، أو مفهوم الجهاد الذي تقدمه وسائل الإعلام الغربية بمعنى الإرهاب. و تؤدي شيطنة الكلمات إلي إدانات سياسية ودينية للآخرين.

و يرى المحلّلون أن الإستراتيجية الأمريكية تركز دائما على عدو مشترك واحد للإنسانية جمعاء باللجوء إلى اللغة المانويّة. فبعد سقوط الإتحاد السوفياتي، ركزت في فترة بوش الإبن على بن لادن وقبله " حظي " قادة آخرون في العالم بنعوت من قبيل " مغامر ، شيوعي، متطرف ، مختل عقليا ، نازي ... إلخ و قد قام الإعلام الغربي بمهمّة ترويج هذه الصورة السلبيّة لكل من الإيراني مصّدق ، و العراقي صدام حسين، مرورا بالمصري جمال عبد الناصر، والليبي معمر القذافي ، والفلسطيني ياسر عرفات ، وشافيز الفنزويلي و الكوبي فيديل كاسترو وغيرهم .

و نلاحظ مثلا أنّ مقولة/شعار "لماذا يكرهنا العرب ؟ " تركّز على جنس معيّن و تعتّم عن باقي الشّعوب الذين ينتقدون أمريكا بحدّة في آسيا و أمريكا اللّاتينية و حتى في أوروبا، حتّى أنّ الموالين للسياسة الأمريكية في أوروبا ابتدعوا، بعد أحداث 11 سبتمبر، شعار "كلّنا أمركيون" الذي روّجت له وسائل الإعلام، بما فيها المناهضة عادة للسياسة الأمريكية مثل صحيفة "لوموند" الفرنسيّة التي عنونت افتتاحيّتها بالشعار المذكور

"Nous sommes tous américains"

و هو شعار مانوي مدعّم لفكرة العدّو الواحد المشترك (10)

3 اللغة الإيمانية والبلاغة

و هي تتماشى مع قاعدة الإدماج/ الاصفاق.

فبالنسبة للبلاغة، يلجأ عديد الرؤساء العرب في خطبهم إلى الأساليب البلاغية التقليديّة، كالإطناب والجناس والتقديم والتأخير والحشو والحذف، فمن الاساليب المفضلة لدى عبد الناصر مثلا استخدام مصطلحات عسكرية في سياق غير عسكري (معركة, الدرع الواقي, أسلحة, ذخيرة غنية)، كما تشير إلى ذلك "كرستينا شتوك" في اللغة كوسيلة للسلطة (11)

و في الستينات نظمت الحكومة التونسية حملة نظافة تحت شعار "النظافة من الإيمان و الوسخ من الشيطان" و هكذا استغلّت الدّعاية هنا ركيزة موجودة في ثقافة المجتمع.

كما استغلّ "بوش الإبن" أيضا مرجعيّة الحروب الصليبية، أي الحرب المقدّسة، خلال الحملة الأمريكية الثانية على العراق سنة 2003.

و بعد حادثة المسجد الحرام للجهيمي "المهدي المنتظر" سنة 1981 و حملة الخميني في الثمانينات على ملوك السعودية الذين كان يتهمهم بالعمالة لأمريكا، حليفة إسرائيل، ما يعني عدم استحقاقهم شرف خدمة الأماكن المقدسّة، اتّخذ الملك فهد عام 1986 قرارا بإلغاء لقب صاحب الجلالة واعتماد لقب خادم الحرمين الشريفين، و هي أنجع طريقة لدفع التهمة عنه، ممّا يدل على ثقل و أهميّة الإشارات الدينية في ذهنيّة المتلقي المسلم.

و يظهر تحليل المصطلحات المستخدمة في خطب صدام حسين بوضوح، لجوءه خلال الحرب ضد إيران، في فترة الثمانينات، إلى مصطلحات مقتبسة من التاريخ العربي الإسلامي معروفة للجميع، و من أشهرها "معركة القادسية". إلا أنّ استعانته بألفاظ دينية و قرآنية منذ حرب الخليج لسنة 1991 كانت أمرا جديدا على أسلوبه، وربّما يعود ذلك إلى أن الحرب ضدّ إيران كانت تدور بين مسلمين يختلفون عرقيّا، أمّا الحرب الثانية (1991) ثم الثلاثة (2003) فهي كانت تدور بين مسلمين و أمزكيين مسيحيّين. و نذكّر بجملة /شعار: "الله اكبر" الذي أضيف إلى علم العراق بعد حرب 1991، و كان الهدف منه إقناع الشعب أن للحرب طابعا دينيا(الجهاد)، أي أنها تدور بين كفار و مسلمين.

وتقول "كرستينا شتوك" كان صدام حسين قبل عشرين سنة يبدأ خطبه بالتحية "أيها الرفاق" ونجد أنه يستعمل اليوم" أيها الإخوة أو أيها المؤمنون أو أيها الناس كما هو مألوف في خطب الجمعة" كما يستعمل آيات وألفاظا قرآنية أو مصطلحات دينية بوفرة ملحوظة. وثمّة ألفاظ تتكرر بكثرة أيضاً مثل: البأساء والضراء، أو الباطل ضد الحق، وهذه الكلمات القرآنية معروفة طبعا لدى المستمعين وتترك لديهم أثرا ما، إضافة إلى اقتباس آيات كاملة ومقارنات دينية مثل مقارنة الولايات المتحدة الأميركية ببني قريظة".

والجدير بالذكر أن صدام حسين لا يعتبر حالة استثنائية فيما يخص توظيف الدين سياسيّا في خطبه, فمن الملاحظ أن السياسيين العرب يستعينون عادة بالدين الإسلامي عندما يواجهون الهزيمة. وأحسن مثال على ذلك هو الرئيس المصري السابق جمال عبد الناصر، إذ كان يستعمل في خطبه عادة بعض الألفاظ الدينية اليومية مثل بعون الله أو الحمد لله، وفي حالات نادرة جدا كما حصل بعد تأميم قناة السويس فقد أسهب قليلا في الألفاظ الدينية. وتغيّر الأمر كليا بعد هزيمة عام 1967 مباشرة، فقد استخدم عبد النّاصر القيم الدينية القدريّة بإطناب، و دعا المصريين إلى الصبر والاتكال على الله ، كما طالب المسلمين بالتضامن مع بعضهم في هذا "الزمن العصيب".

و كردّ فعل على توظيف الدين سياسيا و إعلاميّا لجأت بعض البلدان الإسلاميّة التي تحالفت مع أمريكا سنة 1991 إلى الإعتماد على فتاوي سياسية تبرّر سلوكها دينيّا.

و نذكّر بالفتوى الشهيرة الصادرة عن فقيه سعودي رسمي، و التي برّرت مشاركة جيوش المسلمين مع الأمريكان في الحرب على العراق.
فقد جاء في بيان المجلس أنه "لا مانع من الاستعانة ببعض الكفار للجيوش الإسلامية والعربية ولا بأس من الاستعانة لصد عدوان المعتدي الكافر وظلمه والدفاع عن البلاد وعن حرمة الإسلام والمسلمين إذا غلب على الظن حصول المطلوب بذلك ودعت إليه الضرورة أما الإشاعات حول الحرمين الشريفين فإنهما بحمد الله بمنأى عن الزعيم العراقي وغيره وهما آمنان بحمد الله.
وكل ما في الأمر أن الدولة السعودية احتاجت إلى الاستعانة ببعض الجيوش من جنسيات متعددة ومن جملتهم الولايات المتحدة وإنما ذلك للدفاع المشترك مع القوات السعودية عن البلاد والإسلام وأهله
ولا حرج في ذلك. لأنه استعانة لدفع الظلم وحفظ البلاد وحمايتها من شر الأشرار و ظلم الظالمين وعدوان المعتدين.
فلا حرج كما قرره أهل العلم وبينوه".(12)
و هي فتوى مخالفة نصا و روحا للآية الصريحة "ألا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء"(آل عمران: 28)
غير أن الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، صاحب الفتوى المذكورة، خرج من الورطة بالاتكاء على آية"وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ"
و في المقابل و كردّ فعل على غزو الكويت من طرف العراق، أفتى الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز بتكفير صدام. و هو ما جاء في نص الفتوى و على موقعه الإلكتروني حيث أجاب الشيخ ابن باز في سؤال عن "هل حاكم العراق كافر وهل يجوز لعنه؟" فقال: "هو كافر وإن قال: لا إله إلا الله، حتى ولو صلى وصام، ما دام لم يتبرأ من مبادئ البعثية الإلحادية، ويعلن أنه تاب إلى الله منها وما تدعو إليه، ذلك أن البعثية كفر وضلال"
و واضح هنا الجانب الدّعائي السياسي للفتوى. فقد كان السعوديون خلال الحرب العراقية الإيرانية يشجعون صدّام حسين ماديا و معنويا باعتباره حامي بوّابة الخليج من "الخطر الفارسي" و لم يعتبرونه ملحدا بسبب اتجاهه البعثي، لكنه تحوّل إلى كافر عندما هاجمهم.

و بعد أحداث 11 سبتمبر بثت قناة الجزيرة أكثر من مرة خطب "أسامة بن لادن" التي تعترف ب**"الضربات المباركة ضد الكفر العالمي"** و تزخر بالدعوات إلى **"الحرب على الصليبيين"** و**"الإرهاب المحمود"** و القتال من أجل **"أن تكون كلمة الله هي العليا و كلمة الذين كفروا هي السفلى"** و التي تدين **"الغرب عامة"** لأنه **"يحمل من الحقد الصليبي على الإسلام ما لا يوصف" (13)**

يقول "برنارد لويس" في كتابه لغة الإسلام السياسي: "وما يزال الإسلام بالنسبة لمعظم المسلمين أكثر أسس السلطة رضا وقبولا أو الأساس الوحيد المقبول في حقيقة الأمر إبان الأزمات، ولا يمكن لسلطة أن تحقق هيمنة سياسية على ساحة شاسعة ولفترة طويلة جدا إلا حين تستمد السلطة الحاكمة شرعيتها من الإسلام أكثر مما تستمدها من دعاوى قومية أو وطنية أو أفكار غريبة، فالإسلام مازال يقدم في الحياة السياسية أوسع صياغة للأفكار وأكثرها إدراكا للمعايير والتقاليد الاجتماعية. ويوفر الإسلام منظومة رموز من أكثر المنظومات فاعلية للتعبئة السياسية" (14)

4- لغة التمجيد:

L' apologie

و هي لغة تتماشى مع قاعدة الاقتصار على ذكر الأخبار السارة أو الإكثار منها، و هدفها تدعيم شرعيّة الفاعل السّياسي.
و يتم التمجيد عبر الإكثار من الصفات الايجابية للفاعلين السياسيين الموالين للمتكلم. فتتكاثر صيغ التفضيل و المبالغة.
و تشكل لغة الأخبار في وسائل الإعلام الرسمية العربية نموذجا للتمجيد، حيث يقِّدم المسؤولين كأبطال في الشجاعة و سرعة الحل والإنقاذ و في الإنتصارات الوهميّة.
بل إنه يتم أحيانا استثمار الأخبار السيئة لتقديمها في صيغ ايجابية (الفيضانات تسمّى غيثا نافعا و الهزيمة تسمّى انتصارا، و الحرب هي من أجل تحقيق السّلام...)

5) لغة التقزيم و التضخيم
و هي تلائم قاعدة الاقتصار على ذكر الأخبار السيئة للخصم، و تتمثّل في الحطّ من قيمة الخصم، و في نفس الوقت التضخيم من قدراته الشّريرة، و تهويل أفعاله الحقيقيّة أو المختلقة، و تذنيب المتلّقي المتردّد في الإنضمام إلى موقف المتكلّم و في دعمه بالرأي و السلوك.

و كمثال للتقزيم نذكّر بوصف الرئيس المصري السابق أنور السادات لانتفاضة الخبز التي حصلت في مصر في جانفي 1977 ب'بانتفاضة الحراميّة" أي اللصّوص، دحضا لمن نعتوها "بانتفاضة المحرومين". و نذكر أيضا وصف إسرائيل للفدائيين "بالمخرّبين". و تقزيم القدرات العسكرية للجيش العراقي من طرف وسائل الإعلام الأمريكية، بالتركيز على صور الأعداد الهائلة من الجنود العراقيين الذين استسلموا أو فرّوا من الجبهة العراقية-الكويتية سنة 1991.

و بالنسبة للتّهويل نذكّر كيف اعتمدت الأجهزة الإعلامية الأمريكية تقنية التواتر للحديث وإعادة الحديث عن الجرائم التي اقترفها النظام البعثي في حق أكراد الشمال وشيعة الجنوب، كما لجأت إلى تضخيم إمكانيات العراق النّووية والبيولوجية.
و لخلق شعور بالذنب يدفع المواطنين إلى التفاف حول الدولة ومؤسساتها، وعدم الوقوف موقف المتفرج أو المعارض خلال شنّ " الحرب على الإرهاب" قام الخطاب الإعلامي الامريكي بعد أحداث 11 سبتمبر على رمزية تماهي بين الإرهاب و المسلمين عن طريق اختزال الإسلام عمدا

في أصولياته و تقديمه للشعب الأمريكي كخصم استراتيجي مرعب و عدو ثقافي يهدد الحضارة الغربية. كما ساهم الإعلام الأمريكي في حملة الحطّ من قيمة المعارضين للحرب، يوصف أنصار الحل الدبلوماسي، مثل فرنسا و ألمانيا، "بالجبناء" أو "المستسلمين" وفي أحسن الحالات "بالسذّج".
و قد سمحت هذه التقنية بتعبئة الرأي العام الأمريكي و تجييشه لصالح الحرب، حتى انّه قام بانتخاب "جورج بوش الإبن" لولاية رئاسيّة ثانية.
و لم يتم تخصيص هذه الإستراتيجية الإعلامية للعرب فقط، فهي نتاج استراتيجية سياسية تتخذ من الاعتداء على ثقافة الشعوب وسيلة لتقزيم الخصم أو المعارض لسياستها بطريقة منظمّة. فقد ساهم الإعلام الأمريكي في حملة التهجّم على "جون كيري" المرّشح المنافس لبوش خلال الإنتخابات الرئاسيّة الأمريكية لسنة 2004، التي فاز فيها بوش بولاية ثانية. و كانت أخطر تهمة ألصقها الإعلام الأمريكي ب"جون كيري" تتلخص في أن "شكله يوحي بأنه فرنسي".
و نحن نعلم أن الآلية التي جعلت من المواطن الفرنسي إنسانا منبوذا في الولايات المتحدة الأمريكية و من ثقافته مادة للاستهزاء، بسبب رفض فرنسا المشاركة في الحرب ضد العراق سنة 2003, هي وسائل الإعلام الأمريكية.
و قد نجح الإعلام الأمريكي بذلك في تأليب الرأي العام ضد فرنسا و ثقافتها. فسكبت قوارير الخمر الفرنسية في المجاري، و هوجمت المطاعم الفرنسية، وتم تغيير اسم البطاطا المقلية من "فرانش فرايتس" إلى "فريدوم فرايتس"، (أي من إسم المقليّة الفرنسيّة إلى إسم المقليّة الحرّة) و كأن اسم فرنسا أصبح مناقضا للحرية.
و على إثر إعلان مذيع في القناة الأمريكيّة "فوكس نيوز" قرار عدوله عن زيارة فرنسا "العدو" تلك السنة، انخفض عدد المسافرين الأمريكان إلى فرنسا بنسبة 30 بالمائة مقارنة بالسنة التي سبقتها.
و للحقيقة لم يكن الإعلام الأمريكي مطالب بالقيام بمجهود جبار لإقناع الرأي العام بوجود "مصاصي دماء يسعون للقضاء عليهم. "فقد تدرب على ذلك لسنوات جعلت المتلقي الأمريكي مستعد للتصديق بأن للحمير أجنحة طالما أن التلفزيون يقول ذلك" على حد قول "ميكل موور" (15)
و قد سهل مهمة الدعاية الإعلامية جهل الفرد الأمريكي بالآخر و التي ساهمت المدرسة في تأسيسه بقسط هام. فقد أثبتت نتائج حديثة لاستطلاع الرأي بأن 85 في المائة من الأمريكيين البالغين من العمر بين 18 و 25 سنة لا يعرفون موقع العراق على الخريطة و أن 82 في المائة من الأمريكيين ليس لديهم جواز سفر و أن اغلبهم لا يحسنون لغة ثانية. و يذكر أن عددا من الفنانين الأمريكيين, من بينهم "شوازنجار" الذي أصبح حاكما لكاليفورنيا، ألغوا سفرة كانت مقررة إلى فرنسا سنة 1991, خلال الحرب الأمريكية الأولى على العراق, لاعتقادهم بأن للبلدين حدودا مشتركة.

و بهذه الطّريقة، تحوّل قاعدة تضخيم الحدث و تهويل المآسي، التغطية الإعلامية إلى مسرحية تراجيدية.

و من الأمثلة النموذجيّة، التي يقترحها "باتريك شارودو"(16) لمسرحة المآسي و تهويلها، طريقة إنتاج الصّورة الثلاثية، الضحية/المعتدي/المنقذ أو البطل، حسب خطابات ملائمة للهدف المنشود:

أ) خطاب "الضحيّة

Le discours de victimisation

و هو متنوّع:

- تكون الضحية مشهورة، و هو ما يضمن أكبر قسط ممكن من الإثارة و المتابعة (موت ميكال جاكسون أو موت الأميرة ديانا مثلا)
- في غياب الضحية المشهورة يتم التعويض بالتركيز على عدد كبير من الضحايا (حوادث الطرقات و الطيران أو الكوارث الطبيعية، أو الأوبئة) مما يسمح بإعطاء قيمة "للضحية المجهولة" و يضمن بالتالي الإثارة.
- في غياب الشهرة و العدد، يتم خلق "ضحية القضاء و القدر" و تكون عادة "ضحية بريئة" و هي مثيرة جدّا. خلال حرب غزّة (ديسمبر 2008/جانفي 2009) ركّز الإعلام الغربي الموالي لإسرائيل على "الحياة الصعبة" لأطفال المستعمرات، بمسرحة الحياة اليومية لعائلة و طفلها الوحيد، من جرّاء خطر سقوط صواريخ "حماس" و لم يركّز بنفس التواتر على مئات الأطفال الفلسطينيين القتلى و المشوّهين.

ب) خطاب " المعتدي"

L'agresseur

و هو يركّز على صفاته. فالمعتدي هو عدوّ المجموعة و هو جبّار لا يقهر، يسعى إلى نشر الشر في العالم، و هو مثل العنقاء يعود من رماده باستمرار إلى الحياة في أشكال و أسماء مختلفة. و قد جسّم كلّ من هتلر و ستالين و الإتحاد السوفياتي عامّة، ثم جمال عبد الناصر فياسر عرفات، صورة "المعتدي" في الإعلام الغربي، قبل تعويضهم بميلوسيفتش و صدّام حسين و أسامة بن لادن و حسن نصرالله، فحماس و إيران.

ج) خطاب "البطل"

و يتمثل في إخراج صورة "البطل" في شكل المنقذ من الفوضى و الشرّ، و الحامل لقيم رمزية قويّة. و قد صوّر الإعلام الأمريكي، الرئيس السابق "جورج بوش الإبن" على هذه الشاكلة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 ، خاصّة بعد وعوده بالقضاء على "محور الشرّ" ممّا منحه صورة المكلّف برسالة إلاهيّة مقدّسة، و كذلك صورة "راعي البقر" المنصف في التراث الأمريكي، خاصّة مع حملة "البحث على بن لادن" التي تحيل إلى القيم المؤسسة لأمريكا.

Le grand Cow-boy justicier (« Ben Laden Wanted »)

كما ألبس الإعلام "بوش" صورة فارس العصور الوسطى المقدام، بعد دعوته إلى شنّ "حرب صليبية" ضدّ الإسلاميين الذين يحاربون الغرب و قيمه"

إن عبارات "محور الشرّ" و "الحرب الصليبية" و غيرها لم يخلقها الإعلام و إنما وردت في الخطاب السياسي للرئيس بوش و معاونيه. غير أن تواترها في وسائل الإعلام لم يكن بريئا و إنما قصد منه ترويج صورة لعالم منقسم بين الخيّرين و الأشرار، أي خلق عالم جديد غير موجود ضرورة في الواقع. و تم نسج هذا العالم الخيالي من الكلمات و انتهى بتعويض العالم الحقيقي في أذهان المتلقيين. و هذا ما نعنيه بالمسرحة.

خلاصة

إنّ القواعد الدعائيّة المذكورة لا تكون فعّالة في غياب التقنيات اللغويّة الدعائية المناسبة. لذلك، و كما يقول عبد السلام المسدي (17): "فالذي يعلم الأهداف التي توظف من أجلها سلطة اللغة، يوظّف بدوره سلطته لنزع هذه السلطة من اللغة، من خلال الرقابة و التعتيم" و يضيف: " كانت اللغة ملكا للمجموعة التي تتداولها قبل أن تتحول شيئا فشيئا إلى أداة يملكها الذي يملك أمر الناس،

ثم استباح ملكها من بيده قرار الأمر الدولي" (...) "فتحول الأداء اللغوي سيفا مسلولا على الأعناق، وتحولت الكلمات إلى إشكاليات سياسية مستعصية"

و يرى المسدّي أن اللغة أصبحت "على محك الامتحان" فيتساءل: "كيف تقول الأشياء، كيف تسمي أطراف الحدث، بأي لفظ تصف الموصوف ؟ "

و يضرب المسدي مثالا لذلك بحدث احتلال العراق للكويت فجر الثاني من شهر أوت 1990 حين واجه العرب **محنة الانخراط الدلالي**: من قال "دخول الجيش العراقي إلى الكويت" دلّ على انه من أنصار نظرية الإقليم التاسع عشر التي برّر بها صدّام حسين غزوه للكويت. و من قال "غزو العراق للكويت" دلّ بألفاظ كلامه أنه من أنصار تحرير الكويت. وحتى الذين قالوا "احتلال الكويت" لم يشفوا غليل الكويتيين لأن لفظ "الاحتلال" يحمل في مظانه إقرارا للحدث في الزمن وهذا في حد ذاته مرفوض عند أهل الكويت، فكان أهون عليهم أن يتحدث الجميع عن "فترة الغزو"

و نذكّر بقصيدة الشاعر الفلسطيني محمود درويش "عابرون في كلام عابر"، التي أثارت الاسرائيليين ودفعت رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق اسحق شامير لتلاوتها من على منصة الكنيست بهدف التحريض و التجييش، و قد دفع ذلك يهود فرنسا للتظاهر والمطالبة بطرد الشاعر الفلسطيني من فرنسا.

هذه الأمثلة تؤكد ما أثبته عدد من الباحثين من أن اللغة هي أساس الفعل السياسي الذي يتخذ من وسائل الإعلام أداة فاعلة ومؤثرة لإقناع الجماهير به، وأن السياسة بجملتها، هي تأثير اللغة، وبخاصة إذا استخدمت في حالات التحذير أو التهديد أو الهيمنة.

وهكذا تجرّ وسائل الإعلام الثقافات و الشعوب وراء حروب الكلمات تحت غطاء نقل الأحداث السياسية بأمانة. و هي في الحقيقة تقوم بالسكوت و التعتيم على ما يحدث فعلا و تخبر عما لا يحدث. وهو ما يسمى بالتضليل.
و تكمن قوة وسائل الإعلام و نجاعتها في كونها وسيطا لوسيط أخطر منها وهو الكلمة و الصورة و مجمل العلامات التي أنتجها الإنسان للتواصل و للمثاقفة و التي يمكن تحويل وجهتها لخدمة أهداف مناقضة تماما.
فالتلفظ الذي كان ينظر إليه على أنه واسطة و ثانوي جدا أصبح سلطة. و يتمثل سلطانه في فن تحويل المعلوم إلى مجهول و السماح بالتفكير بالأشباح بدل الأشياء من خلال عالم لغوي خالص. فالدعاية تخلق تفكير أهل الكهف الأفلاطوني الذي لم يكن لهم بد من الاعتقاد بأن الأشياء المتراقصة على جدران الكهف هي الأشياء الحقيقية.

الفصل الثالث : الأساليب الدّعائيّة الحجاجيّة

يعتمد الخطاب السياسي الإعلامي على ركيزة التصورات (رسم مشهد بالقول) ثم البرهنة عليه و هي الركيزة الثانية للخطاب بصفة عامّة.

فالإعلامي مطالب بتقديم الحجّة على كلّ ما يعلن، سواء كان المقال إخباريّا، و تتمثّل الحجّة في هذه الحالة في الإستشهاد بمصدر الخبر، أو مقال رأي، و تتمثل الحجج هنا في المصادر و الوقائع أي الشواهد أو الأدلّة و المبادئ المنطقية مثل القياس.

فالإعلام، كما كنّا قد ذكرنا، و بفعل وظيفته الإخباريّة اساسا، مطالب بالبرهنة على الآراء التي يوردها ليكون منسجما مع العقد الإعلامي المبرم بينه و بين المتلقي، و المتمثّل في عدم فرض رأي عليه أو التلاعب بالمعلومات، و إنّما فقط مساعدته على تكوين رأيه الخاص.

أمّا في حالة الخطاب الإعلامي الدعائي، فإن الصحفي، و في حالة اضطراره أو رغبته في الخضوع للأجندة السياسية، فهو يلجأ إلى مغالاطات حجاجيّة توهم المتلقي غير المتمرّس، بأنها برهنة موضوعيّة، أي واقعيّة أو منطقيّة.

و هو ما يفرض قيام الباحث في الخطاب بتحليل مسار برهنة الخطاب الإعلامي للوقوف على نمط الحجاج فيه. و يسمح تحديد نمط الحجاج بتحديد طبيعة المقال، أي بتحديد إذا كان خاضعا للقواعد الإعلاميّة او الدعائيّة.

و لكي نتمكّن من تقنية تحليل الحجاج الخطابي، يجب توضيح مفهوم الحجاج و وظيفته و أسسه و آليّاته و أنواعه.

الفقرة الأولى: مفهوم الحجاج

الحجاج فعالية لغوية وعقلانية غايتها إقناع المعترض بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبّتة أو النّافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا.
و يعتمد الحجاج على أسس و آليات.

1) أسس الحجاج

أ- المقدمة: و تتجلى أهميتها في جعل القارئ أو السامع منتبها متقبلا.
ب- السرد: و فيه تقدم الوقائع إلى القارئ أو المستمع تقديما مركّزا واضحا و مقبولا.
ج- الحجاج: و هو تبرير يتميز بالموضوعية أو الانفعال.
Registre rationnel ou registre sentimental
و ذلك تبعا للتأثير الذي يرغب الخطيب في احداثه.
د- النهاية: و هي تضم ملخصا موجزا للبرهنة المقدمة.

2)آليات الحجاج

أ- الإخبار: و هو من الخبر، و يصح أن يدخله الصدق أو الكذب.
ب- التفسير: يحتاج الموضوع الذي يطرح إشكالية أو قضية، كما هو الشأن في المناظرة أو الخطبة، في انجازه إلى أساليب للتفسير تساهم في توضيح أبعاده و دلالته و تجعل المتكلم قادرا على الشرح و التوضيح لخصمه أو من يناظره لغرض الإقناع. و تتمثّل أهم أساليبه في التعريف و الوصف و المقارنة و السرد.
ج- الإقناع: و يستخدم حججا و براهين للدلالة على صحة الموقف الذي يدافع عنه المتناظرون أو الخطيب، اعتمادا على أدلّة ملموسة من الشواهد أو أدلّة تعتمد على مبادئ منطقية. و للإقناع ضوابط بدونها لا يحصل التسليم بالرأي. و من وسائل الإقناع وسائل منطقية دلالية و وسائل لغوية.
ج. 1- الوسائل المنطقية الدلالية و أهم عناصرها القياس المنطقي الذي يعتبر بنية أساسية في الحجاج و وظيفته الانتقال مما هو مسلم إلى ما هو مشكل.
و إن كان الحجاج لا يخلو من الذاتية فأنه يوظف عمليات عقلية ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى. و تتجلى هذه عمليات في:
- **الإستقراء:** و هي عملية عقلية ينتقل فيها الفكر من التخصيص إلى التعميم و إلى استنباط ما هو كلي.
- **القياس:** و هو عملية ينتقل بها الفكر من التعميم إلى التخصيص أي اخراج الجزئي مما هو كلي.
- **الإستدلال الجدلي:** و هو حركة فكرية تنتقل من الأطروحة إلى نقيضها ثم إلى نقيض النقيض.
- **الإستدلال السّببي:** و هو حركة فكرية تقوم على ربط الاسباب بالمسبّبات.

ج. 2- الوسائل اللغوية

و من أهمها التوكيد و الشرط و النفي و التكرار اللفظي و المعنوي و السجع و التوازن الصوتي و الطباق ... إلى آخره.

3) الحجاج النسبي و الحجاج القطعي

يتداخل مصطلح الحجاج مع مصطلحات أخرى، خصوصا عند غير المختص، لذلك تميز أغلب الدراسات والبحوث التي لها صلة بالموضوع، بين الحجاج القطعي و الحجاج النسبي تبين التعارض القائم بينهما.

فمفهوم الحجاج

L'argumentation

و هو الحجاج النسبي، يختلف عن مفهوم البرهنة أو الإستدلال

La demonstration ou le raisonnement

و هو الحجاج القطعي أو الاستدلال المنطقي.

و قد تمت هذه التفرقة، منذ أفلاطون على أساس أنّ الحجة تعتمد على القول، أي على الخطاب، و لا صلة للخطاب بالقضايا المتعلقة بالبحث العلمي مثلا، فمجال الخطاب كما رأينا هو توجيه الفعل و تثبيت الاعتقاد أو صنعه. و الخطاب الحجاجي يقضي في أساسه على سؤال يتعلق بحكم أو فعل، مثل الإشهار الذي هو حجاجا خطابيّا يقضي على سؤال الحيرة في الاختيار.

أمّا البرهان فهو لا يستعمل اللغة بل يعتمد على حقائق علميّة أو حتميّة كونية مثل حقيقة دوران الأرض أو فناء الإنسان، أو يستخدم الرّموز الرياضية، و هو بذلك يخلو من التلاعب بالألفاظ و يخلو أيضا من القيم، فالحقائق العلميّة تبرهن بنفسها على نفسها و بلغتها الخاصة التي يصعب التلاعب بها (إذا كان 1+1=2 فإن 2+1=3) لذلك تعتبر الحجج الرياضية حججا كونية لا تخضع للمناقشة و التّعقيب.

و في المقابل فإنّ البرهنة على حقيقة الرأي تتم بواسطة اللغة الطبيعيّة، و هي مرتبطة بذاتيّة المتكلّم و بالمتلّقي و بالزّمان و المكان الذي أنتج هذا الرّأي أو هذه الظاهر.

فتتداخل فيها المعتقدات و الآراء و القيم و الأوصاف. و نعلم أنّ كلّ معتقد أو ظاهرة اجتماعية أو سياسيّة يمكن أن يكون حولها مجموعة من الأراء المختلفة، لذلك تدخل البرهنة على هذا الأساس في مجال الرأي، و الرأي ظني و لا يمكن بأي حال أن يكون قطعيّا، و بالتالي فإن البرهنة على الآراء تظلّ في مجال محتمل.

Le probable

إذن، و مهما كانت قوّة هذه الحجج فإنّها تبقى نسبيّة و قابلة للتعقيب، حتّى من طرف صاحبها.

ومن ثم نرى التعارض الجوهري بين مبحث الدلالة الصوري ومبحث الدلالة الطبيعي الخطابي ذي الخصائص التداولية (الإرتباط بذاتيّة المتكلّم و المتلّقي و بالسيّاق)

و لمزيد التوضيح يمكن التمثيل **للبرهنة الصوريّة** بمسار البرهنة المشهور التالي:

- كل إنسان فان
- زيد إنسان
- زيد فان

إن النتيجة التي يؤدي إليها هذا الاستدلال هي نتيجة حتمية ضرورية، لأن الأمر يتعلق هنا ببرهنة أو باستدلال منطقي أو بعبارة أدق بقياس منطقي.

Un syllogisme

أمّا الحجاج فمجاله الاستدلال الطبيعي بالنظر إلى استخدامه اللغات الطبيعية في الخطاب وهو بالتالي مجرّد أفكار و آراء مقبولة تخضع للمحتمل. كمثال قولنا :

- الجو غائم إذن سينزل المطر.
- زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان

والنتيجة الواردة في هذين المثالين، نتيجة احتمالية، فوجود الغيوم ليس شرطا كافيا لنزول المطر، كما أنّ الإجتهاد لا يؤدّي حتما إلى النّجاح. إنّه شرط ضروري و لكنّه غير كاف.

Une condition nécessaire (de moyen) mais non suffisante (pour le résultat)

واستنتاج أن زيدا فان، في المثال الأول، حتمي وضروري لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر و نجاح زيد في المثالين الآخرين فهما يقومان على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، و على مقدمات ليست يقينيّة بالضرورة، و بالتالي فإنّ لزوم النتيجة عن المقدمات ليس لزوما ضروريا و يقينيا، بل لزوم غالب على الظن، لذلك يبقى الاستنتاج احتمالي، و هذا الاحتمال أوالشك يدفع إلى التماس مزيد من الحجج لتحصيل أكبر قدر من الإقناع. و لهذا السبب لا يقر الحجاج بمنطق ثنائية القيمة (الصدق/الكذب)، إذ قد يفضي الاستدلال فيه إلى قيم متعددة، كأن تكون أشبه بالصدق، أو أشبه بالكذب.

Vérité en déça des pyrénnée, mensonge au-delà.

و هو ما لا يمكن حدوثه مع الاستدلال البرهاني الذي يتميّز على الحجاج بخضوعه للصرامة المنطقية و للحقائق الكونيّة.

و هكذا يتم التفريق بين الحجة النسبية و الحجة القاطعة، أو بين الحجّة و البرهان.

L’argumentation et le raisonnement ou la démonstration

إنّهما ينتميان إلى نظامين مختلفين، نظام المنطق الصّوري، ونظام الخطاب، و هو شبه منطقي.

و باعتبار أن درسنا يتعلّق بالخطاب فإنّنا لا نهتم بالبرهنة الصوريّة بل بنظريّة الحجاج البلاغي أو اللغوي.

الفقرة الثانية: نظريّة الحجاج البلاغي أو اللغوي

نظرية الحجاج ليست مقرونة بالبدايات الكلاسية للبلاغة الأرسطية، أو حتي لدي القراء الجدد لأرسطو، فقد انبثقت نظرية الحجاج اللغوية من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسيرل. وقد قام اللغوي الفرنسي "أوزفالد ديكرو"

Oswald Ducrot

منذ سنة 1973 بتطوير أفكار أوستين بالخصوص.

و حديثا شهدت هذه النظريّة انبعاثا مع الباحثين: "شايم بيرلمان"

Chaïm.Perelman

و "أولبرشتس تيتيكا"

L. Olbrechts-Tytica

في مؤلّفات لهما، فرديّة أو ثنائيّة، مثل:"مبحث الحجاج" و "البلاغة و الفلسفة" و "حقل الحجاج" و "الإمبراطوريّة الحجاجيّة: بلاغة الحجاج" (18)

و تقدّم هذه البحوث نظرية الحجاج كنظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية.

و تنطلق هذه البحوث من الفكرة الشائعة التي تقول بأننا نتكلم عامة بقصد التأثير، لذلك يشير الحجاج إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع و الإفحام معا، مهما كان المتكلّم و متلقي هذا الخطاب، و مهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك. و هذا المعنى هو الذي يأخذ به أبرز منظري "نظريّة الحجاج" المعاصرة ك"شايم بيرلمان" و "ميشال مايير" الذي يقول:" يعرّف الحجاج عادة بكونه جهدا إقناعيّا (إفحاميّا) و يعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريّا في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجّه إليه" (19)

و يضيف:" إن كل حجاج لا يمكن أن يأخذ طابع الصّرامة القاهرة، فالمقدمات لا يتوجّب التصريح بها كلّها، و بنيات اللغة، على الرّغم من أنها حجاجيّة، لا يمكن صياغتها وفق النموذج العلمي" (ميشال ماير، ص 118)
فنظرية الحجاج تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية
Intrinséque
وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى، إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع
Les faits
المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها. و هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها.
فالحجاج نجده في الاستعارة، ونجده في الروابط والأدوات، بل إن شرط إمكان تحقّق الحجاج هي هذه الروابط اللغوية (لكن، بل، إذن، حتي، لا سيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما....إلخ.)

وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشّرات والأدوات الحجاجية، و هي الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية. و نعطي مثلا لهذه الإمكانيّة من خلال استعمال الروابط و العوامل الحجاجيّة مقرونة بالمبادئ الحجاجية.

1)- الروابط الحجاجية
وهي تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح، أو أكثر، في إطار استراتيجية حجاجية واحدة. وتسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن ، إذن...
فإذا أخذنا المثال التالي:
زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان
فسنجد أنه يشتمل على حجة هي(زيد مجتهد) ونتيجة مستنتجة منها (سينجح) وهناك الرابط (إذن) الذي يربط بينهما. فنقول إن المبدأ الحجاجي الموظف في هذه الجملة هو: الإجتهاد يؤدّي إلى النجاح.

2) المبادئ الحجاجية هي إذن مجموعة من المسلّمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلّم بصدقها وصحتها، فالكل يعتقد أن العمل يؤدي إلى النجاح ،وأن التعب يستدعي الراحة، وأن الصدق والكرم والشجاعة هي القيم النبيلة والمحبّبة لدى الجميع، والتي تجعل المتّصف بها في أعلى المراتب الاجتماعية، والكل يقبل أيضا أن انخفاض ميزان الحرارة يجعل سقوط المطر محتملا. و ترتبط بعض هذه المبادئ بمجال القيم والأخلاق، وبعضها الآخر يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم.
و إذا كانت المبادئ الحجاجية ترتبط بالإيديولوجيات الجماعية، فإنه من الممكن أن ينطلق استدلالان من نفس المقدمات، وأن يعتمدا نفس الروابط والعوامل، ومع ذلك يصلان إلى نتائج مختلفة، بل متضادة.
فالإجتهاد في المثال المذكور قد يؤدّي إلى النجاح ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحدّ المطلوب وإذا نظر إليه على أنه تعب وإرهاق وإهدار للطاقة.
و هذا عائد إلى **نسبية** المبادئ الحجاجية اللغويّة، فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له.

3) العوامل الحجاجية

و هي لاتربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، و لكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما. و تضم العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا، وجل أدوات القصر.

وقد أدرج "ديكرو" مفهوم العامل الحجاجي، لأول مرة في مقاله المعنون

"Notes sur L'argumentation et L'acte d'argumenter"

المنشور سنة1982 ، ثم فصّل فيه القول بعد ذلك في مقاله المنشور سنة 1983، والذي يحمل عنوان:

"Opérateurs argumentatifs et visée argumentative"

ولنوضح مفهوم **العامل الحجاجي** بشكل أكثر، ندرس المثالين الآتيين: ((20)

- الساعة تشير إلى الثامنة

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر "لا....إلا"، وهي عامل حجاجي، لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين بخصوص القيمة الإخبارية أو المحتوى الإعلامي، ولكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول، أي الإمكانات الحجاجية التي يتيحها. فإذا أخذنا القولين الآتيين:

- الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، أسرع

فسنلاحظ ان القول الأول سليم ومقبول تماما، أما القول الثاني فيبدو غريبا، ويتطلب سياقا خاصا وأكثر تعقيدا حتى نستطيع تأويله، وبعبارة أخرى فهو يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

وإذا عدنا إلى المثال السابق (الساعة تشير إلى الثامنة)، فسنجد أن له إمكانات حجاجية كثيرة. فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل الدعوة إلى الإسراع، أو التأخر أوالاستبطاء:
- الساعة تشير إلى الثامنة، هناك متسع من الوقت،
- الساعة تشير إلى الثامنة، موعد الأخبار...إلخ
وبعبارة أخرى، فهو يخدم نتيجة من قبيل :"أسرع"، كما يخدم النتيجة المضادة لها:"لا تسرع"، لكن عندما أدخلنا عليه العامل الحجاجي:"لا...إلا"، فإن إمكاناته الحجاجية تقلصت، وأصبح الاستنتاج العادي والممكن الوحيد هو :"لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، لا داعي للإسراع"

و يتمّ عادة استخدام هذا النوع من التقنيات اللغوية في الحجاج شبه المنطقي للتأثير و الإغراء و يعتمد الإعلام، بوصفه خطابا على اللغة الطبيعيّة، و على الحجج من النوع الظني التي تتأثرا بالقول و باللغة، فاللغة الطبيعية تحمل من المعالم الحجاجية الشيء الكثير، و لا يمكن للخطاب الإعلامي تفاديها، وهو ما يفسر صعوبة خضوع الإعلامي لقواعد الحياد و الموضوعيّة.

الفقرة الثالثة: المغالطات الحجاجية

Le faux argumentaire

و هو يعني الحجاج المضلّل، و يصفه المنطقيّيون " بالقياس المركب من الوهميات" و الغرض منه التضليل
فسّر مثلا "بوش الإبن" سنة 2007 ازدياد المقاومة العراقية بنجاح عمليات قوات التحالف.
و من أهمّ أساليب المغالاطات و التضليل الحجاجي:

1) التناقض القولي

و هو قول لا يراعي فيه المتكلم السلامة المنطقية. مثال: "المطر ينزل و لا ينزل"

2) التناقض الأخلاقي العملي

و يتمثّل في تناقض أقوال المتكلم و أفعاله أو استنكاره شيئا يقع فيه هو نفسه.
مثال: صدر مقال في صحيفة، **كاتبه مجهول** و **مصدره مجهول**، يهاجم فيه الكاتب قناة الجزيرة و يلومها على الاعتماد على **مصدر مجهول.** و رغم تضمّن المقال حججا واقعيّة إلا أنّ مصداقية المقال أصبحت في الميزان. فالتناقض الأخلاقي العملي المذكور يجعل المتلّقي يتسائا عن القصد الحقيقي من وراء نشر المقال، هل هو فعل إخبار أم هو دعاية سوداء.

3) حجاج القوة

و يتمثّل في حمل المخاطب على سلوك معيّن بالاستناد إلى التّهديد المعنوي أو الجسدي (افعل كذا و إلا ضربتك) و نجده بكثرة في الخطاب الديني و التربوي و السيّاسي.
و لا يجوز طبعا للإعلام تقديم ما يفعله الناس تحت الإكراه و الخوف و الترهيب كحجّة على طرح أو موقف ما، مثلما يحصل في اعترافات المتّهمين بالعمل على المسّ من أمن الدولة في بعض البلدان، يحث يقدّمون في التلفزيون و آثار التّعذيب بادية عليهم. و تكون اعترافاتهم حجّة عليهم.

4) المحاججة بالتجهيل

وتقوم على إفحام المخاطب انطلاقا من تعجيزه على أن يدلي بما ينفي الحجّة المقدمة له. و تكمن المغالطة في أنّه إن لم يتوفر للمحاجج دليل ينفي حجة خصمه لحظة الحوار فليس معناه أن الحجة صحيحة بشكل مطلق.
مثل قول البعض بأن الأمريكان لم يذهبوا إلى القمر و مطالبة معارضيهم بتقديم الحجّة على ذلك.

5) السفسطائية: (21)

تطلق السفسطائية أو السفسطة

La sophistique ou le sophisme

على القياس الذي تكون مقدماته صحيحة و نتائجه كاذبة. و لكنه يبقى مطابقا لقواعد المنطق فيجد الإنسان نفسه عاجزا على دحضه، و لذلك يعتبر الفلاسفة هذه المغالطة المنطقية "حكمة مموّهة"

و من أشهر الأمثلة على السفسطة، مثال كومة القمح.

و تقول مقدّمته:

"انّ كل كومة قمح ترفع منها حبة واحدة تضل كومة"

و هي مقدّمة صحيحة.

ثم ننزل بعد ذلك من كومة إلى كومة حتى نصل إلى كومة مكونة من حبتين فنستنتج:

"إذا صحّت المقدّمة يجب أن يؤدي رفع حبة من هذه الكومة إلى الحصول على كومة ذات حبة واحدة"

و هو استنتاج غير صحيح رغم صحّة مقدّمته، فالحبة لا تكوّن كومة.

لذلك يطلق نعت السفسطائي

Le sophiste

على الحاذق في الخطابة وكذلك على كل دجال مخادع. و يصف أفلاطون السفسطائي باللاعب الماهر في الصراع اللفظي.

6) القياس المغلوط

و يتمثّل في التخصيص بعموم اللفظ الذّي يجعل الكلام غير محدد و قابل لأكثر من تأويل مما يضعف الحجة أو ينفيها: "الذين يصطادون في الماء العكر" (من هم ؟ و ماذا فعلوا ؟)
أو " في الجريدة مقال جيد" (أي جريدة و أي موضوع و بأيّ تاريخ...؟)
و تعتمد اللغة الخشبيّة على القياس المغلوط بكثرة.
مثال القول: "هدفنا تحقيق المعرفة" و لا يعرّف المتكلّم بالمفهوم و لا يحدّد نوعيّة المعرفة و شروطها و وسائل تحقيقها.

7) غياب المصدر

أو عدم وضوحه أو ضعفه يضعف الحجاج، و هو خاصيّة الدّعاية السوداء

و في ما يلي بعض الحجج التضليليّة بتقنيّاتها اللغويّة الخاصّة مأخوذة من وقائع:

1) مثال تضليلي باللغة الخشبيّة

رفضت الإدارة الأمريكية تقديم أدّلتها لمجلس الأمن أو لمفتشي الأمم المتحدة عن حيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل، و اكتفى وزير الدفاع "رامسفلد" بالقول : " إن غياب الأدلة ليس دليلا على عدم امتلاك العراق أسلحة الدمار الشامل (22) و هو من قبيل القول: المطر ينزل و لا ينزل

و تمّ نشر التصريح في وسائل الإعلام الأمريكية دون تعليق أو نقد، رغم أنّ الإعلام الأمريكي له تقليد جيّد في صحافة التحقيق.
و قد تم بهذه الطريقة قولبة فكر المتلقي بطريقة تسمح بالتصريح بأي شيء دون الخوف من السخرية أو معارضته من طرف الإعلام. فقد قال مرة "رامسفيلد", و كان جادا **"نحن نعرف أين توجد هذه الأسلحة بالتدقيق.هي في شمال العراق و ناحية الجنوب و أيضا شرق العراق و غربه"(23)** و هذا المثال يدخل ضمن مفهوم الحشو

La tautologie

2) مثال للسفسطة

بعد اكتشاف كذب المعلومات المتعلّقة بصفقة اليورانيوم بين العراق و النيجر،
صرح "آري فليشر" الناطق باسم البيت الأبيض بأن **"تصريحات الرئيس بوش اعتمدت على فرضيّة وجود الأورانيوم النيجيري. و بما أنه أتضح أن المعلومات المتعلقة بهذه المادة غير صحيحة فإن هذا يعكس الطابع العام لكلام الرئيس"(42)**
و هذا الكلام، الذي ليس له معنى، يجعل ممّا هو مستحيل وجوده برهانا قاطعا على إمكانية وجوده.
و كان على الإعلام القيام بهذه المهمّة النقديّة التي تدخل ضمن وظيفته، غير أنّه تجاهل ذلك. و لم يخطر على بال المشاهد الأمريكي التساؤل حول معنى هذا الكلام الذي ليس له معنى لأن الثقافة الإعلامية و المدرسية لأغلب الأمريكيين لا تسمح بانبثاق السؤال الذي بدونه لا حياة للمعرفة. لقد كان الأمريكيون يعتقدون أن ممارسات حكومتهم تخدم الحق و العدل و الأمن و أن الحرب التي تشن هي حرب نظيفة تعمل باللآزر ضد أهداف غير مدنية. كيف لا و إعلامهم يعتم حتى عل صور جثث أبنائهم العائدة من العراق, ناهيك عن صور الدمار الذي لحق بالمدنيين العراقيين. لقد سدت كل المنافذ أمام الشعب الأمريكي ليرى حقيقة واحدة مطمئنة متمثلة في وجود شخص واحد يعرف الحقيقة الحقيقية, وهو "بوش" البطل حامي الوطن و محرر الشعب العراقي.

3) مثال للغة الحجاج المضلّل

يمكن تلخيص خطابات الرئيس "بوش" المتعلّقة بأسباب تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر و في الأطروحة المركزية التالية:

"منطقة الشرق الأوسط تفيض بالنزاع و الكراهية بسبب الجهل و الفقر وهو ما أدى إلى تفشي ظاهرة الإرهاب التي جلبت المعاناة لبلادنا"(25)

و يتسم هذا الخطاب بخلل منطقي جلي لأنه مؤسّس على حلقة مفقودة لا يمكن بدونها تفسير المرور الآلي من المرارة التي أدت إلى تفريخ الإرهاب، حسب رأي "بوش" إلى تفجيرات 11 سبتمبر، و هي حلقة الإهانات المتكررة التي تعيشها الشعوب العربية من جراء الغطرسة الإسرائيلية المدعومة من طرف الولايات المتحدة الأمريكية. و طبعا ليس من مصلحة "بوش" الإفصاح عن الأسباب الحقيقية لهذه المأساة لأنها مربط الإستراتيجية الأمريكية التوسعية في الشرق الأوسط، كما راينا ذلك في مفهوم الدّعاية الرّماديّة.
و قد كان على الإعلام الأمريكي توضيح هذا الخلل.

و يظهر هذا التضليل أيضا في خطاب "فرانسيس فوكوياما" منظّر "نهاية التاريخ" الذي يمكن تلخيص نظريته بما ورد في مقال نشره في صحيفة "نيويورك تايمز" سنة 2001 يقول فيه بأن السبب في تفجيرات 11 سبتمبر **"ليست السياسة الأمريكية في فلسطين أوفي العراق, كما يجادل في ذلك الكثير من المسلمين و إنما سببها رفض قيم الحداثة و الفقر و السياسات السلطوية في الشرق الأوسط"** و يشدّد على **"اختلاف العالم الإسلامي عن غيره من الحضارات"** فالعالم الإسلامي, حسب رأيه **" وحده ولّد تكرارا حركات أصولية ترفض التسامح الديني"**

و كأنّ الأصوليّة موقوفة على الإسلام, في حين توجد في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها 700 فرقة عنصرية. و رغم أنّ وسائل الإعلام الأمريكية تعرف هذه الحقيقة جيّدا، و عوض الإفصاح عن ذلك، نجد خطابها يتحوّل إلى صدى لتوجهات السياسية للإدارة الأمريكية و لمنظّريها، كما أكد ذلك المفكر الأمريكي "نؤام تشمسكي" إلذي نعت وسائل إعلام بلده **"بالأجهزة الإيديولوجية المكرسة لخدمة السلطة و تصنيع الإجماع و إلى أدوات للتعبئة"** (26)

فوسائل الإعلام الأمريكية لم تتساؤل حتى عن سبب اختيار شنّ الحرب على نظام صدّام حسين عوض عن شنّها على نظام كوريا الشمالية التي أعلنت امتلاكها أسلحة الدمار الشامل. بل أبلت وسائل الإعلام الأمريكية بلاء غير مسبوق لتحضير الرأي العام الأمريكي والدولي لضرب العراق. فقد قُرعت طبول الحرب ضد العراق بعد شهرين من هجمات الحادي عشر سبتمبر، بعد أن وضعه الرئيس بوش في عداد دول محور الشر.

كل هذا لم يفلح في جلب انتباه وسائل الإعلام مما يدل على تعاونها الكلي و إخضاعها للأجندة السياسية الرسمية.

و بعد مرور سنة على شنّ الحرب على العراق، اعترفت الصحيفة الأمريكية "نيويورك تايمز" في نشرتها بتاريخ 26-5-2004, بأنها ارتكبت أخطاء في تغطيتها للأحداث التي تلت تفجيرات 11 سبتمبر، وهي تقصد حدث شن الحرب على العراق، جراء اعتمادها على معلومات مدتها بها جهات سياسية غير نزيهة، على حد قولها.
و جاء هذا الاعتراف بعد فضح أحد الصحافيين لهذه الممارسات و ليس عن إيمان الصحيفة بالرسالة الإعلامية، لأنّه كان بإمكانها، و حسب ما تفرضه الأخلاقيات الإعلامية التثبت من المعلومات حسب قواعد معروفة، أو على الأقلّ تقديمها في صيغة معلومات غير متأكّدة قبل نشرها. كما جاء هذا الاعتراف متأخرا، بعد سنة من شنّ الحرب على العراق، أي بعد أن ساهمت في تضليل المتلقي الأمريكي و زينت له قتل سبعة آلف عراقي.

<u>5) مثال للتضليل بالصّور</u>
و يمرّ خطاب التضليل أيضا عبر تقنية التلاعب بالمعلومات و الصور.

فقد بثّت مثلا جلّ القنوات التلفزيونية الغربيّة في شهر أكتوبر2005 صور المستوطنين الإسرائيليين المغادرين للأراضي الفلسطينية المحتلة. و كانت كامراءات وكالات الأنباء الغربية و الإسرائيلية تركز على دموع الأطفال و النساء و على حرقتهم للخروج من منازل بنوها على أرض غيرهم, بحيث بدوا و كأنهم مطرودين من أرضهم بفعل الإرهاب الفلسطيني.

و تم إعادة بث هذه الصور في مختلف النشرات الإخبارية دون تفسير أو تعليق رغم التصورات الدعائية الخطيرة الكامنة فيها.

و يمكن اعتبار القضية الفلسطينية من أكبر ضحايا المغالاطات الحجاجيّة و التضليل الإعلامي في الغرب. فقد كشفت نتائج دراسة بحثت في تغطية وسائل الإعلام البريطاني للصراع الفلسطيني الإسرائيلي سنة 2004 أن 43 في المائة من الأمريكيين يعتقدون بأن الفلسطينيين هم الذين يحتلون "الأراضي المحتلة" كما يعتقد 27 في المائة من البريطانيين و 16 في المائة من الألمان نفس الشيء.
و تكمن لعبة قلب الحقائق في هذا الموضوع بالذات في استخدام آلية بسيطة و لكنها فعالة تتمثل في الصمت على المقاربة التاريخية لهذه القضية و التشديد على الشر المتأصل في العرب و المسلمين لتفسير ما يحصل من أحداث عنيفة تمس الغرب، كما رأينا ذلك في أطروحات بوش و فوكوياما.
ف"الحرب ضد الإرهاب" التي روجت لها وقادتها الولايات المتحدة الأمريكية، غرست مفاهيم معينة لدى الشعب الأمريكي، من مثل (لماذا يكرهنا العالم ؟) دون أن تشير هذه المفاهيم إلى أن العالم يكره سياسة الولايات المتحدة الأمريكية لا الشعب الأمريكي.
وإذا كان علماء اللغة يؤكدون أن القدرة على الاقتناع تكمن في القدرة على تعريف الشيء وتحديد مفهومه بطريقة تقنع الناس به، فقد تعامل السّاسة الأمريكيون ببراعة فائقة في تحديد المفاهيم التي أرادوا لها أن تسود العالم، مثل تعريفهم للإرهاب والديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة والحرية والتسامح، بالمعاني التي يقصدونها وبالطريقة التي تخدم أهدافهم في الهيمنة على العالم. وقد لخص وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد ذلك في مقولته الشهيرة: انتهت الحرب العسكرية وبدأت حرب الأفكار.

إن محاولة إيجاد تعريف جذري للحجاج على أساس أنه عنصر من العناصر الأساسية في عالم التواصل و تمرين للعقل، يصطدم بصعوبة يمكن صياغتها في هذه التساؤلات:
هل يوجد الحجاج حقا ؟
هل من الممكن أن نقتنع، أي أن نبدل موقفنا بمحض إرادتنا بسبب حجّة ما ؟
يبدو أنّ ذلك ممكن فعلا خاصّة بواسطة فن الخطابة.

La rhétorique

و لطالما استخدم أهل الخطابة السفسطة وغيرها من المغالطات الحجاجيّة التي كانت تجبر المستمعين على قبول وجهة نظر ما انطلاقا من استدلال خاطئ.
ثمّ إذا اعتمدنا على ديكارت و التقاليد العلمية المعاصرة التي تقول بأنه لا عقل إلا في العلم، و أنّ ما غير ذلك فهو كلّه مشاعر ومؤثرات، فإنّ صناعة الأفكار و إعادة صياغة العالم تتمّ أساسا بالفكر الذي يمرّ عبر الخطاب و ليس فقط بالعلم و التكنولوجيا .
و يوجد في مجتمعات اليوم مؤسسات وظيفتها اقناع الجمهور تغلب عليها خاصيات أخرى غير الحجاج مثل مؤسّسات الإشهار والاتصال السياسي، حيث يعتمد التواصل فيها أساسا على إستراتيجية الإغراء و السلطة. كما تحتل الصدارة اليوم نظرية، يطغى عليها الجانب الاجتماعي، تقول برؤية للواقع يرجع فيها الأمر برمّته لاستعمال تقنيات التلاعب و التحايل، و بالتالي فإنّ ما يطلق عليه حجاج يمكن أن يكون وهم غايته إخفاء حقيقة.

الحجاج إذن، في ظل هذه الفكرة، هو إعطاء المستمعين "حججا" تجعلهم يصدّقون ما يقال لهم. و نجد المغالطات الحجاجية أو أساليب التضليل في الخطاب السياسي بكثرة، و لا يجوز طبعا للصحافي استخدامها، بل هو مطالب بدراستها دراسة نقديّة و بفضحها.

و يلخّص عبد السلام المسدي هذه الظاهرة كالآتي:"إن اللغة في الوجود أداة مطلقة، وهي في السياسة قيمة مقيدة، ولكنها في الإعلام وظيفة متحكمة، وتجري العادة بأن الناس يهتمون بالحدث السياسي دون أن ينتبهوا ملياً للصياغة التي نحكي بها تفاصيل الحديث، وبذلك تراهم يطابقون بين الحدث السياسي والخبر السياسي، فهم ينزلون الأول منزلة المدلول والثاني منزلة الدال فلا يخطر بالذهن لديهم أن يسعوا إلى تشقيق هذا عن ذاك(...) لكأن رسالة الابلاغ واحدة لا تصدر إلا عن أداء واحد، أو كأنما الخبر هو الخبر مهما تنوعت صيغه أو تلونت تجلياته، ومن وراء ذلك كأن الإخبار عن الحدث السياسي فعل في مطلق البراءة بحيث لا تنحشر فيه مقاصد صانعه حين يصنعه(...) نحن نرى إذن كيف تتعدد دوائر النظر كلما حاولنا القاء النور على الجسور الواصلة بين السياسة واللغة، وتتشعب أدوات الرصد والتحليل كلما خفيت علينا السلطة التي يكتسبها الخطاب، ومرد هذا الخفاء أن مفهوم السلطة يستحوذ عليه الحدث السياسي فلا يخطر على بال الجمهور في الشائع من الأحوال أن يقيم اقترانا بين اللغة وهي ابلاغ واللغة وهي صانعة للفعل السياسي ومحققة لحيثيات انتاجه" (27)

إن أهم إشكالية يطرحها الخطاب السياسي في وسائل الإعلام هي إذن مسألة توظيف لغة وسائل الإعلام لترويج تصورات محددة و للتأثير في الرأي العام من خلال هذه التصورات. و تتحول بذلك وظيفة هذه الوسائل من الإخبار إلى الدعاية. و بطبيعة الحال يوجد تعارض مطلق بين الإعلام و الدعاية.

فالإعلام وظيفته الإخبار و المساعدة على تكوين رأي من خلال التفسير و التحليل المبني على براهن واقعية ملموسة. أما الدعاية فوظيفتها التأثير في العقول و قولبتها في مضامين نابعة من تصور إيديولوجي يهدف إلى السيطرة على سلوك الأفراد و تطويعهم و هو ما يسمى بعملية غسل الدماغ. (28)

و يكمن هدف تحليل الخطاب السياسي لوسائل الإعلام في البحث في هذه الظاهرة التي يمكن حوصلتها في خطاب وسائل الإعلام بين الدعاية و الإخبار. ومن الصعب أن نجد وسيلة إعلامية متخصصة في الإخبار دون أن تكون لها توجه أو فكر معين، إلا أن المشكل يكمن في درجة توظيف الوسيلة الإعلامية سياسيا. فعندما تتبنى وسائل الإعلام أجندة السلطة السياسية بنسبة عالية مثل ما يحدث في دول غير ديمقراطية تكون النتيجة اختلال التوازن المطلوب حسب القاعدة الإعلامية "الرأي و الرأي الأخر" و لذلك تكون الإشكالية: مدى درجة تبنى وسائل الإعلام للأجندة السياسية أو مدى تحقيق التوازن في الإخبار.

و يمكن أن يتفرّع هذا الموضوع إلى مجالات عديدة تتصل بالأبعاد التالية:

- قياس هذه الظاهرة: إلى أي مدى يمكن توظيف وسيلة إعلامية سياسيا.

- الكشف عن الأجناس الصحفية الموظفة في الدعاية السياسية أكثر من غيرها أو الكشف عن المجالات الموظفة أكثر من غيرها (سياسة، دين، رياضة، فن...)

- الكشف عن الآليات المستخدمة لتحويل وجهة الخطاب الإعلامي إلى خطاب دعائي

- تحليل الأنماط اللغوية الدعاية التي تتبناها وسائل الإعلام في خطابها السياسي

- البحث في الأجندة الإعلامية من يضعها و كيف يضعها و ما هي انعكاساتها على المتلقي ؟

هوامش الجزء الثالث

1) **Martine Joly** Introduction à l'analyse de l'image, Edition Nathan Paris 1993 119p

و انظر كذلك باللغة العربيّة:
الهادي خليل، التلفزة و السينما و الفتوغرافيا، مقالات في الصورة. مطبعة أوميقا للنشر، تونس 1999، 207ص.

2) **Michael Moor**. Tous aux abris. Bienvenue aux Etats stupides d'Amérique! Op.Cité

3) **كرستينا شتوك** اللغة كوسيلة للسلطة: استراتيجيات البلاغة العربية السياسية في القرن العشرين الناشر: رايشرت, فيزبادن، ألمانيا، الطبعة: الأولى 1999

4) Voir le lien suivant:

http://www.mondiploar.com/fev03/articles/rouleau.htm#_ftnref5#_ftnref5

5) توجد دراستان أقرب في صياغتهما إلى البيانات، مؤرختان في جوان 1997 و سبتمبر 2000 ، أي قبل ثلاثة اشهر من تسلم جورج بوش الإبن صلاحياته الرئاسية، تحدّدان الأسس الايديولوجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي يفترض بالسياسة الخارجية الاميركية استلهامها، خاصّة أنّه قد تمّ وضع هذه الدراسات من طرف مجموعة من المحافظين الجدد وممثلي المجمع العسكري الصناعي. فهي تحمل تواقيع الركائز الرئيسية للادارة الحالية اي نائب الرئيس ديك تشيني ووزير الدفاع ومساعده، أي دونالد رامسفيلد، وبول ولفويتز، وشقيق الرئيس بوش، جيب بوش، والمستشار لشؤون الشرق الاوسط افي البيت الابيض اليوت ابراهمز، وريتشارد بيرل، الرئيس النافذ لمجلس سياسة الدفاع البالغ التأثير لدى وزارة الدفاع، وغيرهم. أنظر:

www.newamericancentury.org

6) National Review Online, 21 février 2002

7) Washington Post, 30 décembre 2002

8) **Olivier Reboul**, Langage et idéologie, PUF Paris, 209 p
9) **Slama Cazacu T., Koskas Eliane,** La "langue de bois" et quelques problèmes de communication; Psycholinguistique de la parole, Linx, 85-97., 1993

10) Voir à ce propos: 01

"Nous sommes tous Américains" éditorial publié dans l'édition du journal LE MONDE**,** du 13 septembre 2001**,** par **JEAN-MARIE COLOMBANI** directeur du journal LE MONDE**.**

Noton également que dans le cahier spécial du Monde (édition datée du 27 septembre 2001) consacré aux attentats du 11 septembre 2001, on peut lire un point de vue **de James Rubin**, porte-parole du Département d'Etat du temps de Madeleine Albright. Son analyse, titrée " L'an I d'une coalition contre le terrorisme a sonné ", commence ainsi : " Les Américains ont apprécié la solidarité qui s'est manifestée dans toute

l'Europe - non seulement par les dix-neuf Etats membres de l'OTAN mais également les réactions spontanées de citoyens ordinaires. A quoi s'ajoute ce titre fort à la une du Monde : "Nous sommes tous américains".

Le point de vue se termine par cette phrase : **" Les ennemis de la civilisation veulent nous diviser. Il faut être unis pour les vaincre. "**

11) **كرستينا شتوك** اللغة كوسيلة للسلطة: استراتيجيات البلاغة العربية السياسية في القرن العشرين. مصدر سابق

(12) المصدر الإلكتروني:

http://www.binbaz.org.sa/mat/8345

13) من حديث **لأسامة بن لادن** بثته قناة الجزيرة بتاريخ 27-12-2001.
14) **برنارد لويس،** لغة الإسلام السياسي، ترجمة عبد الكريم محفوظ، دار جفرا للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، دمشق،2001 ، 187 ص.

15) **مايكل مور،** مصدر سابق

16) مأخوذة بتصرّف و إضافات الأمثلة من:

Patrick Charaudeau, Discours journalistique et positionnements énonciatifs. Section : de l'actualité à la suractulité, dramatiser et surdramatiser. Frontières et dérives. Op. Cité.

17) **عبد السلام المسدي** السياسة وسلطة اللغة مصدر سابق.

18) **Chaïm Perelman et Lucie-Olbrechts-Tytica**, Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique. Préface de Michel Meyer, 5ème édition. Editions de l'université de Bruxelles, 1992, 734 p

أنظر كذلك:
عبد الله صولة، الحجاج: أطره و منطلقاته و تقنيته من خلال "مصنّف في الحجاج-الخطابة الجديدة" ل"ش. برلمان" و "تيتيكاه"، ص ص 297-350
ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم. تأليف جماعي بإشراف **حمادي صمود**. كلية الآداب. منوبة. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1998، 447 ص.

19) **Michel Meyer**, Logique, langage et argumentation, Hachette Université. 2me Edition, Paris 1982. P136

20) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم. مصدر سابق

21) **جلال الدّين سعيد،** معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفيّة، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، 591 ص، ص 244

22) Washington Post, 30 décembre 2002

23) **Moor**. Op cité

24) « Les déclarations du Président s'appuyaient sur l'hypothèse de l'existence de l'uranium nigérien. Dans la mesure où les informations concernant ce minerai se sont révélées inexactes, cela reflète le caractère général des propos du Président » **Moor**. Op cité

25) **د. السيّد ولد أباه،** عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 الإشكالات الفكريّة و الإستراتيجية، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2004،
26) **نعوم تشمسكي،** الدّول المارقة، حكم القوّة في الشّؤون الدّوليّة، ترجمة محمود عليّ عيسى، دار الكتاب العربي، دمشق، 2003، 274 ص
27) **المسدي** مصدر سابق
28) **فيليب تيلور،** قصف العقول، الدّعاية للحرب منذ العالم القديم حتّى العصر النّووي، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 206 الكويت، 415،2000 ص
العنوان الأصلي للكتاب:
Philip M. Taylor, Munitions Of the Mind, War propaganda from the ancient world to nuclear age, Patric Stephens Limited, Northamptonshire, England, 1990.

الجزء الرابع تحليل الخطاب

نهتمّ في هذا الجزء بمفهوم تحليل الخطاب أي بمفهوم تقنية البحث في الخطاب، و هي تقنية من تقنيات البحث في مجال الاتصال تنتمي تحديدا إلى منهج تحليل المضمون. و توظّف هذه التقنية في تحليل معنى القول، من خلال رصد دلالاته الظاهرة و الخفية، و طريقة بنائه من طرف المتكلم للتأثير في المتلقي، و الوقوف على الجدلية المتضمنة فيه بين المتكلم و المتلقي و المقام، أي أنّها تسمح بتحليل العملية الاتصالية بين الفاعلين الأساسين مع الأخذ في الاعتبار تأثير الإطار الذي يتنزل فيه القول.
و تعتمد تقنية تحليل الخطاب أساسا في مواضيع البحث المتعلقة بتحليل التصورات و الحجج المتضمنة في الرسائل السياسية للمواد الإعلامية، و التقنيّات اللغويّة التّي تخدم التصّورات التي يسعى المتكلّم إلى إنتاجها و التي تساعد على عمليّة الترويج و التأثير.

و ستتّضح لنا ركائز هذا المفهوم من خلال التعرّف على خصوصيّة تحليل الخطاب المرتبطة بالنظريّة التداوليّة(**الفصل الأول**) ثم بالوقوف على الفرق بين تحليل الخطاب و تقنيات التحليل التقليدية (**الفصل الثاني**)

الفصل الأول: خصوصيّة تحليل الخطاب

نشـــــأ مصطلح تحليل الخطاب من أعمال عالم الألسنيّة الأمريكي "زيلج هــاريس" Zellig Harris في أوائــل الخمسينيات، فهو الذي وضع اسم هذا الحقل "تحليل الخطاب" في مقال نشره المرة الاولى سنة 1952 في مجلة Language
و اكتسب أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات الحديثة (1)

و اقترح هاريس، في المقال المذكور، أن يكون هناك توجه في اللسانيات لدراسة توزيع تدفق الكلام وترتيبه من خلال ربط جزئياته بعضها ببعض. و قدّم منهجا لتحليل الخطابن و اهتم بالروابط بين النص و سياقه الإجتماعي، بحيث اعتمد منهجه في تحليل الخطاب على ركيزتين:
- العلاقة التوزيعية بين الجمل
- الربط بين اللغة و الموقف الإجتماعي أي بين اللغة و الثقافة.
فتحليل الخطاب في نهاية الأمر هو تحليل استعمال اللغة في إطار اجتماعي و ثقافي معيّن.
ثم ظهرت بحوث متنوعة في نفس المجال اهتمت بدراسة اللغة و وظائفها النفسية و الإجتماعية و الفنية و الإعلامية، و أهمّها ما قام به "هاليدي" و "رقية حسن" حول "الإتساق في اللغة الإنجليزية" سنة 1976 (2)

و ما قام به "تون فان ديك" في كتابين له، أولهما "بعض وجوه نحو النّص" سنة 1972
T. Van. Dick
"some aspects of text grammer"
و الآخر هو "النص و السياق" سنة 1977
"text and context"

و هو أساس المقاربة التّداوليّة.

الفقرة الأولى: المقاربة التداولية للخطاب

عرّبت كلمة
La pragmatique
في مجال تحليل الخطاب إلى مصطلحات عدة منها التّخاطبيّة، أمّا أشهرها فهي **التّداولية (3)** و هي المقاربة التي تلائم تحليل الخطاب، لذلك سنفصّل القول في النظريّة التداوليّة.

التداولية هي أحدث فروع العلوم اللغوية، و هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية الذي يختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة و وصف وظائف الأقوال اللغوية و خصائصها، خلال إجراءات التواصل بشكل عام. و بإيجاز تدرس التداولية العلاقة بين النص و سياقه. و يعرفها كل من "آن ماري ديلر "
Anne Marie Diller
و"فرانسوا ريكارتي"
François Ricarti
كالتالي:" التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب"
أما فرنسيس جاك فيعرّفها كالآتي: "تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا"(4)

و قد قام هذا المنهج أساسا على العديد من المقولات والنظريات التي تطوف حول المعنى التداولي.

و يتداخل في دراسة المعنى وطبيعته المعقدة عدة علوم كالفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيره

إن أقدم تعريف للتداولية هو تعريف الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ويليام موريس (5)

Charles William Morris

ففي سنة 1938 ميّز " موريس" في مقال كتبه في موسوعة علميّة، بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللّغة و هي:

علم التركيب
و هو النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات.
علم الدلالة
الذي يدور حول الدلالة التي تتحدّد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائم بين العلامات و ما تدل عليه.

التداوليّة

التي تعنى، في رأيه، "بالعلاقات بين العلامات و مستعملي هذه العلامات"
و هو يعتقد أنها تقتصر على دراسة ضمائر التكلّم و الخطاب و ظرفيّ المكان و الزّمان و التعابير التي تستقي دلالاتها من معطيات تكون جزئيّا خارج اللّغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل.
و عرّفها كالآتي: **"التداولية جزء من السميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هذه العلامات"** (6)

« La pragmatique c'est l'analyse des relations entre les signes et leurs utilisateurs. C'est donc l'usage que les communicateurs font des signes dans une situation donnée»

و بهذا المعنى تكون التداولية خاصة بكل ما هو استعمال خاص و فردي للغة. فاللغة ملك للمجموعة لكن استعمالها فردي و ملك للمتكلم.

و لنأخذ مثالا على ذلك: بالنسبة لملفوظ قانون او حقيقة كونيّة مثل "يغلي الماء إلى مائة درجة" لا يهم من يعلن عن ذلك و أين و متى، فهذا القول حقيقي في كل الحالات، بينما تعدّ الجملة "أنا شجاع" حقيقة نسبيّة، صحيحة بالنسبة للبعض و خاطئة بالنسبة للبعض الآخر، فحقيقتها متعلّقة بالسياق (المتلفّظ و المتلّقي و ظروف التلفظ) فالتمييز يتمّ لإذن بين الملفوظ أي "ما يقال" و التّلفظ "كفعل القول" لأن "فعل القول" يتضمّن حضور المتكلّم.
التداوليّة هي إذن منهج لساني، يهتم بدراسة اللغة في حيز الاستعمال ، لذلك فهي لا تهتم باللفظ
L'énoncé

بل بالملفوظ

L'énonciation

أي بعلاقته اللفظ بمؤوّلاته.
و هنا نمر من العلاقة الثنائية بين الدال و المدلول (دي سوسير) و التي تمثل بالنسبة للفظ وجهان لنفس العملة، إلى علاقة ثلاثية بين الدال و المدلول و المؤوّلات (تشارلس سندرس بيرس) (7)
Charles Sanders Peirce
التي لا تمثّل بالضرورة تماثلا تاما بين الدال و المدلول. فكلمة خروف كما رأينا، يمكن ان تمثل الحيوان كما يمكن أن تمثّل نوعا من الطعام، حسب السياق، الذي هو عنصر من عناصر التّأويل، أي ينتمي إلى ما يسذميه بيرس بالمؤلّات.
و هكذا يتبيّن الفرق بين التّداولية وعلم الدّلالة، وذلك من خلال عناية التداوليّة بآثار الاستعمال ومختلف السياقات في استخراج المعنى.
فالتداوليّة هي محاولة للإجابة عن الأسئلة التالية:
ماذا نصنع حين نتكلّم ؟
من يتكلّم و إلى من أو مع من يتكلّم ؟
من يتكلّم و بأي قصد ؟
ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم ؟
ما هو مصدر التشويش و الإيضاح ؟
كيف نتكلّم بشئ و نريد قول شئ آخر؟
هل يمكن أن نثق بمعنى الحرفي لقصد ما؟

<u>الفقرة الثانية: الأسس الفلسفية للنظرية التداولية</u>

سننتناول نمطين من المدارس التداولية، يتمثل الأول فيما جاء به كلّ من "جون أوستين" و "جون سيرل" و هما المختصّان الأمريكيان في فلسفة اللغة.

John Austin-John Searl
و يتعلق النمط الثاني أساسا بالنظرية التواصلية للفيلسوف الألماني "جرغن هابرماس" Jurgen Habermas
و هي نظريّة لها جذور في فلسفة اللغة.

تعتبر الفلسفة التحليلية المنبع الأول الذي انبثقت منه أولى بوادر التداولية والمتمثلة في نظريّة "الأفعال الكلامية" فهي التي ساهمت في بلورة النظرية التداولية بصورة عامة.
وكان الفيلسوف الألماني "غوتلوب فريجه"
G. FREGE (1848-1925)
رائد هذا الاتجاه من خلال التحليلات اللغوية التي أجراها على العبارات اللغوية.
وقد تأثر بأفكار فلسفة "فريجه" التحليلية عدد من الفلاسفة منهم " لودفيغ فيتغنشتاين"-1889) 1901 و "جون أوستن" و"جون سيرل" وتجمع هؤلاء مقولة مفادها أن فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفهم.
ثم لعب الفيلسوف "لودفيغ فيتغنشتاين" دوراً هاماً في إسقاط الفلسفة التحليلية على اللغة. فأسس اتجاهاً جديداً سماه "فلسفة اللغة العادية" وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي.
ولعل أهم ما يميز فلسفة "فيتغنشتاين" التحليلية بحثه في المعنى، وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتاً ولا محدداً، ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم. (8)

<u>الفقرة الثالثة: نظريّة "الأفعال الكلامية" عند كل من "أوستن" و "سيرل"</u>
La théorie des actes du langage

يعتبر كل من "جون أوستن" (9)
Austin.J (1911-1960)
مؤلّف " **<u>نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام"</u>**

“How to do things with Words”
« Quand dire c'est faire »

و "جون روجر سيرل" (10)
John.Roger Searle. (1932)
مؤلّف **"أفعال الكلام"**
“Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language”
“Les actes de langage »

من روّاد النظريّة التّداوليّة.
و تستند نظريّتهما إلى فلسفة "فتجنشتين" كما عرضها في كتابه "بحوث فلسفية". و هي تقول إن التلّفظ بالعبارات هو في الحقيقة تحقيق لأفكار معيّنة، يقوم على التسليم بمواصافات أو قواعد محدّدة، كما يحدث على سبيل المثال في أفعال الأمر و الاستفهام و الزّعم او التأكيد...إلخ بهدف إحداث تأثيرات على الطرف ألآخر في الحديث او الحوار، من مناجاة أو إبهاج أو إزعاج او تعكير مزاج (11)

نشأت الأفعال الكلامية إذن من رحم "فلسفة اللغة العادية" ذلك أن تراث "فتغنشتاين" لم يكتسب العناية الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة "مدرسة أوكسفورد" ولاسيما "جون أوستين" الذي بدا أثر

"فتغنشتاين" واضحاً عليه في كتابه "نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام" ثم تبعه "جون سيرل" الذي ألف "أفعال الكلام"
ويعدّ كلّ من "أوستين" وتلميذه "سيرل" من أبرز مؤسسي المدرسة التداولية، ثم تبعهم في تطوير هذا المنهج الفيلسوف "بول غرايس" خاصّة في تنظيره ل "مبادئ المحادثة" التي تحوّلت إلى "نظرية المحادثة " و يدور موضوعها حول " مبدأ التعاون" وما ينجرّ عنه من مسلّمات حوارية(12)
و يمكننا تلخيص ما جاء به الفيلسوف "جون أوستdن" في إقراره بأن كل قول هو عبارة عن فعل. و تقوم هذه النظرية على اعتبار اللغة "أداء أعمال مختلفة في آن واحد، وما القول إلا واحد منها، فعندما يتحدث المتكلم فإنه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرح تصريحاً ما، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يعد، أو يشكر... "(13)
فأوستين يذهب في مقاله "العقول الأخرى" (14) إلى انه:" حينما أقول "أنا أعرف" او أنا أعد" فأنني لا أصف شيئا، بل أفعل شيئا، إذ أنني عندما أعطي وعدا للآخرين ألزم نفسي بتنفيذه. إن مثل هذه الافعال لا بدّ أن تقود إلى الفعل"

و تطوّرت نظرية "الأفعال الكلامية" في سياق التفرقة بين القول و الفعل، و على تمييز "أوستين" بين وحدات كلامية بيانية و أخرى أدائية.
Performative(eng)
" فالوحدة الكلامية البيانية تستخدم لإصدار العبارات الخبرية، أما الوحدة الكلامية الأدائية فهي وحدة يؤدي بها المتكلم عملا أو فعلا و ليس مجرد كلام"(15)

و يرتبط القول بإيراد الأخبار و وصف المواقف، أما الفعل فيكون أكثر التصاقا بالمرسل، كأن يكون أمرا بضرورة القيام بعمل ما، أو وعدا بإنجاز عمل آخر، أو حكم لفعل معين، أو حكم عن تصرفات و سلوكيات، و غيرها من الأفعال الشعورية التي تجد طريقها إلى التجسيد اللساني. فالطلب يعبر عن رغبة في شيء ما، وحكم القاضي يعني الفعل المترتب على هذا الحكم بالسجن أو الإفراج، وقول الرجل كلمة الطلاق لزوجته يعني أنه يقوم بفعل المفارقة، وهكذا هي اللغة عند "أوستين" و"سيرل" تعبر عن مواقف فعلية، كما أن التلفظ في حد ذاته يمكن تعريفه كفعل أو تصرف، لذا سُميت العبارات اللفظية "أفعال الكلام"(16)
و قد توصّل "أستين" إلى هذه النتيجة عندما وضع سنة 1955 أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية موضع سؤال، و تعتبر هذه الفلسفة أن اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع، عدا الجمل الاستفهامية و الأمريّة و التعجبية و بالنسبة للغة العربية النداء و القسم، و يمكن الحكم على الجمل الوصفية، و هي تقابل في اللغة العربية الجمل الخبريّة، بالصدق أو الكذب حسب الواقع الفعلي.
و يرى أوستين أن الكثير من الجمل غير الاستفهامية و الأمريّة و التعجبية لا تصف أي شيء و لا يمكن بالتالي الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، فهي جمل لا تستعمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنما تغيّرها أو تسعى إلى تغييرها. و سمّى أوستين هذه الجمل "إنشائية" مقابل الجمل "الوصفية" من قبيل "المطر ينهمر". فالجمل الإنشائية يفيد معناها إنجاز عمل و لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب و إنما بالنجاح أو بالفشل. فالرجل الذي اقترح على صديقه شرب قهوة، في المثال السابق أعلاه، لم يصف شيئا و لم يقل شيئا صحيحا أو كاذبا و إنما قال شيئا يمكن أن ينجح إذا قبل صديقه الاقتراح أو يخفق إذا رفض.
ثم اكتشف أوستين أن بعض الجمل الإنشائية لا تتضمن فعلا إنشائيا مثل رفعت الجلسة. و قد قاده ذلك إلى تمييز جديد ما زال مقبولا إلى اليوم. فهو يقرّ بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل.

و يميّز "أوستن" على هذا الأساس في كتابه المذكور بين ثلاثة أنواع من **الأعمال اللغوية:**

1- العمل الأول هو **العمل القولي** أو فعل القول، أو الفعل اللفظي
فالتلّفظ، بقطع النظر عن معناه و انعكاساته، هو إنجاز لغوي في حدّ ذاته، فعندما نتلفظ فإنّنا نفعل.
و فعل القول "يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات اللسانية المعهودة:
المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي فهو إذن النطق بالجملة المفيدة متفقة مع قواعد اللغة.

2- العمل الثاني هو **الفعل المتضمن في القول** أو الفعل غير اللفظي
و هو المعنى الذي ينجز بمجرّد قولنا شيئا ما، كالأمر أو النصيحة أو التهديد (كلمة أنت طالق أو أنتما الآن زوجان، هو انجاز عمل متضمن في القول)
فالفرق بين الفعل الأول(**العمل القولي**) والثاني (**الفعل المتضمن في القول**) أن الفعل الأول هو مجرد قول في حين انّ الثاني هو في آن قول و قيام بفعل ضمن قول.

3- العمل الثالث **هو عمل التأثير بالقول**
فقول الطفل أنه لا يشعر بالنعاس هو عمل التأثير بالقول.
و قد أنجز الطفل ثلاثة أعمال بقوله هذا: تكلّم(**العمل القولي**) و أنجز معنى(**الفعل المتضمن في القول**) و أقنع والده(**عمل التأثير بالقول**)

و هكذا تخلّى أوستين عن تمييز الجمل الإنشائية عن الجمل الوصفية.

و يرى "سيرل" ان:" كل التواصل اللغوي يتضمن أفعالا لغويا. فليست وحدات التواصل اللغوي هي الرمز أو الكلمة أو الجملة، و إنما هي إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة في تأدية أفعال الكلام" (17)

لقد غدت الأفعال الكلامية جزءاً لا يتجزأ من التداولية، ولقد تطورت هذه النظرية كثيراً وقسمت تقسيمات أوسع مما ذكرنا. و تندرج هذه النظريات في مجال فلسفة اللغة و تكمن أهميتها بالنسبة إلى درسنا في كونها قد مثلت أساس تطور البحوث الأولى في "التداولية اللسانية" التي أدّت إلى صياغة النظريّة التواصليّة.

الفقرة الرابعة: النظرية التواصلية مع هابرماس
إن الوظيفة الأساسية لأي لغة من اللغات هي الوظيفة التواصلية بين مرسل و مرسل إليه، و على هذا المبدأ بنى أغلب اللسانيين نظرياتهم. ومنهم من جعل التواصل في حد ذاته هو الموضوع الجدير بالدراسة والتنظير، ومن بين هؤلاء الفيلسوف الألماني "جورغن هابرماس" (25) و هو من أهم منظّري الجيل الثاني ل "مدرسة فرانكفوت" و ممثلي النظرية النقدية الإجتماعيّة.
و ينطلق " هابرماس" من محاولة إرساء نظريّة عامة في التواصل، أو بالأحرى محاولة تحديد الشروط العامّة التي تجعل فعل التواصل و أخلاقه و التفاهم بين الذوات التي تشترك في هذا الفعل، ممكنين. و كان هدفه في ذلك الوصول، على غرار الفيلسوف كانط، مع الإضافة طبعا، إلى صياغة شروط "المعرفة الكليّة"، بمفهوم المعرفة المشاعة و المشتركة

La connaissance publique

و لا يهتم هبرماس باللغة من حيث هي فقط نسق من الرموز له تركيبه النحوي و معجمه و صوتياته و خصائصه الدلالية، بل يهتم بالاستعمال، لأن الذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في المعرفة الكليّة، أي في عملتي التواصل و التفاهم. و كانت اشكاليته تتعلّق بشروط الوصول إلى معرفة تساعد على التواصل و التفاهم. و يرى هابرماس أن هذا الأمر يتحقق إذا وضع كل إنسان في اعتباره ما يسميّه "دعاوي الصحّة"

Claims validity

التي تتمثل في أن يكون منطوق المتكلم مفهوما، و أن يوصل قضية صادقة حتى يستطيع المتلقي أن يشاركه في معرفته. كما يجب على المتحدث ان يعبر عن مقاصده و نواياه و رغباته بطريقة أمينة و مخلصة.

لكن ما العمل حين يحدث شكّ في صحّة هذه الدّعاوي من جانب الأطراف المشاركة في الحديث ؟

الحل في رأي "هابرماس" هو تحليل بناء "دعاوي الصحة" وشروطها، و يعني بهذا تقديم تبرير لها، و الهدف من التبرير هو الوصول إلى اجماع عقلي عن طريق الحجة و البرهان و ليس نتيجة للضغوط. هذا "الاجماع العقلي" يجب أن يكون حسب تعبير "هابرماس" :

أ- نتيجة "إرادة عامة عاقلة" أي ان القوة الوحيدة المسموح بها هنا هي قوة الحجة الأفضل.

ب- أن يكون الدافع الوحيد هو الوصول إلى الحقيقة.

ج- أن تكون لجميع المشاركين فرصة متساوية للتعبير عن مقاصدهم و اتجاهاتهم و مشاعرهم، و بذلك يستطيع كل واحد أن يثق في الآخر.

كما يضع "هابرماس" قواعد تكوّن حسب رأيه، "موقف الكلام المثالي" و هي:

أ- من حق كل شخص لديه القدرة على الكلام و الفعل أن يشارك في الخطاب

ب- من حق كل شخص أن يشكّ في أي اقتراح

ج- من حق أي شخص أن يدخل أي اقتراح في الخطاب

د- من حق أي شخص أن يعبر عن مواقفه و رغباته و حاجاته

ه- يجب الا يعوق القسر أو الضغط أي متحدث، سواء نشأ هذا الضغط من داخل الخطاب أو من خارجه

ويهدف مشروع "هابرماس" إلى " محاولة تحرير المجتمع المعاصر من أشكال العبودية ووطأة الهيمنة وقهر الندرة و الإنفعالات الحادة" و يرى "أن ذلك يبدأ من اللغة بوصفها تواصلا"

و يؤسس "هابرماس" فلسفته التواصليّة على عدد من المصالح, و ذلك في كتابة "المعرفة والمصلحة" (19)

والتي تتمثل في:

1 مصلحة تقنية Intérêt technique

وتتمحور حول تطبيقات العلم التجريبي لتلبية حاجات مادية معيّنة و هي تؤدّي إلى إنتاج المعرفة.

2 مصلحة عملية Intérêt pratique

وتهتم أساسا بعملية التواصل بين الأفراد وبين الجماعات الاجتماعية المختلفة, وذلك من خلال تأكيدها على اللغة كأداة تواصل و إفهام من الطراز الأول، لإشاعة المعرفة.

3 مصلحة تحررية Intérêt d'émancipation

و تقوم على ملاحظة الأفعال والأقوال المشوّهة الناتجة عن ممارسة القوة، ومن ثم محاولة التحرر منها ومجاوزتها إلى تأمل ذاتي معبر.

وقد أسهمت هذه العلاقات و الشروط التي أضافها "هابرماس" في تبلور الخطاب التداولي.

هذه هي إذن الأسس الفلسفيّة للمقاربة التداوليّة التي يتم بواسطتها تحليل الخطاب.

الفصل الثاني: تحليل الخطاب و تقنيات التحليل التقليدية

أدّت البحوث المتعلّقة بالنظريّة التداوليّة و النّظريّة الإتّصاليّة إلى تحديد خصوصيّة تحليل الخطاب بالنسبة إلى منهجيّات التحليل التقليديّة في علوم الإعلام و الاتصال و من أهمها تقنية تحليل المضمون و تقنية إحصاء المفردات و تقنية التحليل البنيوي و تقنية التحليل السيميائي.

الفقرة الأولى: تحليل الخطاب و تحليل المضمون

ارتبطت استخدامات تحليل المضمون أو المحتوى

L'analyse de contenu

بالدراسات الإعلامية والاتصالية. و كان هذا الارتباط نتيجة للحاجة التي فرضتها منهجية علوم الإعلام وتعقيداته منذ ثلاثينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية. و ازدادت أهميّته بعد طغيان الصفة الجماهيرية لوسائل الإعلام و تشكيل الخطاب الجمعي الجماهيري. وهي تقنية وضعها علماء اجتماع أمريكيون من أبرزهم:
برنارد برلسون(20) و روبر أندري (21)

Bernard Berelson/ Robert André

و قد عرّف "برلسون" تحليل المضمون على أنه " أسلوب البحث الذي يهدف إلى الوصف الكمي والموضوعي والمنهجي للمحتوى الظاهر في العملية الاتصالية والإعلامية "

ومن خلال هذا التعريف يمكن اشتقاق عناصر عدة يعتمد عليها هذا الأسلوب المنهجي:

1 – الموضوعية

Objectivity

ويقصد بها التجرد من الدوافع الذاتية للباحث، بحيث يمكن إعادة تطبيق الدراسة من قبل باحثين آخرين، والتّوصّل إلى النتائج نفسها.

2 – الانتظام

Systematic

ويشمل التطبيق الكامل لعدد من الخطوات العلمية المنهجية الدقيقة، وتحديد فئات الدراسة، بحيث يمكن أن تندرج تحتها كل أصناف المادة المطلوب تحليلها.

3 – الاستعمال الكمي

Quantitative

ويقصد به تسجيل التكرار أو القيمة الرقمية لأي نوع من تصنيفات المحتوى.

4 – المحتوى الظاهر

Manifest Meaning/le contenu manifeste

ويعني بذلك أن أسلوب تحليل المضمون يعتمد على تحليل المعنى الظاهر في المحتوى الإعلامي دون الالتفات إلى معاني كامنة وغير ظاهرة في الرسالة الإعلامية .

و ينطلق هذا المنهج من فرضيات الباحث أو الأسئلة التي يريد الإجابة عنها، فيضع شبكة من الفئات و الفئات المتفرّعة

Catégories et sous-catégories

تعبّر عن فرضيّاته، ثم يصنّف و يرتّب كل المادة المدروسة ضمن الفئات الموضوعة. و يقوم الباحث بعد ذلك بعمليّة عدّ إحصائي لمحتويات الفئات حسب نسبة الارتباط فيما بينها

Corrélation

و ذلك بهدف الوقوف على نسبة تكرار المضامين المدروسة

Fréquence

و تدخل تقنيّات متعدّدة ضمن منهجيّة تحليل المضمون، من أهمّها التحليل الكمي و الوصفي و التحليل حسب المحور (غرضي) أو اللغوي أو الأسلوبي، وهي الأنواع الأكثر استعمالا في بحوث الإعلام و الاتصال، و التي تكتفي بتحليل التأثيرات الكميّة للمحتوى الظاهر في وسائل الإعلام، مثل حجم المساحة و عدد المقالات حسب أجناسها، أو نسبة تواتركلمة محدّدة مثلا، دون الأخذ بالاعتبار تأثير المتكلم كوسيط أساسي منتج للمعنى، و الوسائط غير المرئية في النّص، من متلقي و سياق، كما ذكرنا، و التي تكوّن مرتكزات تحليل الخطاب. ذلك أنّ تحليل المضمون التقليدي، و نشدّد على ذلك، يهتم فقط بالمحتوى الظاهر للمادّة المدروسة.

و بذلك يختلف تحليل المضمون عن تحليل الخطاب.

إنّ النقد الرئيسي الموجه إلى منهج تحليل المضمون هو أنه يعتبر النصّ مرآة عاكسة للواقع في حين يعتبر النص في نظرية الخطاب منتجا لواقع جديد من خلال التصورات التي يروّجها و الحجج التي يحاول بواسطتها إقناع المتلقي بأن ما يقترحه هو الواقع عينه أو الحقيقة ذاتها. (22) و يمكننا ان نتساءل مثلاعن مدى صدقيّة استخلاص توفّر الديمقراطية واقعيّا لمجرّد تأكيد المتكلم على ذلك و تكرار اللفظ بنسبة مرتفعة. إذ يمكن لمثل هذا القول أن يصوّر واقعا غير موجود و يسعى إلى ترسيخه في ذهن المتلّقي و لكنه لا يعبّر عن الواقع بتاتا. و قد فصّلنا القول في ذلك في الفقرة الخاصّة بالسياق الفكري و الإديولوجيا.

يتجاوز تحليل الخطاب إذن تحليل المضمون، الذي هو كما رأينا عبارة عن تحليل داخلي للمحتوى "الظاهر الصّريح" ، في حين يعدّ الكشف عن المسكوت عنه، من ضمن أهداف تحليل

الخطاب. و يتطلّب الكشف عن المسكوت عنه استرجاع الظروف التي أدت إلى إنتاج النص، وهو ما نسميه بتحليل السياق. فالسياق هو جزء أساسي من عملية تحليل الخطاب.

و عموما فقد تقلّصت الفجوة بين تقنيتي تحليل المضمون و تحليل الخطاب بتبني التقنية الأولى أساسيات تحليل الخطاب.

الفقرة الثانية: تحليل الخطاب وتقنية إحصاء المفردات

La lexicométrie

لا تنطلق هذه التقنية من شبكة موضوعة مسبقا من المحاور أو الأغراض

Les thèmes

المراد بحثها، و إنّما تقوم بإحصاء شامل لكل مفردات النص بواسطة الحاسوب. فيتم احصاء كل الكلمات، من أسماء و صفات و أفعال و حروف، ثم ترتيبها حسب جدول أبجدي و جدول تواتر ورودها في النص. و يلجأ الباحثون في الخطاب، و خاصّة في مجال علم الإجتماع، إلى هذه التقنية التي تساعدهم في إجراء مسح أوّلي للنص باستخراج قائمة بمفرداته الأساسية

Les référents noyaux

و من سلبيات هذه التقنية أنها تفتّت النص إلى مفردات معزولة عن سياقها، و بالتالي يصبح من الصّعب تحديد معانيها، لذلك لا تصلح هذه التقنية إلا كمقاربة أوليّة تكون مقدمة لوضع الفرضيات و تحديدها بشكل دقيق و لصياغة الاشكاليات (23) أي أنّها عبارة عن قراءة أولى سريعة لمدوّنة البحث.

Une lecture volante

و قد تمّ تصميم برامج الكترونيّة خاصّة لهذا الغرض نذكر منها:

Alceste

Atlas TI

Concordances

DTM

HyperPo

Hyperbase

NVivo

Prospéro

Lexico

SATO

Sémato

SPSS

T-Lab

Taltac

Tropes

الفقرة الثالثة: تحليل الخطاب والتحليل البنيوي

تشبه البنيويّة علم اللغة، فهي لا تحاول أن توضّح لماذا نطق فرد معيّن بسلسلة من الكلمات في لحظة معيّنة، لكنّها تبيّن لماذا تملك هذه السلسلة الشكل و المعنى اللذين يجدهما فيها، و ذلك عن طريق إيجاد علاقة بين هذه السلسلة و نظام اللغة(24)
و لا تكترث النظريّة البنيويّة كثيرا بالأسباب التاريخية وراء المعنى، كما أنّها لا تكترث بالاشياء أو الكيانات التي يشير إليها المعنى.
و بهذا نجد ان التحليل البنيوي يختلف عن تحليل الخطاب، في أن تحليل الخطاب يقصد به استشفاف الدلالات الرمزية (الأفكار) و تعدّ بمثابة الصّور الرمزية التي تقدّم متجسّدة في الأفكار، بمعنى آخر فتحليل الخطاب يهدف إلى جمع **الأفكار** الواردة و احتسابها و تسلسلها حسب أهميّتها و تواترها، على أساس أن التواتر، و هو متعمّد، يؤدّي إلى ترسيخ فكرة جديدة، أو إحلال فكرة مكان أخرى أو إمحاء فكرة محدّدة. و يؤكّد "تودروف" أنّ: "الخطاب هو الذي يعرّفنا على الفكرة، و هو غير مرئي إذ يستحيل وصفه" (25)
غير أن هذه الفروقات لم تمنع محلّلي الخطاب من تبني بعض المقاربات و التقنيات المرتبطة في الأصل بالبنيوية و خاصّة ب"ما بعد البنيوية" و منها:
1- دراسة ما يسميه ألتوسير بتكوين المتخيّل

Luis Altusser
Les formations imaginaires

و هي تظهر في الخطاب من خلال الآثار التي تتركها ذاتيّة المتكلّم، و الصور البلاغية سواء كانت عن وعي أو عن غير وعي.

2- دراسة نظريّة "باختين" في التناص و تتمثل في العلاقة بين مختلف النصوص و تأثّرها المتبادل.

Mikhaïl Bakthine

L’intertextualité

3) - الخطاب كوسيلة إكراه و كقوّة و هي نظريّة ميشال فوكو كما لرأينا ذلك.

Selon Michel Foucault, l'analyse du discours postule le discours oral ou écrit comme un univers dans lequel s'expriment des contraintes. L'analyste doit faire émerger, à l'intérieur du discours, les traces de contraintes, les oppositions et les résistances.

<u>الفقرة الرّابعة: تحليل الخطاب والتحليل السيميائي</u>

يستعمل التقليد الأنجلوسكسوني تعبير "السيميوتيقا"

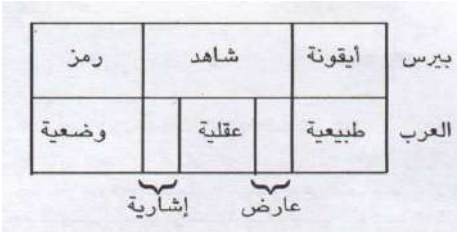
Semiotic (Eng)

في حين تستخدم المدرسة الفرنسية كلمة
"السيميولوجيا".

Siméologie(Fr)

و هي تهتم بدراسة كلّ العلامات التي يمكن استعمالها في عمليّة الاتصال، من كلمات و إشارات وصور و موسيقى و ألوان... و تصف الدّلالات و كيفيّة اشتغالها، و القواعد التي تحكم استعمالها. تسأل السيميائيّة إذن عن كيفيّة خلق المعنى، بدلا من السؤال عن ماهيّة المعنى (26) و تهتمّ السيمائيّة أساسا بالطريقة التي تحقّق بها هذه الدلالات عمليّة الاتصال.

إن علم الدلالة وهو يصنف أنواعها الى طبيعية (الشئ) وعقلية(الإستدلال) و وضعية (الدال أو أسماء الأشياء أو الرموز) لم تفته الاشارة الى مجالات الاتصال سواء أكانت صوتية أم سيميائية. و قد كان إسهام العرب جليا في هذا الميدان ولاسيما في احتكاكهم بالفلسفة اليونانية منها المشائية. و يقارن "عادل فاخوري" بين علم الدلالة عند العرب والسيميائيات الحديثة. ويعطي مثلا مقارنا بين تقسيمات علم الدلالة وتصنيف بيرس الأمريكي للعلامة(27)



إن هذا العلم، كما تنبأ به "دي سوسير" وتصوره "تشارلز سندرس بيرس" يطمح الى أن يكون علما لجميع أنساق العلامات لغوية كانت أو غير لغوية.
فالأنظمة التي سادت في المجتمع البشري مثلا، لها من العلامات والأنظمة الرمزية الثقافية ما تمكّن السيميائي من تحديد شريحة أو فئة أو طبقة اجتماعية، ففي التنظيم العشائري نرى طقوسا وعادات، تتجل في جملة من العلامات والرموز، تتميز بها عن نظام اجتماعي آخر، في طرائق الحفلات والأعراس والمآتم والأعياد وغير ذلك من المظاهر الثقافية. و هناك رموز لكل شكل من هذه الأشكال التواصلية، و هي تتطلب جهدا عمليا لفهمها ومحاولة تفسيرها.

وهو ما حدا "برولان بارت" في كتاباته و خصوصا في "ميثولوجيات وامبراطورية العلامات عناصر السيميولوجية" الى إثارة هذه القضايا التي تتعلق بنضج هذا المشروع، و القول بأن "السيميولوجيا ما تزال بحاجة الى تصميم ونعتقد أنه لا يمكن أن يوجد أي كتاب وجيز لمنهج التحليل هذا، وذلك على الأكثر بسبب سمته المتسعة، لأن السيميولوجيا ستكون علم كل أنساق العلامات" (28)
و قد عرفت سيميائيات التواصل تقدما فعليا في مجال تحليل الرسالة، مع رولان بارت.

لذلك يعدّ التحليل السيميائي عند بعض المختصّين هو ذاته تحليل الخطاب خاصّة في مجال الإعلام و الإتصال و يظهر ذلك في (29):
1- توظيف السيميائيّة بمختلف العلامات، القوليّة و غير القوليّة لخلق المعنى.
2- اهتمام السيميائيّة ببناء نظام لانتاج الأقوال والنصوص. وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية
3- اهتمام المجال السيميائي بالأطر المرجعية للتلفظ و التواصل، مثل الايحاء الاجتماعي ونسبته للسياق الثقافي. فالعلامة كما يعرّفها "أولمان.س." هي نتاج اجتماعي واع يتكون من دال ومدلول يمثلان بوجه عام شيئا أو مفهوما غير العلامة ذاتها"
4- يهدف التحليل السيميائي للنسق الاجتماعي، إلى استكشاف نظام العلاقات داخل المجتمع وعلى الخصوص علاقات الأفراد وحاجاتهم.

5- تؤمن السيميائيّة، شأنها شأن نظريّة الخطاب، بشرط التعاون بين المتخاطبين لأنّ التواصل البشري أعقد من أي تواصل آخر، و لأن استعمال العلامة في هذا المجال لا يتمّ كما قال "فردينان دي سوسير" إلا داخل الحياة الاجتماعية، لهذا يشترط التعاون قصد إيصال الرسالة الى المتلقي، ولن يتحقق ذلك إلا بالتواضع المتبادل والتوافق حتى يتسنى لأي حوار، يقوم بين الباث والمتلقي، تقديم أفكار في شكل شيفرات متواضع عليها.

6- يؤلف كلّ من الخطاب و السيميائيّة بين العوامل اللغوية والعوامل غير اللغوية .

و قد كان تحليل الخطاب أساسي في تطور حقل الأنثروبولوجيا في مجال اللغات غير المعروفة، أو قليلة المعرفة، حيث يواجه الباحث الميداني مهمة بالغة الصعوبة عندما يحاول تحليل اللغة دون مساعدة من قواعد أو قواميس. و في بعض الأحيان يتم ذلك دون وجود مترجم. و تكون الفرصة الوحيدة في تحليل تلك اللغة هي استنتاج طبيعة الكلمات والجمل ومعناها من سياق استعمالها الاجتماعي.

هوامش الجزء الرابع

1) Language 1952 Analyse du discours revue langage n° 13 mars 1969

***2)** Michel. AK Halliday et Ruqaiya Hasan "cohesion in English"*

3) لا يجب الخلط بين التداولية و النفعية على أساس أنها تعريب لمصطلح البراجماتية الذي عرّب إلى النفعيّة

La pragmatique n'est pas le pragmatisme

و النفعية هو مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياسا للحقيقة معتبرا أن الحقيقة المطلقة غير موجودة و أنه لا شيء حقيقيا إلا كل ما ينجح. و قد صاغ هذا المذهب "بيرس" عام 1879 و طوره كل من "جايمس" و "ديوي"

و كان و ما زال مذهبا ذائع الصيت في الولايات المتحدة الأمريكية في مجالات السياسة و الاقتصاد و العلاقات الدولية.

4) فرانسوا و أرمينكو المقاربة التداولية ترجمة د سعيد علوش مركز الإنماء القومي 1989 ص 80

*5) **تشارلز موريس** (23 مايو 1903 ، ودنفر (كولورادو) - 15 يناير 1979*

Philosophe américain et sémioticien dont l'œuvre est un commentaire de la théorie des signes de C. S. Peirce. Dans Signs, Language, and Behaviour (1946), Morris distingue, à l'intérieur de la sémiotique (théorie générale des signes), l'étude syntactique, qui décrit les relations des signes les uns avec les autres ; la sémantique, qui décrit la manière dont ils désignent ; la pragmatique, qui décrit la relation entre les signes et ceux qui les interprètent. Selon le principe béhavioriste, il cherche à montrer que l'interprétation des signes n'est pas un acte intérieur privé mais une conduite observable publiquement. Il considère également les éléments primitifs du comportement : notre action est une conséquence de notre interprétation d'une situation. Parti de la sémiotique, Morris s'est finalement orienté vers la psychologie sociale.[...]

Foundations of the Theory of Signs (1938), which was the first volume of the grand project for the International Encyclopedia of Unified Science.
also include the elaboration of his work in semiotics, Signs, Language, and Behavior (1946) and Signification and Significance (1964
)*Foundations of the Theory of Signs (1938). Tr. fr. partielle : "Fondements de la théorie des signes", Langages, vol. 35 (1974), pp. 15-21, Paris, Larousse.*

6) فرانسوا و أرمينكو المقاربة التداولية. مصدر سابق

*7) **Charles Sanders Peirce** Écrits sur le signe, rassemblés traduits et commentés par G. Deledalle, Paris, Le Seuil (coll. L'ordre philosophique1978,*
***Peirce, 1839/1914 philosophe américain** est considéré comme le fondateur de la sémiologie ou la sémiotique*

8) فتجنشتين، بحوث فلسفية، ترجمة د. عزمي إسلام، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1990. ص 48 و ما بعدها

9) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقية، 214 صفحة. انظر:

J Austin, Quand dire c'est faire, Éditions du Seuil, Paris 1970 (Traduction par Gilles Lane de:
How to do things with Words: The William James Lectures delivered at Harvard University in 1955, Ed. Urmson, Oxford, 1962)

10) John Searl Les actes de langage, 1972, éd. Hermann, rééd. 2009 (Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language (1969)

11) فتجنشتين، بحوث فلسفية،مصدر سابق

*12) **Herbert Paul Grice** Logic and conversation. In Cole, P. and Morgan, J. (eds.) Syntax and semantics, vol 3. New York: Academic Press.1975*

*13) هذه الفقرة مأخوذة بإيجاز و تصرف من: **التداولية اليوم**، علم جديد في التواصل، آن روبول و جاك موشلار ترجمة د.سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، 2003*

14) J. Austin, Other minds, philosophical Papers, Oxford Univ, Press, London, 1961

15) Une énonciation est performative lorsqu'elle ne se borne pas à décrire un fait mais qu'elle « fait » elle-même quelque chose. ***Un exemple typique d'expression performative est la phrase « Je vous déclare mari et femme » que prononce le maire lors d'un mariage. La phrase fait changer les fiancés de statut en la prononçant le maire constitue les fiancés comme mari et femme, ils passent de l'état de fiancés à celui de mariés.*** *Il y a donc plus dans l'énonciation de cette expression que la description d'un fait : dire cette phrase, c'est accomplir un acte en disant qu'on l'accomplit, il s'agit donc d'un tout autre acte que celui de prononcer la phrase).*

16) ***التداولية اليوم،*** *علم جديد في التواصل، آن روبول و جاك موشلار. مصدر سابق*

17) Searl. J. R. Speech Acts, An essay in the Philosophy of Language, Cambridge Univ, Press, London, 1969, p.16

18) Habermas.J, what is universal pragmatics ? ,(article publié originellement dans K.O. Appel éd, 1976

Habermas.J, Theorie des Kommunicativen Handelus, 1982 plus de 1000 pages, 2 vol Francfort, suhrkamp (t1 théorie de l'action communicationnelle, t2 pour une théorie de l'action fonctionnalisteM rationalité de l'action et rationalisation sociale

19) Habermas.J, connaissance et intérêt. Trad et préface de Jean-René Ladmiral. Paris, Gallimard, 1976 (Fr)

Habermas.J, Knowledge and Human Interests, an english trans, by Jeremy. J.Shapiro, Beacon Press? Boston? 1971, p.176 (Eng)

20) *Bernard Berelson, content analysis in communication research, Glencoe,III. Free Press, 1952*

21) Robert, André D., Bouillaguet, Annick. L'analyse de contenu mise à jour. Paris: PUF, 2002. 128 p

22) *P. Henri and S. Moscovici, Problèmes de l'analyse de contenu, revue Langage, n° 11, 1968*

23) P. Guiraud, Problèmes et méthodes de la statistique linguistique, Paris; Larousse, 1960

24) وليم راي "المعنى الأدبي من الظاهراتيّة إلى التفكيكيّة، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد، دار المأمون 1987، ص126

25) تزفتان تودروف، اللغة و الأدب في الخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، المركز الثقافي، 1993، ص48

26) Adam Senaf: Introduction a la semamtique, ed : Hutropos, Paris, 1974 - pp: 194

و انظر باللغة العربيّة:

د. نايف الياسين، السيميائيّة و البنيويّة في النقد التلفزيوني، مجلّة البيان، عدد 354، سنة 2000 ص *35*

27) من كتاب «التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي «للدكتور مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى 2005

28) أنظر مثلا:

رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد ، ترجمة مجموعة من المؤلفين ، مجلة آفاق المغربية ، ع8- 9، 1988

.

29) - محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 100 صفحة.

الجزء الخامس: تقنيات تحليل الخطاب

اخترنا التركيز على ثلاثة تقنيات تستجيب للإشكاليات المطروحة في أغلب البحوث الإعلاميّة و هي التّصورات المرّوجة في الخطاب الإعلامي و المفاهيم التي يعتمدها الخطاب الإعلامي خلال تغطيته للأحداث السياسية، و أخيرا الحجج المعتمدة لتبرير الآراء خاصّة في مقالات الرأي، و

ذلك من خلال تحليل مسار البرهنة الذي يعتمده المتكلّم و استخراج طرق التأثير و الإقناع من الحجاج.

و تسمح هذه التقنيات كذلك بالوقوف على الأهداف العامة للخطاب و الإستراتيجية المتوخاة لتحقيقها.

و تقنيات التحليل الملائمة لمثل هذه الإشكاليّات هي:

1) تقنية تحليل القوى الفاعلة(**الفصل الأوّل**)

La technique d'analyse actantielle

2) تقنية تحليل حقول الدلالة(**الفصل الثاني**)

La technique d'analyse des champs sémantiques

3) تقنية تحليل مسار البرهنة(**الفصل الثالث**)

La technique d'analyse du processus d'argumentation

و يتم التحليل بالإستعانة بشبكات قراءة ملائمة لكل تقنية، سنقوم بتقديمها.

أما قراءة الشبكات فتتم بطريقة عمودية و أفقية، و تقدم النتيجة في شكل تحليل تأليفي في ضوء كل الوسائط، أي العناصر المنتجة للخطاب، على أساس المقاربة التداولية.

La lecture des grilles se fait aux niveaux verticaux et horizontaux. Le résultat est présenté sous forme d'une synthèse développée à la lumière des éléments producteurs du sens, c'est à dire selon l'approche pragmatique

الفصل الأول: تقنية تحليل القوى الفاعلة

La technique d'analyse actantielle

تسمح هذه التقنية بتحليل تمثلات المتكلم تجاه القوى الفاعلة وأفعالها في خطاب ما، وكذلك قيمها وصفاتها وأدوارها. و يقوم الباحث، لتحقيق ذلك، بتصنف هذه القوى إلى فئات إيجابية أو قوى مساعدة إيجابية، وفئات سلبية أو قوى معاكسة سلبية، و ذلك حسب تصورات المتكلم و ليس حسب رأي الباحث. كما يتمّ تصنيف مرجعيات المتكلم و تحليلها.

ويهدف التحليل إلى تحديد تصوّر أو تمثّل المتكلم للقوى الفاعلة، في نطاق تحليل إيديولوجيته السياسية(1)

Cette technique permet d'analyser les représentations, composées de :

1) Les forces adjuvantes qui sont les acteurs, leurs actions, les valeurs qu'ils invoquent, leurs qualifications et leurs rôles, tels que présentés par l'émetteur.

2) Les obstacles qui sont les contre-acteurs, contre-actions, contre-valeurs…. Il s'agit d'une grille symétrique à la première.

3) Les références de l'émetteur

الفقرة الأولى: شبكة تحليل القوى الفاعلة

La grille d'analyse actantielle

مرجعياتهم Références	قيمهم valeurs	أدوارهم rôles	صفاتهم qualificatifs	أفعالهم actions	الفاعلون acteurs

الفقرة الثانية: تعريف عناصر شبكة تحليل القوى الفاعلة

Définition des éléments constitutifs de la grille d'analyse actantielle

1) الفاعلون:

وهم الأشخاص أوالمجموعات المعنوية (مثال: الشعب، الأمة) أوالمؤسسات والدول التي يمنحها المتكلم صفة أو دورا أو فعلا أو قيما. و يمكن أن يكون الفاعل مشاركا لفاعل أساسي أو فاعلا غير محدد مثل: (من أو أولئك) وتحدد صفة الفاعل سلبا أو إيجابا من خلال سياق المتكلم و ليس حسب رأي المحلّل.

Les acteurs

Il s'agit des personnes physiques ou morales ou de groupes et institutions (le peuple, la nation, l'armée) auxquels l'émetteur attache des actes, rôles, valeurs et qualifications. L'acteur peut être un acteur associé à un acteur principale (le peuple avec l'armée) l'acteur peut ne pas être spécifié (celui, certains…) C'est la parole de l'émetteur qui détermine la qualité (forces adjuvantes ou obstacles) des acteurs et non pas l'opinion du chercheur.

2) الأفعال

وهي أفعال الفاعلين الإيجابيين أو السلبيين حسب المتكلم وكذلك الأفعال التي تمارس على الفاعل.

ويجب على الباحث التّقيد بصغة الفعل كما جاءت في الخطاب (حاضر أو ماضي أو مستقبل أو أمر أو مشروط أو منفي أو مجزوم). ويرفق الفعل بصفته (مثال : عاشوا وسط الخوف)

Les actions : Il s'agit de tout acte rattaché à l'acteur par l'émetteur, y compris les non-actions, les actes subis et les actions sur soi.
Le chercheur doit respecter le mode du verbe tel que déterminé par le locuteur (présent, passé, futur, interrogatif, négatif, impératif, conditionnel) en spécifiant le contexte du verbe (exp : ils ont vécu dans la peur)

3) الصفات

وتشمل الصفات والنعوت والحالات والجمل الموصولة والخبر المضاف للفاعل وغيرها من الوظائف النحوية التي تصف وتنعت الفاعل.

Les qualificatifs : qui sont rattachés par l'interlocuteur à l'acteur.

4) الأدوار

و هي الوظائف و الأعمال والأهداف التي يقرّرها ويحدّدها المتكلم للفاعلين. وتأتي في صيغة غير فعلية (مصدر) مثال : "القيام بإصلاحات ومعاقبة المجرمين والحكم بفاعلية"

Les rôles: qui sont attribués par l'interlocuteur aux acteurs

5) القيم

وتشمل القيم التي يلحقها المتكلم بالفاعل السلبي أو الإيجابي.
وتتنوع طبيعة القيم كالآتي :
- قيم تتصل بالمجال القانوني مثل: الدستور، وقرار مجلس الأمن... ألخ
- قيم إيديولوجية: مثل قيم الديمقراطية والليبرالية الاقتصادية : فصل السلطات، المجتمع المدني، التعددية، استقلالية القضاء، التسامح، الاقتصاد الحرّ، الحرية، حقوق الإنسان...ألخ أو قيم ماركسية أو إسلامية مثل الصراع الطبقي أو الشورى و الإجماع... الخ.
- قيم الحداثة مثل العقلانية والتنمية والتطور والتاريخ البشري والمعرفة والعلم والرفاهية والكفاءة والسلم والأمن... الخ.
- قيم وطنية أو قومية مثل: التاريخ، الشهداء، الثقافة، الهوية، الوحدة، التراث...الخ.
- قيم تكرس سلطة الدولة مثل: الاستقلال، السيادة، السلطة، الجيش...الخ.

Les valeurs : elles sont de natures diverses :

- Juridique : la loi, la constitution, les décisions de l'ONU

- Idéologiques : démocratie (séparation des pouvoirs, élection…) socialisme, (justice sociale) communisme (lutte des classes) islamisme (choura, ijma') économie libérale (loi du marché, concurrence)

- Les valeurs de la modernité: rationalisme, progrès, développement, connaissance, sciences, histoire humaine, la compétence, la paix, la sécurité…

- Les valeurs nationales ou nationalitaires : histoire, martyrs, unité, culture, patrimoine…

- Les valeurs qui renforcent l'autorité de l'Etat : l'indépendance, la souveraineté, le pouvoir, l'armée…

6) مرجعيات المتكلم :

وتشمل أسماء العلم و الأعلام والمؤسسات والأماكن الجغرافية والمعاهدات وكذلك الاستشهادات. ويدخل ضمنها الاستشهاد بنصوص دينية وبالتاريخ القديم أو الحديث أو المعاصر وبالأحداث.

Les références de l'interlocuteur comprennent les noms propres, ceux des institutions et des espaces géographiques, des conventions et les citations (religieuses, historiques et factuelles)

و يتم تحليل **الحقول المرجعية بواسطة تقنية تحليل الحقول المرجعية**

La grille d'analyse des champs référentiels

و تسمح هذه الشبكة بإعادة توزيع مرجعيات المتكلم و بتصنيفها حسب مختلف المراحل التاريخية و الشخصيات و المؤسسات و الأحداث التي يستشهد بها.

Cette grille permet de redistribuer les références du locuteur dans des catégories relatives aux diverses étapes historiques et selon les personnalités, les institutions et les événements cités.

الإشارات إلى التاريخ

تاريخ قديم قبل القرن 16	إيجابي مبررات	سلبي مبررات	**تاريخ حديث** من ق 16 إلى 19	إيجابي مبررات	سلبي مبررات	**تاريخ معاصر** ق20 -21	إيجابي مبررات	سلبي مبررات

استشهاد بأسماء علم

شخصيّات	إيجابي مبررات	سلبي مبررات	**مؤسسات**	إيجابي مبررات	سلبي مبررات	**مناطق** جغرافية	إيجابي مبررات	سلبي مبررات

الفصل الثاني تقنية تحليل حقول الدلالة

La technique d'analyse des champs sémantiques

تسمح هذه التقنية باستخراج تصورات المتكلم المتعلقة بالمفاهيم مثل الإرهاب، الديمقراطية، الإسلام، الحرية، المساواة...(2)

و قد اجتهدت الباحثة "مارلين نصر" لتكييف هذا المنهج مع النص العربي نظرا لاختلاف بنية الجملة العربية عن بنية الجملة الفرنسية. و أعادت تحديد مختلف شبكات الدّلالة باعتماد القوانين النحوية للجملة العربية. و قد اعتمدنا على التّعريفات التي حدّدتها مارلين نصر عند تعريب بحثها(3)

Cette technique permet de déterminer les représentations du locuteur relatives aux notions et concepts tels le terrorisme, la démocratie, l'islam, la liberté, l'égalité….

الفقرة الأولى: شبكة تحليل حقول الدلالة

La grille d'analyse des champs sémantiques

المفهوم Notion	المواصفات qualifications	المشاركات associations	المناقضات oppositions	المعادلات équivalences	أفعال الأل actions	أفعال العلى Actions subies

و من المستحسن إضافة خانة لمراجع المتكلم يتم توزيعها على شبكة تحليل المرجعيات كما رأينا ذلك في تقنية تحليل القوى الفاعلة.

الفقرة الثانية: التعريف بمكونات الشبكة

تتكون الشبكة من المفردات المجاورة للمفهوم المدروس و هي مفردات تكون لها عادة علاقات إيجابية و علاقات سلبية أو علاقة معادلة مع المفهوم و يعبّر عنها بالمصطلحات التالية:

1) المشاركات

Les associations

(2 بالمناقضات

Les dissociations ou opposition

3) المعادلات

Les équivalences

كما تتضمن الشبكة فئات اخرة و هي:

4) المواصفات

Les qualifications

5) فئات الأفعال

Les actions

التي تتفرع بدورها إلى:

6) **أفعال الأل:** وهي الأفعال التي يقوم بها المفهوم المدروس عندما يكون في موقع الفاعل.

Il s'agit des actions du concept lorsqu'il est en position d'acteur

7) **أفعال العلى** و هي التي تمارس على المفهوم عندما يكون في موقع المفعول به.

Il s'agit des actions subies lorsque le concept est en position d'acté.

الفصل الثالث: تقنية تحليل مسار البرهنة

La technique d'analyse du processus d'argumentation

و هي تقنية تسمح باستخراج الحجج و مقدّماتها أو منطلقاتها، و مجال الحجة و نمطها، و استراتيجية الحجاج المتوّخاة من طرف المتكلّم، و هو ما يسمّى بالمسار الحجاجي أو مسار البرهنة. و تعتمد هذه التّقنية خاصة في البحوث المتعلّقة بالأقوال ذات الطابع الجدلي التي نجدها مثلا في مقالات الرأي (للمزيد من التفاصيل أنظر: أساليب التضليل الحجاجيّة الفصل الثالث من الجزء الثالث أعلاه)

الفقرة الأولى: شبكة تحليل مسار البرهنة

La grille d'analyse du processus d'argumentation

أطروحة المتكلّم أو رأيه أو موقفه Thèse, opinion,position du locuteur	الحجة المقدّمة L'argument	مجال الحجة Le domaine	منطلقات الحجة Les prémisses	نمط الحجة و تقنيتها La technique d'argumentation	استراتيجية الحجاج La startégie
		مجالات المعرفة: سياسية، اقتصاد، ثقافة...	وقائع حقائق، افتراض	اقتناعي الاقناعي (تأثير)/ تبادلية، سببية، استعارة، تكرار	نقض، مساندة، وفاق...

الفقرة الثانية: التعريف بمكونات الشبكة

1) **الأطروحة**: و تعني الرأي أو الموقف أو الحكم الّذي يقدّمه المتكلّم و الذي يسعى إلى إقناع المتلّقي به
2) **الحجة:** و هي الأدلّة التي يقدّمها المتكلّم للبرهنة و للدّفاع على صحّة موقفه أو طرحه. و يمكن أن يعتمد في ذلك على أدلّة ملموسة من الشّواهد أو أدلّة تعتمد على مبادئ منطقية. و يتميز الحجاج إمّا بالموضوعية أو بالانفعال أو بكليهما، تبعا للتّأثير الذي يرغب الخطيب في احداثه.

Le locuteur peut recourir au registre rationnel ou sentimental, ou aux deux à la fois.

3) **مجال الحجة:** و هي مجمل مجالات المعرفة الإنسانية من علوم صحيحة وتاريخ و سياسة و اقتصاد...الخ

4) منطلقات الحجة

ينطلق الحجاج من منطلقات أو مقدمات

Des prémisses

تقدّم من قبل المتكلّم على أنها مسلّمات يقبل بها المتلقي، و إن كان هذا الأخير قد يرفضها، إما لكونه لا يسلم بها أو لكونه قد أدرك نوايا المخاطب. و لا تعرض كل المقدمات ضرورة في بداية الكلام، و إنما يتم كذلك عرضها أثناء الكلام. و لا يكفي أن يكون للمتكلم مقدمات بل يجب أن تكون ذات فاعليّة حجاجيّة، فقد تكون الحجّة مقنعة، غير أنّها لا تؤثّر بسبب ضعف منطلقاتها. فالمنطلقات أو المقدمات تدخل في المسار الحجاجي و تؤثّر في المتلقي و تساهم في إقناعه.

و يمكن ردّ المنطلقات إلى نوعين:
1)نوع واقعي متعلق بالوقائع و الحقائق و الافتراضات
2) نوع مثالي متعلق بالقيم و المعاني و الصفات

اوّلا) المقدمات الواقعية

وهي التي يجدر بالإعلامي استخدامها لأنّها تدخل في خانة الاقتناع، أي إقناع المتلقي نفسه بنفسه، وهي قوية نسبيّا و منها:

أ الوقائع

Les faits

و تدخل الوقائع في منهج الخبر و الإخبار، و لا تكون عرضة للشك.
مثال لمقدّمة واقعيّة حجاجيّة: "هتلر وصل إلى السلطة عبر الديمقراطية ثم ألغاها" و هي واقعة لا يمكن إنكارها.
الرأي: "كلّ من لا يؤمن بالديمقراطية، و يصل إلى السّلطة عبر الديمقراطية يلغيها"
الإستنتاج: "لا حريّة لأعداء الحريّة"

ب) الحقائق

Les vérités

و هي أكثر تعقيدا من الوقائع، فهي تقوم على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية، و هي تكتسب الصيغة الكونية مثال "الأرض تدور" أو "البشر فانون إذن سقراط فان" أو "العدل يقتضي الاقتصاص من المجرم" ...
و يعمد الخطيب غالبا إلى الربط بين الحقائق و الوقائع.

ج) الافتراضات

Les presumptions ou hypothèses

و تحضي الافتراضات بالموافقة العامة، و لكن التّسليم بها لا يكون قويّا حتّى تأتي عناصر أخرى تدعمها. و هي تحدّد بالقياس إلى العادي أو المحتمل، و هما متغيّران بتغير الحالات و الجماعات البشرية: مثال القول عند اختفاء اللحم من المطبخ بأنّ القط هو الذي سرق اللحم، و هي فرضية محددة بالقياس إلى العادي، لكنه يظلّ افتراضا من ضمن عديد الافتراضات.

ثانيا) المقدمات المثالية

و تدخل المقدمات المثالية في مجال الإقناع بالعاطفة أو التأثير، و هي تستعمل بكثرة في الخطاب السياسي.
و لا يسمح باستخدامها في الخطاب الإعلامي لانّها ذاتيّة، فهي تعتمد مثلا القيم و المعاني المشتركة و الصفات، و كلّها متغيّرة أي ذاتيّة. فالإعتماد على قيم القانون الدّولي الذّي يعترف بالحق في المقاومة يقنع عددا أكبر من النّاس من الإعتماد على حجّة الجهاد مثلا التي تقنع المسلمين فقط.
و يمكن تصنيف المقدّمات المثاليّة كالآتي:

أ) **القيم**

Les valeurs

يعوّل المتكلّم على القيم لجعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء. و القيم فيها المجرد، مثل العدل و الحق و الخير و الجمال و القانون و الحب... و فيها المحسوس مثل: تونس أو البيت و العائلة.
و تخضع القيم إلى هرميّة تفضيليّة.
فالجمال درجات و هو أحسن من القبيح، و العدل أفضل من النفع، و الإنسان أعلى درجة من الحيوان...

و تعتبر هرميّة القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها. فالّذي يميّز بين المتلّقين ليس القيم التي يسلّم بها، بقدر ما يميّز بينهم ترتيبهم إيّاها حسب الثقافات و البلدان، أو الإديولوجيّات داخل نفس البلد.

ب) المعاني المشتركة

Les lieux communs

أو الأمثلة، و هي تنهض بدور حجاجي، و هي أعمّ من القيم. مثال "الذي تعرفه أفضل من الذّي لا تعرفه" و "الثابت أفضل من الزّائل" و "الكلّ خير من الجزء".... و هي أحكام تبدو منطقيّة، غير أنّها لا تعبّر دائما عن حقيقة مطلقة، فبعض الثوابت غير نافعة، فضلا على أنّها ليست ثوابت في المطلق، و الفرد (كجزء) أهم من المجتمع (ككلّ) في بعض الثقافات، أو الحالات، بالنسبة للحرّيات مثلا.

ج) النعوت و الصفات

Les qualifications

و المقصد الحجاجي من إطلاق الصفة هو تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به على الشخص أو الحدث. فقولنا بأن هذا الشخص سارق، يتجاوز مجرد الإدانة أو الوصف إلى تحديد نوع العقاب. و يعتبر إطلاق الصفات مدحا أو ذما، غير مبررة إعلاميّا لانّها من قبيل المصادرة.

Une pétition de principe

فكأنّما يقول الصحافي للمتلقين "لقد نبّهتكم" في حين أنّ ليس له الحقّ في المصادرة على آراء النّاس.

د) أعمال القول

الأقوال لا تخرج عن معنيين: الأول حجاجي، والثاني إخباري، و لكن القيمة الأساسية تميل جهة المكوّن الحجاجي الذي يستأثر بالتركيب علي خلاف المكون الإخباري، الذي يظل هامشيا، لأن المعني الحجاجي هو الذي يحكم اشتغال الأقوال داخل الخطاب . المهم أن كل عبارة صادرة عن متكلم هي قول وفعل سيما إذا اقترنت بفعل إجرائي، وهذه الوظيفة تقلل من اعتبار الإخبار، الوظيفة الوحيدة للغة كما ذهب إلي ذلك كثير من اللسانيين. إننا نستعمل اللغة لإنجاز أفعال عديدة، ولتغيير الواقع أو تغيير علاقتنا معه وللتأثير في الغير وفي الأشياء، حسب النظريّة التي أرسي مبادئها أوستين.

و قد فصّلنا القول في ذلك عند عرضنا لأسس الفلسفة التداوليّة و نظريّة الإنجاز بالأقوال. و رأينا تصنيف الأنماط الثلاثة للقول كفعل. و يهمّنا منها النّمط الثالث هو **عمل التأثير بالقول، أي** العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما، و نعني الفعل الذي يقوم به المتلقي و الناتج عن القول، كقبول الدعوة، وإجابة السؤال، و الوعد، و التهديد، والامتثال لأمر...

و قد سمحت نظريّة افعال الكلام للتداوليين بالقطع مع التصور الذي يرى في اللغة مجرد وسيلة لتمثيل الواقع أو الفكر، و رأيتها علي عكس ذلك، أي كجهاز يمكّن من إنجاز أفعال من نمط معين، حصرها أوستين كما رأينا ذلك، في أفعال كلامية عديدة.

والمتفق حوله في هذا التصور، هو كون الأقوال التي ننتجها في حياتنا اليومية لها جانبان جانب لغوي، وجانب فعلي، إنها أقوال وأفعال، أو هي أقوال يمتزج فيها القول بالفعل .

فالذي يُعتمد عليه في بناء الخطاب وتوالي الأقوال، وتسلسل الجمل هو القيمة الحجاجية التي للقول، فهي التي توجّه الخطاب وتحدّد المسار الذي ينبغي أن يسير فيه. الحجاج هو إذن ما أسّس علي بنية الأقوال اللغوية وعلي تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، و هو العمليّة التي يسعى من خلالها المتكلّم إلى تغيير نظام المعتقدات و التصوّرات لدى مخاطبه

بالوسائل اللّغوية، و منها صيغ الأمر، و هي مؤثرة جدا حين تأتي بعد مقدمات قوية مثال " و قل فاعملوا" و الهدف منها هو تغيير السّلوك.
و قد أحصى "أوستين" خمسة أصناف من الافعال و هي: (4)

د.1 - افعال الأحكام/ الحكمية
وتقوم على الإعلان عن حكم، و إطلاق أحكام على واقع، و من أمثلتها: قيّم، حكم، وصف، حلّل، صنّف، فسّر.

د.2- افعال التنفيذ/ التمرُّسية
و هي تقوم على إصدار قرار لصالح، أو ضد، فعل أو مجموعة أفعال ما، مثل: أمر، قاد، دافع عن، ترجى، طلب، تأسّف، نصح، عيّن.

د.3- افعال الوعود/ التكليف
و هي تتمثل في التزام المتكلم بأداء فعل ما أو الإفصاح عن نوايا، مثل: وعد، ضمن، تمنى أقسم، راهن، التزم بعقد، عزم، نوى.

د.4- افعال السّلوك/ السلوكيات
و تتعلق بردود الفعل تجاه الأحداث او سلوك الآخرين، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنئة، الترحيب، أو النقد، الهجاء، التوبيخ.

د.5- افعال التوضيح/ العرْضية. و تستعمل لعرض مفاهيم، و بسط موضوع، و توضيح استعمال كلمات، و ضبط مراجع، مثل: أكّد، أنكر، أجاب، نقل، أثبت، استنبط، شرح.

كما قدّم "سيرل" تصنيفه الخماسي أيضاً، المنقسم إلى: التأكيدات، والأوامر، والالتزامات، والتصريحات، والإدلاءات.

5) أنماط الحجاج

إنّ الخطاب السياسي، ككلّ خطاب إديولوجي، وظيفته التأثير و التوجيه
L'influence et la manipulation
و هو قول محرّك للانفعالات
Les passions
أو الفتنة و الإغراء
La séduction
يثير مشاعر الغضب أو الغيرة أو الرّحمة أو الخوف، بحيث يصبح الإقناع، و ليس الإقتناع، خادما للتأثير. و عندما يخضع الخطاب الإعلامي إلى المجال السياسي أو الإديولجي بصفة عامّة، تتحوّل وظيفته من المساعدة على الإقتناع
La conviction
إلى إحداث الإقناع.
La persuasion
و يوجد فرق نوعي بين الوصول إلى الاقتناع دون حمل على الإقناع. و هذه هي الظاهرة التي يعمل محلّل الخطاب الإعلامي على استخراجها من مسار البرهنة و توضيح أليات اشتغالها.
و لتوضيح الفرق بين الإقتناع و الإقناع يجب التّمكن من أنماط الحجاج.(5)

و يقوم الحجاج على نمطين: الحجاج الاقتناعي **و** الحجاج الاقناعي. و لكلّ نمط من هذين النمطين تقنياته الخاصّة.

أوّلا) تقنيات الحجاج الاقتناعي

L'argumentation convaincante

الحجاج الاقتناعي هو حجاج شبه عقلاني يقوم على القياس و الاستدلال، و يرمي إلى التسليم به بالعقل. و هو يعتمد ما يسمّى **بالحجج الشبه منطقية**، لأنّها تشبه الطرق الشكلية و المنطقية الرياضية و تعتمد الاستدلال و القياس.

Le raisonnement et l'l'analogie

و يكون الإنسان في حالة الاقتناع قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة.

و يتماشى هذا النّوع من الحجاج مع الوظيفة الإعلاميّة و هو المطلوب استخدامه في مقالات الرأي.

و نذكر تقنيتين من أهمّ تقنيات الحجاج الإقتناعي:

1- تقنية حجاج كشف التناقض

و هو أن تكون هناك قضيّتان إحداهما نفي للأخرى، كأن يقال "المطر ينزل و لا ينزل"

و يعمل الحجاج هنا على فضح التّعارض.

2- تقنية

Les arguments de réciprocité

مثال: ضع نفسك في مكاني، أو أ حلال عليكم حرام علينا ؟

و تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين معالجة واحدة، و هو ما يعني أنهما متماثلتان، و إن بطريقة غير مباشرة، و هو ما يعرف بضرورة تطبيق قاعدة العدل

La règle de la justice

مثال اعتبار المقاومة هي ذاتها سواء كانت في فلسطين أو في العراق أو في فرنسا تحت الإحتلال النّازي، و لذلك لا يمكن اعتبار بعض المقاومين إرهابيّين.

و كذلك فضح ظاهرة الكيل بمكيالين الرائجة في مجلس الأمن و ينقسم **الحجاج القائم على العلاقة التبادلية** إلى:

أ- حجج التعدية:

Les arguments de transitivité

و هي قاعدة تتيح المرور من إثبات بأن العلاقة بين أ و ب من ناحية، وب و ج من ناحية أخرى هي علاقة واحدة، إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين أ و ج.

مثال: عدو عدوي صديقي.

Si A=B et B=C alors A=C

ب- إدماج الجزء في الكل:

مثال: ما أسكر كثيرة فقليله حرام، أو تبرير بعض وسائل الإعلام ضرورة إعطاء المرأة حقّ الشهادة الكاملة، بالنسبة للدول التي تسمح للمرأة بأن تكون قاضية و رئيسة دولة و تبقي على الشهادة الناقصة للمرأة باسم الإسلام، و هي في هذه الحالة لا تحترم منطق الكلّ أكبر من الجزء.

Qui peut le plus peut le moins

ج- الوصل السببي

La causalité

مثال: نجح لأنه اجتهد، يجتهد فينجح.

د- حجة الاتجاه

L'argument de direction

مثال: إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة. و هي تتمثل، في هذا المثال، في التحذير من مغبة اتّباع سياسة المراحل التنازلية.

ه- حجة العدوى:

مثال: "مهبول يهبل جماعة"

تعتمد هذه الحجج إذن أساليب شبه منطقية، و رغم ذلك فإنّ هذه الأساليب لا تضمن سلامة الحجّة مثلما هو الحال في البرهنة الصورية المنطقية، فالمتكلّم يستعمل اللغة الطبيعيّة التي تتّسم بالقدرة على تغيير المعنى بمجرّد إدخال كلمة واحدة أحيانا. و هو ما يجب الإنتباه إليه خلال التحليل. و قد رأينا ذلك خلال تفسير تأثير العوامل لحجاجيّة، فالإجتهاد لا يضمن النّجاح بصورة آليّة، كما أنّ العدوى ليست حتميّة (مفهوم الحجاج في الفصل الثالث من الجزء الثالث)

.

ثانيا) تقنيات الحجاج الاقناعي(أو اللغوي البلاغي)

و هو حجاج يعتمد تقنيات لغويّة، لذلك يسمى بالحجاج اللغوي أو البلاغي، و هدفه **التأثير**

L'influence

عن طريق مخاطبة الخيال و دغدغة العواطف مما لا يترك مجالا لإعمال العقل و لحرية الاختيار، فالإنسان في هذه الحالة يتم إقناعه عن طريق الغير و يكون في درجة عالية من الإذعان. و يستعمل الحجاج الإقناعي بكثرة في الخطاب السياسي و في الإعلانات التجاريّة، و هو من النوع القويّ لذلك فتأثيره شبه مضمون، غير أن حقيقته ليست مضمونة، كما سنرى ذلك في التفصيل الآتي لتقنياته:

أ) تقنية حجّة السّلطة

L'argument d'autorité

و هي تجسّد لغويّا تقنية الإصفاق الدّعائيّة المذكورة سلفا. و لا تعني السلطة هنا السلطة السيّاسيّة فقط ، بل كلّ أنواع السّلط، اللغويّة (لم يتمكّن العرب إلى اليوم من الخروج على سلطة سبويه في اللّغة) و العلميّة (يتطلّب تغيير المفاهيم العلميّة الأكاديميّة في كلّ الثقافات وقتا طويلا و يعتبر ذلك قطيعة أو ثورة) و الأسريّة (الأبويّة أساسا و هي الرّائجة عالميّا) و الدّينية و الفقهيّة و الماليّة.... و تتمثّل حجّة السلطة في الإستشهاد بكلام رئيس دولة لتدعيم رأي ما، و أيضا الاستشهاد بالقرآن أو بالإجماع و الرأي العام أو العلماء أو الأنبياء أو الفلاسفة و الأدباء و كبار رجال المال... و يمكن للنص أو الخطاب، أيّ كان مجاله و مصدره، أن يتحوّل إلى سلطة بإنشاء حججه و حاكميّته و مفاهيمه عبر التاريخ. لكن يجب أن تكون هذه السلطة معترف بها من طرف المتلقي و إلا بطل مفعول تأثيرها. فحجّة السلطة لا تقنع سوى المعترفين بها كسلطة و في المجال الذي ذكرت فيه، و لا يمكن مثلا، إقناع الصحفي الدنمركي صاحب الكاريكاتير الممثذل للرسول محمّد، بقداسة النّبي محمد، كما لا يمكن لمهندس إقناع النّاس باكتشاف لقاح ضدّ مرض ما.

و تعتبر هذه النّوعيّة من الحجج قويّة، لأنّ السلطة بطبعها حاكمة و قاطعة و يخضع لها الجميع، غير أنّها تعتبر ضعيفة و حتّى مضلّلة في الخطاب الإعلامي، ذلك أنّ حجّة السّلطة تقوم على

مفارقة تتمثّل في أنّ الحجاج لا يمكن أن يكون إلا في فضاء الخلاف و تنوّع الآراء أي مقارعة الرأي بالرأي، في حين أن السّلطة في أصل معناها هو إسكات كل صوت مخالف و احتكار الحقيقة، مما ينسف الحوار من أصله.
و ما زالت حجّة السلطة قويّة و قاطعة في الثقافة العربيّة و بالتالي في مختلف خطابات هذه الثقافة بما فيها الخطاب الإعلامي.
وعلى العموم يظلّ ما تخلص إليه "كريستسنا شتوك" صحيحاً، وهو أن التأثير العاطفي للبلاغة العربية يعود إلى أهميتها الثقافية على مرّ التاريخ العربي الإسلامي، الأمر الذي يبرر استعمالها من قبل السياسيين العرب بشكل يدعو إلى البحث والتأمل.

كما يتمّ تجسيد قاعدة الإصفاق باستخدام حجّة الإجماع، وهي تنتمي إلى الثقافة الإسلاميّة، إذ يعتبر إجماع الفقهاء سلطة في نظريّة وصول الفقه التي وضعها الإمام الشافعي، و بذلك يدخل الإجماع، حتّى غير الدّيني، في حجّة السلطة. .(من شذّ عن الجماعة شذّ إلى النار)

L’unanimité

و تكمن مهمة الدعاية هنا في خلق إجماع بواسطة ترويج مادّة إخبارية تعتمد على حقيقة واحدة وتعتم على الرأي المخالف، أي بإفراغ فضاءات الرأي و التعبير من التنوع و الاختلاف، فتوهم المتلّقي، بهذه الطريقة بأنّه إجماع حقيقي، و هو عكس الخطاب التعددي الذي يعتمد مبدأ الرأي و الرأي الأخر أو الخطاب الوفاقي

Le discours consensuel

الذي نجد فيه ما يمثّل كلّ طرف. و هو الخطاب المطلوب إنتاجه من طرف وسائل الإعلام، و الذي نسيميه بالخطاب المحايد أو الموضوعي، حيث لا يمكن، واقعيّا، طلب انتاج خطاب موضوعي بالمعنى الأكاديمي و العلمي للكلمة.

و يتم تقوية الإجماع بواسطة العدوى من خلال دفع الجمهور إلى الاعتقاد بأن المفاهيم المروّجة هي مفاهيم مكونة للرأي العام. و تتمثل وظيفة هذا الخطاب في جعل الإنسان حريصا على التناغم مع بيئته و لا يجازف إلا نادرا بمخالفته حتى لا ينبذ اجتماعيا. و تلعب هذه القاعدة الدعائية، خاصة في أوقات الأزمات، دورا مهما في الدفع إلى التجمع العشائري

ب) تقنية الإستدلال بواسطة التمثيل أو الاستعارة

L’analogie

"مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت" و العلاقة هنا ليست علاقة تشابه بين المشركين و العنكبوت، بل تشابه علاقة، أي تشابه علاقة المشركين بأوليائهم، كتشابه علاقة العنكبوت ببيتها. و الملاحظ أن بيت العنكبوت أصبحت سلبية بهذا التمثيل و هي ليست كذلك في المطلق، و هو ما يضعف الحجّة.
و تمثل الاستعارة قوة لغوية و حجاجية. و أهمّ مميّزاتها أنّها:
- وسيلة لغوية،

ـ أكثر تداولا،
ـ ترتبط بمقاصد المتكلمين،
ـ نجدها في اللغة اليومية،
ـ نجدها في الكتابات الرسمية، والأدبية، والصحافية...

ج) تقنية الصور البلاغية

Les figures

وهي صيغة لغوية ذات مدى حجاجي مثل المجاز: "نمر من ورق" او "نؤوم الضّحى" أي الفتاة المترفة التي لا تخدم نفسها بنفسها و ليست مجبرة على النهوض باكرا، أو "كثير الرّماد" و تقال للمضياف. و هي صيغة تقنع بوصف ما، اكثر من الوصف ذاته لأنّ وقعها اللغوي الغريب يعجب، ثم فيها صغة مبالغة.
مثال، نعت اليابان "بالعملاق الذي يقف على رجلين من طين"

Un géant aux pieds d'argil

للتدليل على هشاشة قوّته الإقتصاديّة القائمة على الاحتيال (تحطيم الأسعار)

Dumping

د) تقنية التكرار أو التواتر

La récurrence

و يعتبر التكرار أو التّواتر من طرق عرض الخطاب عرضا حجاجيا يساعد في إبراز الفكرة و زرعها في الأذهان، و نجده بكثرة في الخطاب البيداغوجي التعليمي، و الخطاب الإديولوجي.

ه) تقنية السؤال الموجّه

La question orientée

ذلك أن السؤال الموّجه لا يعتبر سؤالا محايدا، فهو يوحي بحصول إجماع و يهدف إلى حمل من وجّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته. و يدخل ضمن السؤال الموجّه الإستجواب التشهيري (أنظر القواعد الدعائيّة في الجزء الثالث)

De l'interrogation à l'interpellation dénonciatrice

كما يسمح السؤال الموجّه بالحصول عادة على موقف محدّد سلفا من قبل الصحفي. و هو ما يسمى بالسؤال البلاغي.

Une question rhétorique

و مثال ذلك السؤال الموجّه الذي يلقى عادة على الجمهو، و الذي يقدّم كشاهد إدانة على أفعال شخص ثالث. و هنا يتحول السؤال إلى تهمة مجمع حولها. (مثل: أين الوالدين ؟ ماذا تفعل القوى الدولية ؟ الجواب الضمني: لا يقومون بواجبهم، لا يفعلون شيئا، أو أ لا ترون أن إلقاء القبض على صدّام بهذه الطريقة هو إهانة للعرب و المسلمين ؟) و هكذا يتمكن المتكلم من دسّ رأيه في ثنايا سؤال يبدو بريئا و محايدا.

و يكون المتلّقي بذلك قد أقام الحجّة على نفسه بقبول القول.

و يلجأ الخطاب السياسي في وسائل الإعلام بكثرة إلى هذه الصيغة التشهيرية "للمتهم"، فيتحوّل بذلك الصحفي إلى قاض، و هو ما يتعارض مع العقد الإعلامي المبرم بين الصحافة و الجمهور.

6) لإستراتيجيات الحجاجية

يعتمد المتكلم لتدعيم خطابه إستراتيجية ملائمة لهدفه.

Pour appuyer son processus d'argumentation, le locuteur se base sur une stratégie qui lui permet de réaliser son objectif.

أ) إستراتيجية التعاون

و تعتمد على حجج وفاقية

Une stratégie de coopération : une argumentation consensuelle

و هي قاعدة ديمقراطيّة منشؤها ميدأ أساسي في الفلسفة الديمقراطية و هو احترام حقّ الاقليّة. أما في الدّول غير الديمقراطيّة فيلجأ إلى الوفاق لتفادي الانتفاضات و تستعمل عند توازن القوى بين السلطة و المعارضة.

ب) إستراتيجية الصراع و النقض

و تعتمد عادة على الحجج الدّاحضة لأطروحة الخصم في الدعاية المضادة.

Une stratégie conflictuelle et de réfutation : une argumentation contradictoire (la contre propagande)

ج) إستراتيجية المساندة و التبرير

و تتمثّل في اعتماد حجج مدعمة للنصير و/أو مكمّلة لأطروحته

Une stratégie d'appui et de justification : une argumentation qui consolide les positions de l'allié et complète sa thèse.

د) إستراتيجية الدفاع

و تتضمّن حججا تدافع عن أطروحات المتكلم

Une stratégie de défense : une argumentation défensive

ه) إستراتيجية الإغراء

و تعتمد على الحجج البلاغية

Une stratégie de séduction : une argumentation rhétorique.

من الممكن استخدام أكثر من إستراتيجية، إما بتوازن أو بطغيان إحدى الاستراتيجيات على الأخرى.

و باستثناء إستراتيجية الإغراء، يمكن للصحافي استعمال هذه الإستراتيجيات الخطابيّة في مقالات الرأي، على شرط عدم اللجوؤ إلى الأساليب التضليليّة و الحجج القيميّة

خاتمة عامّة

يتضّح لنا، ممّا سبق، امكانيّة تلاعب وسائل الإعلام بالخبر، و وسائل هذا التلاعب، و أهمّها وضع الخبر في إطار غير ملائم لحقيقة الحدث و المحاججة على صلاحيّته بطرق تضليليّة، فيتمّ بذلك صياغة العالم أو الواقع و إخراجه من خلال ترويج تصورات تخدم مصالح الأقوياء سياسيا و اقتصاديا بهدف التأثير في المتلقي و تغيير سلوكه.

La mise en scène du monde

و تخلق وسائل الإعلام بذلك عالما وهميّا يشبه عالم "أمثولة الكهف" لأفلاطون حيث لم يكن باستطاعة الأفراد المقيّدين بالسّلاس و المديرين ظهورهم إلى باب الكهف، رؤية العالم كما هو، بل فقط من خلال الظلال المتراقصة على الحائط الماثل أمام أعينهم، تماما مثل شاشة التلفزيون في عالمنا المعاصر.

و قد أنجز مكتب دراسات في تونس سنة 2004 استطلاعا للرأي لعينة ممثلة للشباب التونسي في الوسط المديني. و من بين الأسئلة المطروحة طلب ذكر ثلاثة أشخاص يعتبرونهم نموذجا. و جاء أسامة بن لادن في المرتبة الأولى و تلته مغنية الكليبات الإغرائية "نانسي عجرم"

إن هذا الربط الذهني بين زعيم حركة إرهابية و نجمة إغراء لبنانية هو نتيجة " للواقع" الذي كرسته و خلقته وسائل الإعلام العربية، و تحديدا الفضائيات الخاصة، التي تنقسم بين دعاة الجهاد و تواتر صورة بن لادن و خطابه من جهة، و دعاة التّسلية و الحلم الذين يركزون على صور "نجمات" أنتجتها وسائل الإعلام عن طريق القولبة، حتى إن المتابع الأجنبي لهذه القنوات يمكن له الخروج بصورة عن الإنسان العربي تتمثل في إنسان رأسه معمّما و بطنه عار.

فالخطاب كما رأينا، هو أسلوب صياغة الأفكار و عرضها ضمن الأفق الفكري الذي يتعامل معه المرسل و المتلقي.

و لذلك يعرّف السيميائي، رولان بارت، الخطاب في "نظرية النص" كالأتي :

"الخطاب لا يعكس الواقع و إنما يعكس تأويل ناطقه للواقع"

« Le texte n’est pas le reflet du réel mais une interprétation de la réalité par son auteur »

و كما يقول الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو في "الكلمات و الأشياء" فإن "ما يحدد حقيقة الأشياء هو العقل البشري"

أي أنه لا توجد حقيقة في المطلق، بل توجد حقائق.

و تأويل الواقع هو الذي يخلق التصورات. و تروّج التصورات أساسا عبر الاتصال سواء كان ذلك داخل العائلة أو المدرسة أو عن طريق وسائل الإعلام و الاتصال.

و تعتبر أبحاث "ب. فتزلافيك » مرجعا هاما لمسألة تكوين تصورات عن طريق الاتصال. (انظر "حقيقة الحقيقة، الغموض و التضليل و الاتصال" الصادر سنة 1978) (6)

فالخطاب يمكن أن يخلق في النهاية واقعا بمجرد إعادة التأطير التي تحدث تصورا جديدا. و يخضع المتكلم عادة خطابه إلى عملية إعادة تأطير أو قولبة ليتلاءم مع المقام و ينتج عن ذلك خلق حقيقة جديدة، و هو ما يسميه "قوفمان" بالقولبة.(7)

Le cadrage

و يفسّر "فتزلافيك" قدرة الاتصال بصفة عامة على تغيير الإطار و بالتالي تغيير المعنى، بتقديم مثال بسيط. "يشتكي مريض إلى طبيب نفساني من كأسه النصف فارغة، و في هذه الحالة، إما أن يقبل الطبيب الإطار المرجعي للمريض و يملأ بقية الكأس، أو يغير الإطار تماما و يقول للمريض أن كأسه ليست نصف فارغة بل نصف ملآنة"(8)

بحيث إن نفس الحدث يمكن أن يكون له معنى مختلفا لو نزلّناه في إطار مختلف، و هو ما يسمى بعملية إعادة التأطير. و تقوم عادة وسائل الإعلام بمهمة إعادة تأطير الأحداث عن دراية و تحت الطلب أو عن غير دراية بسبب "تشويش" غير متعمّد تفرضه لغتها الخاصة (صور و صوت و ألوان و طريقة التقديم...) و الواقع انه ليس من السهل إيجاد الإطار الملائم للحدث إعلاميّا، لذلك يحدث أن يتغير المعنى تماما (ما يسمى بسوء فهم) لمجرد حصول خطأ في التأطير.

تعتبر إذن هذه الأساليب الخطابية التضليليّة في النهاية، أخطر من الأساليب الواضحة، التي تعطي للمتلقي إمكانية التفكير و النقد قبل الإستجابة أو الرفض. إذ يختفي الصحفي وراء هذه الاسليب، و لا يحتاج إلى الإفصاح عن رأيه باستعمال ضمير المتكلم أو الطّلب الصريح من المتلقي بالقيام بفعل ما، فيبدو خطابه محايدا إعلاميّا. لذلك تسمح هذه الأساليب للصحفي بالتأثير في المتلقي و توجيه تفكيره و بالتالي سلوكه، تماما مثل ما يحدث مع المتكلم السياسي.

مراجع الجزء الخامس و الخاتمة العامة

1)) انظر كمثال تطبيقي:

Saloua Ben Youssef Charfi. Les *droits de l'homme dans la presse tunisienne : 1988-1991,* Analyse des discours relatifs aux droits de l'homme au Maghreb : 1988-1991, vol.1 : Tunisie : recherche-action / dirigée par l'Institut arabe des droits de l'homme et l'Université Laval. Tunis : IADH, 1999. - 393 p. ; 24 cm.- ISBN 9973-771-12-

2) قام مخبر سان كلو لعلم المفردات بباريس بتطوير منهج تحليل حقول الدلالة بغرض تطبيقه في البحوث المتعلّقة بالخطاب السياسي. انظر بخصوص هذه المحاولات:

Régine Robin, Histoire et linguistique. Ed Armand Colin. Paris 1973

(3) التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، 1952-1970 ، دراسة في علم المفردات و الدلالة، مركز دراسات الوحدة العربيّة.بيروت 1981

أمّا البحث الأصلي فهو باللغة الفرنسيّة:

Marlène Abou Chdid Nasr, L'idéologie nationale arabe dans le discours de jamel Abdel Nasser :1952/1970, thèse pour le doctorat de 3ème cycle, université de Paris-sorbonne IV, 1979.

4) انظر كمثال تطبيقي:
Saloua Ben Youssef Charfi. Les droits de l'homme dans la presse tunisienne. Op. Cité

5) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. مرجع سابق.

6) WATZLAWICK P. La Réalité de la Réalité; Confusion, Désinformation, Communication . (Traduit par Roskis E.).Seuil, 1978.

7) GOFFMAN E. -(1974)- les Cadres de l'Expérience . (traduit par I. Joseph, M. Dartevelle et P. Joseph) Ed minuit, 1991 .

8) WATZLAWICK P., WEAKLAND J., FISCH R**.** -(1974)- Changements; Paradoxes et Psychothérapie. (traduit par Furlan P.). Seuil, 1975.

Voir aussi

WATZLAWICK P -(1988)- Les Cheveux du Baron de Munchausen. Psychothérapie et "Réalité». (Traduit par Hacker A.L. et Baltzer M.). Seuil, 1991

الملاحق

فهرس الملاحق

وثائق و عروض و إصلاح تمارين

الوثائق

الوثيقة رقم 1

نصّ للنقاش: من يصنع المعنى ؟ نصّ ل"روبرت كروسمان" (بتصرّف)

الوثيقة رقم 2

خصوصيّات الخطاب السياسي

مقارنة لغويّة توضّح التّشابه بين خطاب جورج بوش وخطاب أسامة بن لادن

العروض و الإصلاح

عرض رقم 1
الموضوع: تأطير الأحداث إيديولوجيا
عرض رقم 2
الموضوع: تحليل التّصورات و مسار البرهنة في وسائل الإعلام

التمارين و الإصلاح
تمرين رقم1
الموضوع: المقاربة التداوليّة
تمرين رقم2
الموضوع: تحليل الأنماط اللغوية
تمرين رقم3

الموضوع: تحليل التمثلات و مسار البرهنة

وثيقة رقم 1

نصّ للنقاش

من يصنع المعنى؟

نصّ لروبرت كروسمان بتصرّف

عمل روبرت كروسمان محاضراً في "وليامز كوليج" و"ترينيتي كوليج" و"جامعة تفتس" الأمريكية، و هو مؤلف كتاب "قراءة الفردوس المفقود" وصاحب العديد من المقالات عن "ميلتون وجويس" و "نورمان ميلر"، و "في النظرية الأدبية"

ورد النصّ في "ت.مالك سليمان" مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 304 آب1996 .

الموضوع: قدّم الأفكار الأساسيّة الواردة في النّص و اشرحها و حلّلها في ضوء نظريّة الخطاب و العناصر المتنجة للمعنى، و ناقشها.

هل يصنع القراء المعنى؟

عندما يتحدث "ستانلي فيش" عن "مجتمعات القراءة" و "استراتيجيات القراءة"، وعندما يعلن "دريدا" أن القارئ يكتب النص، فإنهم جميعاً يجيبون عن هذا السؤال بالإيجاب، بدرجات مختلفة. وعندما يرى بعض المنظرين الآخرين، من أمثال "ويان بوث" و "إ.د.هيرش"، وكثيرون غيرهم، الاهتمام بالأنا والفوضى الأخلاقية في هكذا جواب، فإنهم يعترفون أيضاً بأهمية المسألة بالنسبة للمنظّرين النّقديين المعاصرين.

المشكلة تكمن بشكل أساسي في كلمة المعنى، التي تحمل معانٍ عديدة متناقضة، فغالباً ما نستخدم هذه الكلمة كمرادف لكلمة القصد: "إذا كنت تفهم ما أعنيه" ما عنيته هو...."

و من الواضح أن قائل الكلمات أو كاتبها هو صانعها، ومن هنا جاء مصدر القصد الذي سبق صناعتها أو رافقتها، و لكن ثانياً، غالباً ما نعزى "المعنى" للكلمات نفسها، فنقول إن كلمة "مطنب" تعني "كثير الكلام" أو إن كلمة "جليد" تعني "الماء المتجمّد"، وهنا، لا يبدو معنى كلمة "معنى" ما يقصده متحدث معيّن، بل ما يفهمه الناس من هذه الكلمة. و أخيراً يمكن أن تعني كلمة "معنى" القيمة التي نعزوها إلى شيء ما "هذا يعني لي الكثير" باختصار، يمكن أن تعبّر الكلمة عن قصد المتحدث، أو عن الفهم العام لها، أو عن تقييم الفرد الذاتي لشيء ما. واعتماداً على كيفية استخدامنا للكلمة أو فهمنا لها، ستتكون لدينا أجوبة مختلفة عن السؤال: هل يصنع القراء المعنى؟

المعنى اللفظي هو أي شيء يرغب المرء في التعبير عنه بواسطة تتابع معين للعلامات اللّسانيّة، فإذا اتّفقنا أن كلمة "المعنى" تعني لنا "قصد المؤلف" ستكون النتيجة المنطقية لذلك إن القرّاء لا يصنعون المعنى. إن لأي كلمة أو نص "معنى"، فقط عندما توضع هذه الكلمة أو عندما يوضع هذا النص في سياق أكبر. و هكذا تكون عملية فهم كلمات الشاعر بوضعها في سياق مقاصده، واحدة من بين عدة طرق ممكنة. وهذه طريقة في التّوصل إلى "معنى" هذه الكلمات، ولكنها لا تخلف ولا تسبق طرائق التأويل الأخرى التي هي، بالقدر ذاته، إجراءات سياقيّة.

ولكن دعونا نبتدئ أولاً بهذا المثال. كتب "إيزرا باوند"، في سنة 1914، ما أصبح لاحقاً أشهر قصيدة من سطرين في اللغة الإنكليزية.

"في محطة المترو أشباح هذه الوجوه الحاشدة

تويجات على غصن أسود مبتلّ"

كيف نحدد معنى هذه القصيدة ؟ لا أظنّ أنّ القرّاء، خارج قاعات المحاضرات الأدبية في الجامعات، سيبحثون عن المعنى الكامن في هذه القصيدة، أو على الأقل لن يبحثوا عن معنى يمكن التعبير عنه بالكلمات. سوف يتخيّلون تويجات على غصن أسود مبتلّ، وعن وجوه في محطة مترو مزدحمة، كما ستولد فيهم هذه المقاربة المدهشة شعوراً ما. ولكن الاستجابات الأدبية الفعّالة تتمتّع عادة بالحرية والذّاتية. و إذاً دعونا نبحث عن الأثر الافتراضي للقصيدة، في حال وجود هكذا أثر فيها.

<u>نبدأ بشرح القصيدة:</u>

نزل الشاعر إلى إحدى محطات المترو في باريس، ورأى بعض الوجوه الحاشدة التي ذكّرته بغصن شجرة بلّله المطر وغطّته التّويجات، أو جعلته يراه، أو أذهلته بالطريقة التي يذهله فيها هكذا غصن. والآن، على الرغم من أن هذا الحدث قريب مما تقوله القصيدة لدرجة أنه يصلح لأن يكون معناها، إلا أننا نقوم بالتأويل هنا، إذ إننا نقدم السّياقات و نملأ الفجوات و نترجم "بغصن شجرة بلّله المطر وغطّته التّويجات" في الواقع.

الكلمة المناسبة لهذه العملية كلّها هي الترجمة: فمن خلال إضافتي على نص "باوند"، وحذفي منه، وإعادة ترتيبه، وتغييره من شعر إلى نثر، الخ، أجعله نصّي أنا. وحتى لو لم أترجمه إلى كلمات على الإطلاق، أجعله نصّي أنا، من خلال الصّور التي يجلبها إلى ذهني، أو من خلال ذوبان هذه الصّور مع بعضها البعض أو حلول بعضها محلّ البعض الآخر، أو وقوفها جنباً إلى جنب في مخيلتي، وأيضاً من خلال ما أفهمه من كلمات مجردة مثل "أشباح" (أهو حدث طيفي أم رؤية أفلاطونية، أم مجرد ظهور مفاجئ ؟) و بكلمات أخرى، يزوّدني النّص بكلمات وأفكار وصور وأصوات و إيقاعات، ولكنّني أصنع معنى القصيدة من خلال عمليّة التّرجمة، و القراءة، في الحقيقة، هي ترجمة.

و يقول "باوند" إنّ: "الغرض من القصيدة هو إعادة إنتاج إحساس ما. ولا معنى لها إلا إذا غرق القارئ في نوع معين من التفكير" و قد وجد "باوند" نفسه ثلاثة أو أربعة "معان" للقصيدة وحتى أنه تخيّلها "خالية من المعنى" أساساً، وهذا برأيي، معنىً خامساً. وإضافة إلى المعاني التي وجدها "باوند"، كان بمقدوره اكتشاف معان أخرى لو أنه أعمل ذهنه بشكل أكبر. وقد قام قرّاء آخرون بطرح معانٍ لا نهائية.

لنفترض معنىً اعتباطياً "غريباً"، ونرى بعد ذلك إمكانيّة استخراجه من نص باوند.

أفتِرضْ أن أحد مربيّ الأبقار قد قرأ قصيدة باوند كتصريح يقول إن علينا أن نشرب الحليب بانتظام. هل هناك شيء في قصيدة باوند يدحض هذا التأويل ؟

كل ما نستطيع فعله هو أن نسأل مربّي الأبقار المفترض عن السياقات التي قادت إلى تأويله هذا، والتي يقدّمها بسرور: لقد فهم، كما فهمنا نحن، أن الشاعر رأى وجوهاً جميلةً في النّفق، ولكن صورة التّويجات على الغصن ذكّرته بحقل التفاح الذي تحبّ أبقاره أن ترعى فيه. و بما أنه استحضر صورة الأبقار الحلوبة، فإن فكرة حاجة الوجوه الجميلة إلى غذاء صحّي يشكّل الحليب جزءاً أساسياً منه، لا تتعدّى كونها قفزةً صغيرةً ومنطقية.

(و نضيف من عندنا بأنّ بعض الإعلانات التّجاريّة تستخدم تقنيات دعائيّة من هذا النّوع، أي أنّها تربط ماركة من الحليب بأغنية أو قصيدة، لم نكن نتصوّر أنّها ملائمة للحليب قبل القيام بربطها بطريقة فنّية)

و بما أن "المعنى" هو ترجمة كلمات القصيدة إلى كلماتنا نحن، ليست هناك طريقة لاستبعاد بعض التّرجمات على أساس عدم صلاحيّتها، طالما يمكن اكتشاف سياق تكون فيه مناسبةً تبعاً لقواعد المنطق العادية، وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة فهذا يعني أن العقيدة، في الحقيقة، تعني أي شيء يظنّه أي قارئ جدّي. وكما أن عدد السياقات الذهنية التي يمكن من خلالها ترجمة قصيدة باوند، هو لا متناه، فإن عدد المعاني الممكنة للقصيدة نفسها هو لا متناه أيضاً. و الذي يصنع هذه المعاني معروف وواضح، إنه القارئ، سواء كان الكاتب نفسه، أو أي شخص آخر.

إن وصف المؤلف، عند هذه النقطة، بأنه قارئ آخر، سوف يبدو اعتباطياً، فالشاعر، حتى إذا نظرنا إليه على أنّه قارئ لعمله المنجز، يمتلك ما لا يمتلكه أي قارئ آخر: المعرفة المباشرة بمقاصده في الوقت الذي كتب فيه القصيدة.

وفي كل الأحوال، فإن تقديم باوند لخمسة أو ستّة معانٍ لقصيدته أمرٌ يبعث على الغرابة. فهذا لا يُملي على القارئ اختيار المعنى الصحيح وحسب، ولكنه ينطوي على أنه، بالنسبة للمؤلف، يكون عدد المقاصد المتضمنّة في قصيدته غير محدّد، فهي تعني أشياء مختلفة بالنسبة لباوند حين يقوم بنقلها من سياقٍ ذهنيّ إلى سياقٍ ذهني آخر.

إن القارئ ضروري لإنتاج المعنى (من وجهة النّظر هذه) ولكنّه مقيّد بالنصّ، كما أن الماء السّاخن ضروري لطبخ الشّاي، ولكنّ مزيجاً من أوراق الشّاي والماء ينتج الشاي فقط، ولا ينتج القهوة أو الكاكاو.

ويشير "هيرش" إلى أن الكلمات تتميز بالغموض بشكل عام. وبما أنه لا توجد كلمة تعني شيئاً محدداً. فإن فهم معنى المتكلم يتطلب تخميناً لقصده فكلمة "عين" مثلاً، يمكن أن تعني، من بين أشياء أخرى: نبع ماء أو عين شخص.

و يقول "هيرش" إن عمليّات الفهم كلها هي مسألة احتمالات، وليست مسألة يقين. فكلمة "عين" لا تعني شيئاً محدداً بذاته، حتى من خلال السياق، قبل أن يقوم الذهن بتأويلها.

وبما أنه من المتعذر إزالة الغموض عن الكلمات أو الألفاظ التي تبنى منها، إلا من خلال فعل القراءة، فإن "المعنى" ليس متأصلاً في الكلمات والألفاظ ولكنه استنتاج مبني على الاحتمالات ، هذه هي فكرة هيرش. وعندما نصل إلى ألفاظ طويلةٍ ومعقدة أو (في حالة بيتي الشعر في قصيدة باوند السابقة) موجزة كالنصوص الأدبية، لن يتفق قارئان على معنى واحد بشكل كامل. وإذا أردنا أن نفكر بعمل أدبي يحمل معنىً محدداً ومفهوماً، كما يقول هيرش، يجب أن نتفق على أن هذا هو المعنى الذي قصده المؤلف.

من يمتلك حقاً أكبر من حق المؤلف نفسه في قول ما يعنيه نصه ؟ و في حال لم يقل الكاتب ما يعنيه نصه (كما هي الحالة عادةً و في النصوص المقدّسة عموما)، أو إذا قال أشياء مختلفة في أوقات مختلفة، يبقى الأمر عندها راجعاً للمؤرخ الأدبي، أو كاتب السيرة... إلخ، في أن يقدم تخمينات تستند إلى مخزون معرفي حول ما كان يعنيه أثناء لحظة الكتابة.

لماذا يجب أن يكون للنص معنى واحد ؟ والجواب الوحيد الذي يقدّمه هيرش هو رؤية للفوضويّة السياسية في مهنة الدراسات الأدبية: عندما تعمّد النقاد إبعاد المؤلف الأصلي، قاموا هم أنفسهم باغتصاب مكانه، وقاد ذلك دون شك إلى بعض التشويشات النظرية السائدة في أيامنا هذه. و بينما لم يكن هناك سوى مؤلف واحد سابقاً، ظهر الآن عدة مؤلفين، يتمتع كل منهم بسلطةٍ تفوق سلطة النص.

"كل تأويل هو صحيح و شرعي بمقدار صحة و شرعية التأويلات الأخرى طالما أنه معقول".

إن دفاع هيرش عن قصد المؤلف ينطلق من موقف سياسي، وهذه حقيقة في غاية الأهمية.

هيرش هنا هو بين رؤيتين للمجتمع، في إحداهما، الجيل الشاب ضد الجيل القديم، حيث تلغى الدرجات، وينتج عن ذلك خلاف كبير. أما في الأخرى، فتتم المحافظة على احترام كبير للتراتبية والنظام اللذين يولدان السلام والاستقرار.

لماذا يجب أن يكون هناك معنى صحيح ؟ لأن البديل هو الذاتية والنسبية اللتين يساويهما هيرش بالفوضوية السياسية. ومن المدهش حقاً هو أن كلّ ما علينا فعله لدحض رأي هيرش هو أن نبيّن أن الفوضوية لا تنتج بالضرورة عن الذاتية والنسبية. فهل نتيجة هذا الفشل هي الاتفاق حول هذه المناقشة الحامية، أي حرب الجميع ضدّ الجميع، وإذا افترقوا والامتعاض يملأ نفوسهم، فمن المحتمل أن ذلك يرجع إلى أن أحدهم، أو بعضهم، يرفض الاعتراف باختلاف الآراء والقبول به، و هو مصمّم على إجبار الآخرين على قبول معناه هو، على أنه المعنى الوحيد للقصيدة. و بكلمات أخرى، لا يُفضي مبدأ هيرش إلى الانسجام الاجتماعي، وإنما يؤدّي إلى النّزاع والتّعارض. فكلما ازداد إيمان هؤلاء الأشخاص بـ"القراءة الوحيدة الصحيحة"، قلَّ احترامهم لبعضهم البعض .و بما أن القرّاء يختلفون بشكل عفوي في تأويلاتهم للنصوص، ستتوفّر مناسبات عديدة يكون فيها القَسْر هو الوسيلة الوحيدة للاتفاق.

إن النموذج الذي يرسمه هيرش للمجتمع الأدبي ليس المساواة السهلة بين الأصدقاء، وإنما البنية الهرميّة المؤلفة من الطلبة، والمدّرسين، وأقسام الدراسات الأدبية التابعة لجامعات ذات سمعة طيبة أو لجامعات أقلّ شهرةً، والمجلات الأدبية، والسّمعة النقدية .إن فكرته حول تحديد صحّة المعنى وشرعيّته مبنيّةٌ على مقارنتها بقضية تبحثها المحاكم القانونية، حيث تنتقل إلى مستويات أعلى من التشريع القضائي إلى أن يتم إصدار حكم قضائي من قبل ما هو مكافئ للمحكمة العليا. ولكن حتى لو وُجِد نظام كهذا، فإنه لن يؤدي إلى تتويج المؤلفين وإنما سيتوّج طبقةً كهنوتيةً من النقاد. غير إن أيّ توجيهٍ "خبيرٍ" يزوّدنا به النقاد، يجب أن يُقبَل بناءً على فائدته، وليس على سلطته القطعيّة.

والردّ الأخير على زعم هيرش بأن القبول بتعدّدية المعاني يؤدي إلى الفوضوية، هو أننا نقبل تعدّديةً كهذه في الوقت الحاضر دون أن يقود ذلك إلى الفوضوية، فالذاتية والنسبية لا تميلان إلى إنتاج الفوضوية، و كما رأينا سابقاً، إن الذي يقود إلى "حرب الجميع ضدّ الجميع" جسدياً وثقافياً هو الاعتقاد العدواني بوجود الصحّة الصّارمة والمطلقة لرأيٍ من الآراء، وليس القبول المشترك واحترام الاختلاف في الآراء. وفكرة أن "الحقيقة واحدة"، أي خالية من الغموض ومتناغمة ذاتياً و قابلة للإدراك، لها تاريخ طويل ومهيب في الغرب. و بما أنها المكافئ الثقافي للعدوانية والرغبة في السيطرة والهيمنة، فقد شكّلت جزءاً هاماً من أيديولوجيا الإمبرياليّات العبريّة والأثينيّة والمسيحية والأوربية، وأخيراً الإمبرياليتين الأمريكية والروسية.

وفي كافة مجالات النشاط الإنساني اليوم، تبدو القدرة على رؤية وجهات النظر المتعددة شيئاً رائجاً ومرغوباً، كما أن كل فرعٍ معرفيّ ثقافي يُظهر من التناقض والاختلاف أكثر مما يبيّن من التناغم والانسجام الذاتيّين. و في هذا السياق، لا يبدو الأمل بوجود أحاديّة المعنى في النصوص الأدبية ساذجاً فقط وإنما مضلّلاً أيضاً. و خدمةً لحاجات القراءة ورغباتها الجديّة، يجب أن يكون للنصوص معانٍ متعدّدة.

هل يصنع المؤلفون المعنى؟ نعم، بالطبع، يصنعون المعنى، ولكن بالطريقة التي نصنع فيها المعنى كلّنا: أي كمؤوّلين وكقرّاء .ولأننا تعلّمنا جميعاً أن نؤمن بـ "الحقيقة الإمبريالية"، فقد تخيّلنا عملية الكتابة على أنها مناقضةٌ تماماً لعملية القراءة، وأظن أن هذا لا ينسجم أبداً مع تجربتنا ككتّاب. فأنا، ككاتب أبتدئ بمزيجٍ عشوائي من الأغراض والأفكار والكلمات التي يصعب اختبارها وتحليلها إلاّ من خلال وضعها على الصفحة وقراءتها. فالأفعال الماديّة لدفع قلمي على

الورقة، مع التركيز النظري على العلامات التي أقوم بإنتاجها، يمكن تسميتها بأسماء مختلفة، ولكن لا يمكن فصلها عن بعضها البعض من الناحية العملية، إذ أن فعل الكتابة بحدّ ذاته يتضمّن القراءة.

إن عبارة الكاهن ثواكم: "عندما أقول، الدّين، فإنني أعني كنيسة إنكلترا"، لا تترك لنا مجالاً لإساءة فهمه أو الاتفاق معه.

يقول" وايتهد": "الطبيعة قابلة للتأويل من خلال قوانين تحوز على اهتمامنا". فنحن لا نشكّل قوانيناً من الحقائق الحيادية البريئة؛ بل نشكّل "الحقائق" عندما ندرس الطبيعة من خلال شبكةٍ افتراضية تناسب أغراضنا، وهي، بالطبع، ليست أغراضاً اعتباطية أو تصادفيّة، ولكنها منسجمة مع حاجاتنا و رغباتنا الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية . فالعرف القائل إن المؤلفين يصنعون المعنى ينبثق عن الرغبة في التفكير بالحقيقة كشيء مفردٍ ومطلق، وكجزءٍ من أيديولوجيا مجتمعٍ سلطويّ وهَرَميّ. و هذا صحيح مثل كافة الأعراف، أي من خلال موافقة كافة أفراد ذلك المجتمع.

و انطباعي هو أن هذه الموافقة تنحسر اليوم بشكل متسارع، حيث بدأ الناس يدركون أن الحرية لا تتناقض مع النظام، وأن النظام ليس هرمياً بالضرورة. فالإجماع غير ممكنٍ وغير مرغوب، والواقع ليس مطلقاً وليس جليّاً على الإطلاق.

أجل، المؤلفون يصنعون المعنى، والقرّاء يصنعون المعنى أيضاً.

الوثيقة رقم 2

خصوصيّات الخطاب السياسي

الموضوع: حلّل النّص في ضوء خصوصيّات الخطاب السياسي.

مقارنة لغوية توضّح التشابه بين خطاب جورج بوش

وخطاب أسامة بن لادن

الخميس 5 فبراير 2004 09:59

المصدر:

alwatan

http://www.alsaha.com/users/185494511/entries/113327

خطاب الرئيس بوش بمناسبة حالة الاتحاد الذي ألقاه في 20 يناير 2004
خطاب أسامة بن لادن الذي بثته قناة الجزيرة قبل ذلك بـ16 يوما
هذان خطابان لزعيمين في حالة حرب، كل منهما يشحن أتباعه للقتال من أجل تحقيق العدالة من منظوره الخاص ومن أجل صد الأعداء الأشرار.

نشرت صحيفة **لوس أنجلوس تايمز** أخيرا تحليلا لغويا مقارنا بين خطابين أحدهما للرئيس بوش والآخر لأسامة بن لادن, تبين من خلاله التقارب الكبير بين لغة الاثنين, مما يعكس توجهات شخصية مشتركة.
وإذا كان أسامة بن لادن مصنّفا مع الإرهابيين فإن نتائج المقارنة اللغوية بين الخطابين تعكس توجهات مشابهة عند الرئيس بوش.
و أوّل ما يمكن ملاحظته أن الخطابين قيد الدّراسة استغرقا نفس الفترة الزمنية تقريبا, وأفكارهما متماثلة إلى حد بعيد. فقد دعا بوش في خطابه إلى الاستمرار في الحرب على الإرهاب، فيما دعا بن لادن إلى الاستمرار في الحرب ضد أمريكيا.
وافتتح بوش خطابه بوصفه أمريكا بأنها: "أمة دعيت إلى مسؤوليات جسام(...) في حرب على الإرهابيين الذين بدأوا هذه الحرب"
أما "بن لادن" فقال أيضا إن الحرب مستمرة و إن: "رسالتي لكم تتعلق بالحثّ على الجهاد(...) لذلك اعطوني آذانكم وافتحوا قلوبكم لي(...) فلا يمكن أن يكون هناك حوار مع المحتلين إلا من خلال السلاح"
وقال الرجلان في خطابيهما إنهما يعدَّان متابعة ومواصلة الحرب.
فأهم ما يميز رسالتهما يتلخّص في "الدفاع عن الشعب الأمريكي" حسب قول بوش, و"حماية دينكم ودنياكم", حسب بن لادن.
ويؤكّد بوش أن "الإرهابيين و مؤيّديهم أعلنوا الحرب على الولايات المتحدة"
أما بن لادن فيقول إن العالم الإسلامي محاط بالأعداء ومقدساته محتلة ووجوده في خطر, ولذلك فإن الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا وصنيعتها إسرائيل هي التي بدأت الحرب على الإسلام, ولذلك على المسلمين التحرك للدفاع عن أراضيهم و: " إحباط المؤامرات الكبيرة التي تحيكها الدول الاستعمارية الكبرى ضد المسلمين".
وفيما يقول بوش إن أمريكا:" لا رغبة لديها في السيطرة و ليس عندها طموحات لبناء إمبراطورية" يقول بن لادن إن "الأمريكيين مثل الرّومان، يحاولون دائماً التّوسع ومدّ رقعة نفوذهم في العالم"
كما تميّز الخطابان بالطابع الديني وكأنهما من كتاب للخطب والمواعظ الدينية. فكلاهما أعلن اتكاله على الله، وقال إن الله يقف إلى جانبه، فقال بوش مثلاً:" زرع الله في كل قلب بشري الرغبة في الحرية(...) فكلّ شخص له كرامة وقيمة في عين الله(...) بارك الله في أمريكا". أما بن لادن، فقد ذكر اسم الله 17 مرة على الأقل في الجزء الذي بثته الجزيرة في خطابه الذي لا يزيد على ثلث الخطاب الأصلي، فذكّر بأهميّة "الجهاد في سبيل الله" و "مخافة الله" و "حسبنا الله ونعم الوكيل" و غير ذلك من المصطلحات والعبارات الدينية.

و فيما ادّعى بوش في خطابه، الذي أتى في بداية سنة انتخابية يقاتل فيها من أجل إعادة انتخابه، أن أمريكا تحارب من أجل الديمقراطية في الداخل والخارج، وأنه يفكر في كيفية توسيع الإصلاح السياسي ليشمل منطقة الشرق الأوسط كلها، قال بن لادن إن الديمقراطية و الإصلاح السياسي ليسا إلا ذريعتين لتبرير العدوان الأمريكي والحرب على الإسلام، وقال إن المسلمين يجب ألا تخدعهم هذه الشّعارات الكاذبة وتمنعهم من الجهاد.
وعكست لهجة ونبرة الخطابين الوضع على الأرض. فالآلة العسكرية الأمريكية استطاعت احتلال أفغانستان والعراق وتهديد عدداً من الأنظمة الأخرى، ولذلك كانت نبرة خطاب بوش تحوي نشوة النصر". إن أمريكا في حالة هجوم على الإرهابيين(...) إننا نلاحق القاعدة في جميع أنحاء العالم، وقد تم القبض على، أو قتل، ثلثي زعمائها المعروفين". كما تمكنت أمريكا من إسقاط "أنظمة إرهابية" و إقناع أنظمة أخرى بتغيير سلوكها.
أما خطاب بن لادن فكان أكثر سوداويّة، حيث إنّه حذر من أنّ:" الموقف خطير" و أنّ على المسلمين أن يعوا ذلك جيداً. وفي رأي بن لادن فإن "الإسلام و ليس تنظيم القاعدة" هو الهدف الذي تسعى أمريكا إلى تدميره.
ورداً على عبارة "محور الشر" الذي وصف به بوش سابقاً كوريا الشمالية وإيران والعراق، استخدم بن لادن عبارة "سلسلة الشر" التي تمتدّ من الصّليبيّين إلى الصّهاينة حسب قوله، والقاعدة تسعى إلى محاربة هذه السّلسلة من خلال تصعيد هجماتها في أنحاء العالم كافّة.
و تميّز كلا الخطابين بأنّهما عبّرا عن إصرار وتصميم الرّجلين على المضيّ في سياسة التّحدي و المواجهة حتى النّهاية و النّصر، و على الإقرار بأنّ الحرب ما زالت طويلة.
و فيما يأمل الأمريكيّون أن تنتهي الحرب بالقضاء على الإرهابيّن، فإنّ أتباع بن لادن ومؤيّديه يأملون في أن تؤدي الحرب إلى تدمير أمريكا.

<u>عرض رقم 1</u>
تأطير الأحداث إيديولوجيا
و ثيقة عمل جماعي لطلبة الماجستير

و ثيقة تأليفيّة لنتائج تحليل عدد من المقالات المنشورة في موقع إلكتروني لحركة سياسية إسلامية تونسية حول حادثة "ستار أكاديمي" في صفاقس (أفريل 2007) التي نتج عنها وفاة عدد من المتفرّجين، و تستخرج التقنيات الخطابيّة التي تم توظيفها لتغيير معنى الحدث خدمة للتوجه الإديولوجي للمتكلّم.

<u>الموضوع:</u> دراسة طريقة التحليل و التأليف المتّبعة.

الإصلاح

<u>الإطار العام للحدث</u>

عندما توفى في شهر أفريل 2007 سبع شبان مدهوسين في حفل ستار أكاديمي بمدينة صفاقس (في الجنوب التونسي) جراء تنظيم سيئ، هرع بعض الإسلاميين للتنديد "بقلة حياء" الضحايا و "ميوعتهم"، و اتّهموا الأولياء "بالتقصير في تربية أبنائهم تربية دينية صحيحة"

الإطار النظري

لا تعد الأدلجة، أو توظيف الأحدث و الظواهر خدمة لتوجه سياسي معين، بدعة. فقد تم دائما توضيف "المأساة" (الموت خاصّة) خدمة لإيديولوجية.

و تمثل قراءة الإسلاميين لواقعة ستار أكاديمي نموذجا لطريقتهم في قراءة الوقائع الماضية و المستجدة و تسمح بالوقوف على الآليات التي يعتمدونها في نقل المعلومات و التّمثلات و القيم إلى الجمهور من خلال تقنيات و رموز معينة.

التقنيات الدعائية المستخدمة

تقنية استعادة الابن الضال

يتوجه الخطاب الإعلامي الإسلامي إلى جمهور "ضال" و "جاهل" يشكو "نقصا في المناعة الدينية" و يحتاج إلى "تربية و إصلاح" لذلك تقدم إليه الأخبار بلغة الوعظ و الإرشاد، بهدف التأثير فيه و حمله على الاقتناع بفكرة المتكلم. فيأتي الخطاب مفعما بالقيم الأخلاقية و بعبارات الترغيب و الترهيب. و هو خطاب يختلف جذريّا عن الخطاب المفتوح الجامع، الموجه إلى جمهور عام بهدف إعلامه بواقعة محدّدة و إعانته على تكوين رأي خاص حولها.

و يلجأ الخطاب الهادف إلى استعادة الابن الضال، إلى ما يسمى بتقنية التبئير الصفري أو الرؤية من الخلف التي يتحكم فيها الباث أو الرّاوي تماما، مثل الإله الذي يحيط علما بكل شيء و يدرك ما في أعماق الشخصيّة المصوّرة أكثر ممّا تعلمه هي عن ذاتها،

و دون مد السامع بمعلومات عن مصادر إدراكه للأشياء. و هو ما يسمح للرّاوي بالتّركيز على عناصر من المشهد و التعتيم على أخرى، فينتج بذلك خطابا تضليليا يتمثل في وصف جزء بسيط من الواقع و استغلاله لصياغة كاذبة بالمقارنة مع المضمون الأصلي للحدث.

و هي تقنية مخالفة لتقنية التبئير الخارجي، التي تعتبر أكثر التصاقا بالواقع لأنها تسمح للمشهد بأن يقدّم نفسه بنفسه. فيخلو الخطاب بذلك أو يكاد من الأحكام و التقييمات.

و تقول الصور و الشهادات المباشرة للذين عاشوا الحدث، و التي نشرتها وسائل إعلام تونسية و عربية، بأن ثلاث أمهات على أربعة ممن فقدن أبناءهن يرتدين الخمار.

كما تقول أن أغلبهم أدّوا صلاة المغرب يوم الحادثة و أن بعض الضحايا من المراهقين يؤدون الصلاة، و أن العدد الكبير للمتفرجين الذين فاق عددهم طاقة استيعاب المسرح كان السبب الرئيسي في التدافع الذي أدّى إلى سقوط ضحايا. و بذلك يكون هذا الإعلام قد حمّل منظّمي الحفل مسؤولية الكارثة.

أما رواية الإعلام الإسلامي فقد ركزت حصريا على التّبرج و الماكياج والاختلاط و الرّقص و الهستيريا التي أدّت إلى الرّفس و الدّهس. كما حمّلت الأولياء مسؤولية موت أبنائهم و تغاضت عن مجموعات المتديّنين الذين شاركوا في الفرجة.

فالكشف عن مشهد وجود عدد هام من النساء المحجبات في "بؤرة فساد" ينسف الأطروحة المركزية للإسلاميين و المتمثلة في المقابلة الحادة و المانويّة التي يقيمونها بين عالم الطهارة الملائكي و عالم الجاهلية الإبليسي و ضرورة مفارقة المؤمن لعالم الرذيلة بالفكر و الجسد. و من هنا جاء التّعامي عن هذه المفارقة و تنقية الصّور التي تخدم مرتكزات الخطاب الإسلامي الدعائي التقليدي المعتمد على قاعدة المعصية و العقاب.

قاعدة المعصية و العقاب

وهي قاعدة تجسدها لغة الترهيب و الترغيب التقليدية في الخطاب الإسلامي الإرشادي التوجيهي المخصص للضّالين.
فقد استنبط الإسلاميون مغالطة حجاجية تتمثل في اعتماد قانون عام ميتافيزيقي لتفسير الكوارث الطبيعية المتكررة. فالكارثة توظف كحجة على غضب الله من معاصي البشر أو كعلامة من علامات الساعة.
وقد نجح هذا الوصل السّببي المغالط، في إقناع المؤمنين الطيبين في بلاد الإسلام، حيث يحتل الدين أعلى مرتبة في سلم العناصر المنتجة للمعرفة. فقد تنامى في التسعينات عدد المتدينين في مصر بصفة غير مسبوقة تحت وطأة حملة التذنيب التي قادها الإسلاميون هناك بعد كارثة الزلزال الذي دكّ القاهرة. و نجحت المشاهد المصاغة من الكلام و بفعل السلطة الرمزية للكلام في إعماء البعض عن الزلازل المتكررة التي تدك جمهورية إيران الإسلامية حيث كل النساء متحجبات و كل الرجال ملتحون و لا يلبسون ربطة العنق.
و لم يحصل طبعا أن استدلّ الإسلاميون على دنّو قيام الساعة بحوادث الطيران و البواخر و الحرق و الاختناق و الدهس الدّورية التي تقضي على أرواح آلاف الحجاج.

قاعدة التجويق

و تتمثل هذه القاعدة في تكرار نفس الموضوع بطرق مختلفة من خلال مقاربات و زوايا نظر متنوعة تسمح بالتغلغل في الأذهان. و بما أن التكرار يولّد الملل، يتمّ تنويع الصّيغ مع الاحتفاظ بنفس المحور. و المحور هنا هو مجموعة القيم و التمثلات التي تأسّس قاعدة الإديولوجيا الإسلامية و التي تدعّم شرعيّة المتكلم. أما الصّيغة، و هي ثانوية، فهي الأحداث و الوقائع المستجدّة، بحيث تصبح الوقائع أدوات تبرير إديولوجي.

و لذلك لا تعكس مشاهد الوقائع، التي يتم تقديمها في مثل هذه الخطابات، الوقائع كما حصلت على الأرض و إنما تعكس تأويل مخرجيها لهذه الوقائع و توظيفهم لها، مما ينتج عنه إعادة إخراج الحدث حسب أهداف المتكلم. فالحدث في الخطاب الإعلامي الإسلامي لا تؤسسه الوقائع بقدر ما تؤسسه البلاغة. و لذلك أيضا لا يمثل الحدث موضوعا للمناقشة و لا يهدف إلى تطوير الوعي بضرورة المعالجة، و إنما يشكل فقط مصدرا لصياغة التمثلات و القيم و المعاني.

و هو ما يفسر تغييب المعلومة و التركيز على الوعظ و الإرشاد و كذلك عدم تغير الوصفة المقترحة للمعالجة بتغير الحدث أو الظاهرة، مما يجعل القول غير زمني و لا تاريخي.
فالإديولوجيا تنسج بطبعها جلابيب من مقاس واحد لجميع رهبانها و تحشرهم فيها بقطع النظر عن اختلاف مقاساتهم. و تنجح بذلك في تحقيق مفارقة إخضاع الحركة للسكون من أجل إثبات رؤية مسبقة.

فالمسالة لا تتعلق إذن بمصداقية المعلومة التي ينتجها الخطاب الإسلامي، و إنما بقوة الحقيقة التي يراد لها أن تكتسبها لكي تجعلها تعلو على كل الحقائق الأخرى.

عرض رقم 2

تحليل التّصورات و مسار البرهنة في الخطاب الإعلامي

و ثيقة عمل جماعي لطلبة الماجستير

و ثيقة تحليليّة تأليفيّة لإستراتيجية الخطاب الديني في وسائل الإعلام اعتمدت الإشكاليّات التاليّة: كيف تصنع وسائل الإعلام الخطاب الديني ؟ و ما هي المؤثرات التي تستخدمها قولا و صورة للإقناع بالتصورات التي تروّجها ؟ و ما هوّ المفعول الممكن لهذه العملية في ذهن المتلقي ؟

الموضوع: دراسة طريقة التحليل و التأليف و التقديم المتّبعة.

مراجع العرض

نبيهة قارة. مشكلة الوهم في الفكر الفلسفي

جون أوستين نظرية أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام إفريقيا الشرق الدار البيضاء 1991

Roland Barthes. *La théorie du texte*, Encyclopédie Universalis, Vol 15, PP 1013 à 1017s

Ghiglione, R. ; Landré, A. ; Bromberrg, M. ; Dorna, A. *Ecoute voir ou le discours politique médiatisé. Psychologie Française, 1990.*.

Joly, Martine. *Introduction à l'analyse de l'image.* Nathan Université, Paris, 2000.

PERELMAN, Chaïm. *Traité de l'argumentation*, Bruxelles, Éditions de l'Université de Bruxelles, 1988.

الإصلاح

الإطار النظري للبحث

ربما تعيننا العودة إلى مفهوم الخطاب بصفة عامة على فهم خصوصية الخطاب الديني و فعاليته.

أولا: لا يستقيم الخطاب بفعل فاعل واحد، إنه نتاج شراكة بين فاعلين متعددين، الباث و المتقبل و المقام و السياق و النسق و العلامات(لغة و صورة و حركة و لون) و تصوّرات و حجج. و كلها عناصر تتفاعل فيما بينها لتأسيس المعنى. و في غياب إحداها يغيب الخطاب الذي هو المعنى. لذلك يعتبر الخطاب عملية اتصالية بامتياز، حتى أنه يصعب على محلل الخطاب تخليص قول الباث من قول المتلقي. و هل القول يخلقه فعلا المتكلم عندما يتعلق الأمر بالوساطة كما حددناها سالفا ؟

فالمتلقي و كذلك الوضع العام يشاركان في تأسيس الخطاب الديني لوسائط الإعلام، مما يفسر هذا التطابق المثير بين الباث و المتلقي، الذي رأى فيه البعض مجرد امتثال آلي لمؤثرات الباث، يمكن مزاحمته بخطاب مضاد نقدي عقلاني. و استغرب، بعد تجربته، من عدم نجاح وصفته.
ثانيا: يتصل الخطاب بمجالات عدة تنتمي إلى كل حقول المعرفة الإنسانية، غير أنه من الممكن تصنيفه في خانتين أساسيتين اعتمادا على طبيعته: خطاب عقلاني و خطاب لا عقلاني.
و الخطاب العقلاني هو الذي يؤسس الحقائق، قدر المستطاع، بالاستناد إلى العقل وحده، و يرى الأشياء كما هي، و يؤول الواقع تأويلا صحيحا على الرغم مما يحتويه من مرارة و ألم.
أما الخطاب اللاعقلاني فهو خطاب خداع الحواس، أي الخطاب الذي تنعدم فيه المعرفة و تغيب فيه الحقيقة، مثل اعتقاد الناس قبل اكتشاف علم الفلك بأن الشمس أصغر من الأرض و بأنها قريبة. و من وجهة نظر معرفية يندرج هذا الخطاب في خانة الوهم. و الوهم ليس بالخطأ الذي يمكن أن نتعقّله بعد أن تتكشّف الحقيقة. الوهم يعبر عن حالة الإنسان حين يقع من حيث لا يعلم في خديعة تجعله يضفي صفة الوجود على مجرد صورة خيالية.

و تعبر أمثولة الكهف لأفلاطون عن الوهم بدقة. فالأمثولة تقدم عالما من الظلال تمثل مجرد نسخ من الأشياء يحسبها المقيّدون بالسّلاسل في الاتجاه المعاكس للأشياء الحقيقية، موجودات واقعية. لذلك يكون الخطأ زيفا نسبيا و الوهم زيفا مطلقا.

نتائج البحث

مكّننا البحث في هذه الاتجاهات، و بالاستعانة بمقاربات كل من علم النفس و الفلسفة و الاتصال، من تصنيف الخطاب الديني لوسائل الإعلام، إلى فئات ثلاثة: الوهم و الحلم، ثم الهذيان، و أخيرا اللذة.

خطاب الوهم والحلم

يستثمر الخطاب الديني في وسائل الإعلام، التراث العربي ليقولب الأحداث بطريقة تخدم منطقه و تسمح له بالتدليل على تفوّق الأسطورة على العقل، و على قدرته على إقصاء العقل من عالم الوقائع التي يصنعها البشر. يقول حسن نصر الله، أمين عام "حزب الله" اللبناني في خطاب

"النصر الإلاهي" على قناة المنار بتاريخ 22-9-2006 : " كيف يمكن لهذه الثّلة من المجاهدين أن تهزم هذا الجيش، إلا بنصر من الله وعون من الله وتأييد من الله سبحانه وتعالى. هذا نصر أكبر بكثير مما تطيقه عقولنا ومما تستوعبه عقولنا. مقاومتكم (...) قدمت نموذجاً للصمود، الصمود الاسطوري، الصمود المعجزة"

و هكذا، و بواسطة القول فقط ينجح المتكلم في تشكيل مشاهد مقطوعة عن العالم الواقعي. و تمكّنه تقنية التّواتر و كذلك دمج الحاضر المأساوي بالماضي المجيد من خلق عالم جديد في ذهن المتلقّي الهارب من بشاعة الواقع.

تبثّ "الزوراء، قناة المقاومة العراقية" صورا على مدار الساعة تمثل حسب إعلانها "عمليات الشهرين الماضيين التي قام بها جيش المجاهدين ضد الاحتلال" على وقع أصوات انفجارات متواصلة و نشيد حماسي تقول كلماته "ردّدي يا سهول أننا نقتدي بالرسول، حدّثي عن عمر كيف قاد الأمم بالكتاب الأعز"

كما لا تكفّ القنوات الشيعية عن الحديث عن صفات "الإمام حسين" و عظمته و تضحيته تماما مثل حديث المسيحيين عن المسيح. و طبعا تكون الخلاصة الدعوة إلى ضرورة الإقتداء به في المعارك ضد العدّو. كما تكون النتيجة أيضا تشيّع شباب تونسي و الدخول في نقاشات بيزنطية على الإنترانت مع شباب تونسي معارض لهذه الظاهرة، حول ما إذا كانت السيدة عائشة قد زنت أم لا و هل تعتبر من أهل البيت أم لا.

و ما يمكن ملاحظته هو الإشارة الواضحة إلى ضرورة الحكم بالشريعة و البرهنة على الأوامر بسيرة الرسول و أحد الخلفاء الراشدين، أي بالسّلف الصالح، و كأننا في معركة في "المدينة" من خمس عشرة قرنا بين جيش المسلمين و اليهود أو الكفار. بحيث يتم تصوير عالم حرب عادلة بين الكفر و الإيمان تنتهي بالانتصار على العدو إذا تمت قيادتها بالقرآن.

و يلقى مثل هذا الجو الأسطوري هوى في نفس المتلقّي الواهم و الهارب من الحقيقة المرة، و يعزّز اعتقاده في صحة أوهامه. فالوهم يتعلق بالأهواء و خاصية الهوى أنه يجعل الإنسان يفضّل الحاضر على المستقبل، و الحاضر يستمد قوّته من صور الماضي، حسب علم النفس، بحيث أن الإنسان يفضل في الواقع الماضي عن الحاضر. و ترفض الذات تصور الماضي بما هو ماض أي كواقع قد فات و انقرض نهائيا.

و هكذا يوظّف الخطاب الديني في وسائل الإعلام قاعدة دعائية فعّالة يلجا إليها للتّعبئة، و تسمّى قاعدة الإصفاق (يقال أصفق القوم على قول واحد أي اتفقوا) و هي تستغل ما هو مجمع عليه في مجتمع ما لصالح بناء توجه معين، و تتمثل عادة في استثمار ركيزة ثقافية هامة في البنية الفكرية للمجتمع، للتأثير في المتلقي و تغيير سلوكه.

فبعد المقدمات الإيمانية التي لا تناقش، نظرا لقداستها، و بفعل الوسائل التأثيرية التي أثبتت البحوث فعالياتها و قدرتها على التأثير و تغيير السلوك، يقدم محتوى القرآن حسب قراءة تخدم التوجه السياسي التالي: "الجهاد في سبيل الله و قتل الكفار و الدخول المضمون إلى الجنة" بحيث يشعر المتطوع للموت بأنه يقوم بمهمة إلاهية بأمر إلاهي، و هو ما يفسر أنه يمكن لأي مسلم مهما كانت جنسيته، تقديم نفسه قربانا لله إذا طلب منه مقاومة الطغاة و اليهود أو كل من يتم تصويره على هذه الشاكلة بتشريكه في نفس الصفات السلبية.

إنه خطاب إعلامي يحرّك المشاعر و العواطف أكثر ممّا يتطلّب إعمال العقل، بل إنه يطالب العقل صراحة بعدم الفاعلية. فهو خطاب يتوجه إلى الأشخاص و ليس إلى المواضيع، لأن المواضيع تستدعي النقاش و إعمال العقل، و هي تقنية دعائية أثبتت البحوث فعاليتها.

و نحن هنا لم نعد تجاه ظاهرة إعلامية و إنما تجاه إعلام ممسوخ اسمه الحقيقي هو الدعاية.

و الدعاية هي فعل تمرير الخطأ في وسائل إعلام كاذبة، أي بالنهاية في وسائط دعائية. لذلك تصنف الفضائيات، المروجة لهذا الصنف من الخطاب الديني، ضمن وسائط الاتصال الدعائي و لا يمكن اعتبارها بأي حال وسائل إعلامية.

خطاب الهذيان

يعتبر فرويد الوهم "كل اعتقاد تكون الغلبة في حافزه لتحقيق رغبة" و على هذا النحو يمكن اعتبار الوهم منبثقا عن رغبة الذاتية وأيضا عن هذيانها. و يعتقد فرويد أن بعض المعتقدات الدينية هاذية، ذلك أن الصراع مع الواقع مستتر في الوهم ومكشوف في الهذيان.

و يظهر الهذيان في طغيان فن الخطابة على البرهنة. و يعتمد هذا الفن على الزخرفة اللفظية التي تستفرغ المجهود الفكري للمتكلم و لا تقوى على تحريك فكر المتلقي.

و تشترك جلّ القنوات الدينية في نفس التوجه، سواء ببث صور الخراب و الدمار أو مسلسل تاريخي فيه صور تعذيب مريعة تشرّع للعنف ضد من عذّب المسلمين تاريخيا، أو حصص دينية تحكي عن الخوارق و المعجزات. أما الصور فهي تعبّر عن عالم مثالي كما تتصوّره الذاكرة الجماعية للمسلمين، حول زمن السلف الصالح حيث كل النساء متحجبات و الرجال شيوخ أجلاء ملتحين، يرتدون الجلباب و يجلسون على زرابي فوق السحاب، و يقدّمون النصائح للصالحين و الصالحات، و لهم حلول لكل المشاكل و الأمراض المزمنة، بالعودة فقط إلى القرآن، بحيث يتم إجبار المتفرج على الاختيار بين الطهارة و النّجاسة حسب مفهومهم الخاص، و حثّه على الجهاد ضد عالم الجاهلية و بناء عالم الطهارة بالتضحية بالنفس و أجره على الله في الجنة مع حور العين.

و يوظف الخطاب الديني هنا قاعدة أخرى من قواعد الدعاية الفعالة و هي قاعدة التبسيط التي تستعمل أسلوبا سهلا و واضحا يسمح للمتلقي مهما كان مستواه الثقافي بالاستيعاب السريع و الحفظ، وهي تعتمد على شعارات و أوامر تصاغ بأقصر أسلوب و بأقوى تأثير ممكن، مثل لغة الإعلانات، تلك التي توظف لحشو الذاكرة بأسماء و أنواع و شعارات و بأسلوب يطغى عليه السجع و الشعر.

يقول حسن نصر الله في الخطاب المذكور: " ألا يعرف هذا العدو من نحن ؟ نحن أبناء ذاك الإمام (و يقصد علي ابن أبي طالب) الذي قال: أبالموت تهددني يا بن الطلقاء، إن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة"

و على "قناة الجرس" في برنامج عنوانه "الطريق إلى الجنة" يقول المذيع متوجها إلى المرشحين للتمنطق بأحزمة الموت: "لن تستطيع قوة على وجه الأرض القضاء على الإسلام. فقد نصر الله المسلمين في غزوة بدر بالرياح، يعني شويّة هواء"

خطاب اللذة

يتبنى الخطاب الديني إستراتيجية الإغراء التي تتّدعي المعرفة الشاملة و تعتمد الحجج العاطفية و الأخلاقية و لغة الترغيب و الترهيب و مواضيع العقاب و الثواب و الإشارات الدينية، من بسملة و حمدلة و حوقلة، و أحاديث و آيات.
وهي لغة تنعت بالخشبية لأنها تعتمد الشعارات و القوالب و العبارات الجاهزة.
و قد أطلق البولونيون على هذه اللغة اسم "لغة المشعوذين" و كذلك "لغة الحلم" بعد تحليل خطاب وسائل الإعلام في عهد الحكم الشيوعي الذي يركز على شعارات:" تحقيق السعادة، تحقيق المساواة" دون تقديم تفسير لطريقة تطبيق هذه الشعارات.
و هي لغة مريحة و لذيذة تدفع إلى الكسل الذهني.
و بالنسبة للأساليب الحجاجية، فقد اختار منها الخطاب الديني، الأقل عقلانية و الأكثر توجيها و تأثيرا، تلك الحجج التي تخاطب الخيال و تدغدغ العواطف و تحرك الإنفاعالات بحيث تجعل المتلقي في درجة عالية من الإذعان، و نذكر منها:
1) حجة السلطة الدينية: قال الله، قال الرسول أو الصحابة أو العلماء.
2) حجة القيم: مع التركيز على المجرد منها، و هي أقوى تأثيرا، مثل الحق و الخير.
3) حجج النعوت و الصفات: و المقصد الحجاجي من إطلاق الصفة هو تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به على الشخص.
4) التوجيه الاستفهامي: Les question orientée

كما يلجأ الخطاب الديني إلى المغالاطات الحجاجية التي لا يراعي فيها المتكلم السلامة المنطقية، مثل:
1) التناقص القولي : مثل التنديد بمنع الحجاب باعتبار هذا القرار مخالفا لحقوق الإنسان، من جهة، و تمجيد الدول التي تفرض على المرأة ارتداء الحجاب، من جهة أخرى.
2) حجاج القوة: و يتمثل في حمل المخاطب على سلوك معين بالاستناد إلى التهديد المعنوي أو الجسدي. سمعنا متحدثا يقول في برنامج حواري حول ما يسمى بجرائم الشّرف " يجب على رجال العائلة قتل البنت المستهترة و إلا فإن الأسرة كلّها ستتفكك"
3) السفسطائية:la sophistique حيث تكون المقدمة صحيحة و النتائج خاطئة. مثل قول إمام من أصل عربي في أستراليا ما معناه "إذا وجد إنسان جائع رغيفا في الطريق العام فأكله، هل يعتبر سارقا ؟ و إذا رأى أحد امرأة متبرجة واعتدى عليها فمن هو المسؤول ؟"
4) المحاججة بالتجهيل: وهي تقوم على إفحام المخاطب انطلاقا من تعجيزه على أن يدلي بما ينفي الحجة المقدمة له.
و قد شاهدنا على "قناة المنارة" شريطا وثائقيا حول حيوان الأخطبوط تم تقديمه كآية على معجزات الله، لأن العلم البشري لم يتمكن من اكتشاف أسرار الأخطبوط، على حد ادعاء مقدم الحصة، بحيث جعل المعرفة المطلقة مقتصرة على الدين.
و يسمح العرفان المطلق للإنسان بالخروج من دائرة الرعب الوجودي و الحصول على الراحة النفسية التي تعطيه شعورا بالعيش في جنة و إن كانت وهمية.

لقد ساهم الخطاب الديني لوسائط الاتصال الدعائي في إنتاج شباب غير قادر على زحزحة الزمن أو على دفع سقف الحقيقة إلى الأعلى، شباب مولع بأدبيات تحديد مساحة فعل العقل، يستهلك أطنانا من كتيّب "عذاب القبر" و يرى في مفكرين و مصلحين من أمثال ابن رشد و خير الدين و الطهطاوي زنادقة و ملحدين. شباب يتأرجح بين أزواج مفاهيم متناقضة حد التقاتل: بين الماضي و الحاضر، أي بين السكون و الديناميكية فكريا، و بين الاستبداد و الديمقراطية سياسيا. و ينتهي به الأمر باختيار التوجه الأول، كلما سمحت له الظروف بالتعبير عن رأيه بشفافية عبر صناديق الاقتراع، أو بحمل السلاح.

لقد ساهم هذا الإعلام في انتاج شباب يعتبر أنه لا يمكن قبول فكرة حقوق الإنسان الحديثة و البقاء مسلما لأن مصدر حقوق الإنسان تنحصر، في رأيه، في الشريعة. فهو يبحث عن موقع الديمقراطية و حق المرأة في قيادة السيارة في منظومة الحلال و الحرام.

و قد بيّنت إحصاءات الاستشارة الوطنية للشباب في تونس سنة 2007، أن المؤشرات المتصلة بالانتماء على المستوى الإقليمي لدى الشباب، يتعلق أساسا بثلاثة فضاءات مرتبة كالآتي: العالم الإسلامي (42.7%) المغرب العربي 24.2% والوطن العربي 22.6% ويأتي الدين في مقدمة العناصر المحددة للهوية (48.5%) تليه اللغة 35.7% ثم التاريخ 8%..

إذن يرى شبابنا نفسه مسلما أولا، لذلك فهو يضع انتماءه للعالم الإسلامي فوق انتمائه الوطني. والنتيجة أن اهتمامه بالقضايا التي تحدث في مناطق إسلامية يفوق اهتمامه بقضاياه المحلية، مما يجعله يخدم هذا الفضاء على حساب وطنه. فهو لن يتردد في تفجير الوطن لتحقيق هدف يعتقد أنه أعلى، حيث يظن مثلا أن قتل عدد من السواح الغربيين في جزيرة جربة هو عمل جهادي ضد حلفاء أعداء طالبان في أفغانستان، فضاء انتمائه الأصلي بالنسبة إليه.

و هكذا يبدو الصّحو من الوهم شبه مستحيل لأنه لا تسنده أية غريزة أو منفعة أو أي شيء مما ينتمي إلى صميم الذاتية. لذلك يقاوم الوهم كل تكذيب إدراكي أو عقلي. فحين نعلم بفضل علم الفلك أن الشمس تبعد عنا بمسافة كبيرة، لا يمنعنا ذلك من أن نتخيل أنها قريبة منا، أي أن المعرفة الحقيقية لا تزيل الإدراك الوهمي. فالوهم الإيديولوجي لا يؤثر فيه النقد، و حتى لو تنبّه المؤمن بأن الكوارث تصيب التقي و غير التقي معا، فإنه يرجع ذلك إلى حكمة إلاهية تتجاوز نطاق فهمه، و يفضل أن يحكم على عقله بالعجز بدلا من أن يراجع تفسيره.

خلاصة

يستمد الخطاب الديني قوته من كونه خطاب وهم يتأسس على خديعة مضاعفة: خديعة الذات في نزوعها إلى الخلود و الخداع المصطنع لوسائط الاتصال، إضافة إلى طبيعته الأيديولوجية و خصوصياته كخطاب ديني.

فالخطاب الديني يندرج ضمن الخطاب الإيديولوجي اللاعقلاني و بالتحديد ضمن خطاب الوهم شأنه شأن خطابات السياسة و الفن و الحب و الجنس.

و تظل وسائط الإعلام الوسيلة الأنجع لإنتاج الوهم الأقرب إلى شكل الحقيقة، أي الوهم الأكثر لذّة.

فالصورة، كما نعلم، لا يمكنها أن تطابق الأصل بل تكتفي بمحاكاته، مما يؤدي إلى الخلط بين الواقع و الخيال، فيلغي بذلك كل مشروع يخص الحقيقة، و في ذلك تتمثل ميزة الوهم.

و اللغة التي خلقت أيضا للتّورية، كما يقول فرويد، تتدخل من ناحيتها لتجسّد الوهم، فهي تخدعنا عندما تطابق، شأنها شأن الصورة، بين الموجود و المفهوم الذي يجمع بين وقائع مختلفة جوهريا، و يجعلها متماثلة حسب نظرية عالم الألسنية "ألفراد دي سوسير"
Alfred de Saussure

و عندما يتم إنتاج خطاب واهم بقوة الخطاب الديني من طرف وسائط خادعة في حد ذاتها، يمكن لنا أن نتصور مدى التحريف الطارئ على العملية برمتها و كذلك مدى تأثيرها في متلقّ ينزع بطبعه إلى الوهم و الحلم كوسيلة غريزيّة للدفاع عن النفس.

تمرين رقم 1
و إصلاح
المقاربة التداوليّة

حلّل هذه الجملة لغة و دلالة و تداولا

لماذا تركت الحصان وحيدا ؟

هي عنوان ديوان للشاعر الفلسطيني محمد درويش صدر عام 1995 و هو أيضا عنوان قصيدة في هذا الديوان.

المضمون	تحليل لغويّ	تحليل دلالي	تحليل تداولي مستوى1	تحليل تداولي مستوى2	تحليل تداولي مستوى3	المعنى
لماذا		أداة استفهام	لوم	استنكار	استفهام محايد	سلبي أو إيجابي أو محايد
ترك	فعل ماضي	تخلي	عدم الفعل	الخذلان	تخلى عن شئ سيء أو جيد	سلبي أو إيجابي أو محايد
ت	فاعل	الأب في القصيدة	القائد السلطة	العرب	اللاجئون	سلبي
الحصان	مفعول به	حيوان	شهامة	رجولة	أرض حرية	ايجابي
وحيدا	حال	لا يشاركه احد	التيه	الغربة	الضعف	سلبي

استنتاج منهجي

تسمح الخانتان الأولى (التحليل الغويّ) و الثانية (الـتحليل الدلالي) فقط بالفهم

أمّا الخانات الأخرى فيمكن أن يتعدّد فيها المعنى بتعدّد تأويلات المتلقين و اختلافهم ثقافيّا، ذلك أنّ التأويل أو الكشف عن المعنى غير ممكن دون الرّجوع إلى النص في كليّته، (حقول الدلالات المجاورة لكلّ كلمة) و إلى الإطار الذي أنشأ القول و إلى هويّة المتكلم و خصوصيّته.

التحليل التداولي من خلال تذويت القول و تسييقه

المتكلم: محمد درويش: شاعر فلسطيني ملتزم. يلقّب بشاعر مقاومة.

المقام: قصيدة لها لغة خاصة (تكثيف الرموز) كلمة حصان في قصيدة محمود درويش لا تعني إذن الحيوان بمعناه المعجمي. و يمكن الكشف عن معناها من خلال السياق بالمعنى الواسع لكلمة سياق.

السياق الزّمني أو المناسبة: صدر الديوان عام 1995 بعد إبرام اتفاقيتي اوسلو و مدريد للسلام اللذين أعقبتا غزو إسرائيل لبيروت سنة 1982 وخروج المقاومة الفلسطينية.

المتلقي: الإنسان العربي. فالشاعر يرمز من خلال الحصان إلى الأرض و يتوجه إلى العرب اللذين وعدوا بمساعدة الفلسطينيين ثم خذلوهم، و إلى فلسطيني سنة 1948 الذين تركوا الأرض وحيدة.

كلمة حصان في قصيدة محمود درويش لا تعني إذن الحيوان بمعناه المعجمي المتعارف عليه بل أرض فلسطين. و لا يستطيع المتلقي فهم هذا المعنى إلا بالعودة إلى المعاني التي أكسبها العرب للحصان و إلى حياة الشاعر و خصائص أسلوبه الشعري و إلى الهزائم المتتالية، و الإطار السياسي و التاريخي للقضية الفلسطينية و رموزها، و من أهمّها خروج الفلسطينيين من بيوتهم سنة 1948 و ترك أمتعتهم و أخذ المفاتيح معهم.

كما نلاحظ هنا أن الشاعر، و إن استعمل الكلمات على طريقته الخاصة، فإنه قد تقيّد بقواعد اللغة لكي يتمكن المتلقي من الفهم في مستوى أول كما أنه تقيد برمزية مفهومة على مستوى الدلالة و لم يتصرف بحرية سوى على مستوى المعنى الذي يبقى مرتبطا بالأفق الثقافي و التاريخي للمتكلم.

فبدون المستوى الثالث الذي يتضمن العناصر المنتجة للمعنى، لا يمكن اكتشاف المعنى، كما اتضح أن المرور بالمعنى اللغوي و الدّلالي ضروري، لذلك فان معنى الكلام لا يتكشف إلا بالتحليل التداولي و ليس بالتحليل اللغوي و الدلالي فقط أي لا ينظر إلى الخطاب ككلام مستقل بذاته بل من زاوية الشروط المصاحبة لإنتاجه أو ما يسمى بالعناصر المنتجة للمعنى.

Le linguiste du discours est en cela différent du linguiste de la langue : il ne doit accorder qu'une confiance relative aux marques verbales. Il sait qu'il doit traquer le sens au-delà de l'emploi des mots et des constructions phrastiques.

معنى الجملة حسب التحليل التداولي

لماذا خذلتمونا أيها العرب و لماذا تخليتم أيها الآباء عن الأرض ؟ و هذا موقف احتجاجي لا يبحث عن جواب.

إذن أداة الاستفهام فيها معنى الاحتجاج و الاستنكار و ليست لها معنى السؤال المحايد الذي يبحث عن جواب.

تمرين رقم 2
و إصلاح
تحليل الأنماط اللغوية
الموضوع: حدّد إستراتيجية الخطاب من خلال تحليل الأنماط اللغوية في مقال (افتتاحية) "كلود إمبار "لمن تقرع أجراس الموت" الصادر يوم 18 مارس 2004 في مجلّة "لو بوان" الفرنسيّة"

Publié le 18/03/2004 N°1644 **Le Point**

L'ÉDITORIAL DE CLAUDE IMBERT

Pour qui sonne le glas

http://www.lepoint.fr/actualites-chroniques/2007-01-18/l-editorial-de-claude-imbert-pour-qui-sonne-le-glas/989/0/44260

Le carnage de Madrid déploie sur notre continent une angoisse diffuse. Pour les Européens, le terrorisme n'est plus un malheur étranger, une plaie exotique. Car pour qui sonne ce glas ? Eh bien, pour nous ! hurlent désormais les foules d'Espagne. Pour nous, supputent en silence les foules de Rome, Varsovie, Londres ou Paris...

Après les quatre avions de l'apocalypse new-yorkaise, les quatre trains de la mort entrent en gare européenne. Une guerre abjecte nous met son mufle sous le nez. Guerre déclarée contre la vie par des amants déclarés de la mort. Guerre pour la gloire du Prophète et l'assomption des siens au paradis d'Allah. Guerre d'une hydre à mille têtes où les victimes futures n'ont rien à négocier. Guerre du néant qui arme ses martyrs dans les arrière-cours de nos sociétés malades !

Semer la peur - terroriser -, c'est l'un des buts essentiels de cette machine à tuer. Et elle y parvient. Le massacre dans l'abattoir impromptu d'un train, d'un bus, d'un grand magasin nous infuse l'anxiété d'appartenir au même cheptel. Le mégaterrorisme islamiste vise une cible si large - l'Occident des « infidèles » - que nul, dans nos contrées, n'y échappe. Aussi peu « croisés » que nous soyons, nous voici donc jetés dans le chaudron d'une vindicte millénaire ! Comme les juifs dans le délire nazi, nous voici condamnés non pour ce que nous faisons, mais pour ce que nous sommes : des citoyens d'une civilisation abhorrée. Exécrée dans ses croyances, ses moeurs, ses libertés, sa démocratie.

Le risque encouru par chacun de nous est, dites-vous, statistiquement faible. Peut-être ! Mais sa représentation ne l'est pas, portée par des trombes d'images sur des millions d'écrans. Le terrorisme de masse ne prospère qu'avec les mass media. Il leur revient - comme jadis au choeur antique - de répandre et commenter la tragédie dans le village planétaire. Le nouveau terroriste est le bâtard contemporain de la masse et du réseau, de la foule et de la connexion. Son téléphone portable déclenche le détonateur, qui déclenche la bombe, qui déclenche la mort, qui déclenche le spectacle multiplié à l'infini de l'effroi...

Or l'effroi commence, hélas et sans surprise, d'installer son poison dans nos sociétés ouvertes. Contre le Mal, aussi extrême et dément soit-il, la tentation s'insinue, sinon de composer (et d'ailleurs avec qui ?), du moins d'échapper au premier choix des assassins.

Ainsi l'Espagne se trouva-t-elle désignée aux trains de la mort pour s'être ralliée à Bush dans l'expédition en Irak. Alors, Aznar se trouve puni par une opinion qui avait, en son temps, honni cette alliance. Puni, surtout, pour avoir, à la veille de l'élection, tenté par dissimulation d'imputer à l'ETA le crime d'Al-Qaeda. « Mensonge d'Etat » ? Puni, dirait-il, lui, de s'être exposé aux côtés du « Grand Satan » américain parmi les premiers combattants de la gangrène qui le découronne aujourd'hui.

N'en doutons pas : voici, de fait, la première et inquiétante victoire du terrorisme ! Aznar, congédié, quitte la scène après avoir illustré et conduit l'essor exceptionnel de l'Espagne, un des plus impressionnants du dernier demi-siècle. L'Histoire, espérons-le, lui rendra les lauriers qu'Al-Qaeda lui arrache.

La France, qui se tint à l'écart de l'expédition irakienne, aimerait à se croire, pour un temps, abritée des forcenés. Illusion, bien sûr ! Avoir désapprouvé l'intervention hasardeuse des faucons américains ne cèlera pas longtemps notre stigmate d'« infidèles ». La guerre des frénétiques ne

fait pas de quartier - sinon provisoire - dans notre camp. Qu'on écoute seulement les illuminés : ils claironnent notre agonie future. Et il aura suffi de notre loi sur le voile pour susciter aussitôt contre nous l'anathème du procureur autorisé d'Al-Qaeda.

Al-Qaeda n'est, de surcroît, que la tête la plus célèbre d'une multinationale du crime qui sévit déjà partout dans le monde, du Maroc à Bali, du Kenya aux Philippines. Qu'on arrête Ben Laden et l'infection islamiste ne sera pas pour autant éradiquée. La radiance du thaumaturge saoudien enfièvre toujours les foules arabes. Mais, sans que Ben Laden s'en mêle, maints foyers terroristes naissent, disparaissent, se déplacent, se reforment. Ou se revitalisent, comme en Tchétchénie, dans les conflits nationalistes. Tous ces « franchisés » d'Al-Qaeda bricolent dans nos murs - ingénieuses, industrieuses fourmis - leur stratégie de mort. Ils n'obéissent en fait qu'au messianisme le plus violent du Livre fondateur.

Lorsque l'islam se laisse empoisonner par cette mystique fondamentaliste, lorsque ses imams refusent, par calcul ou par peur, de condamner ces apôtres de la guerre sainte, la gangrène s'étend. Des islamologues distingués ont beau nous dire que cette hérésie incendiaire vit sa phase critique et que sa flamme s'éteindra d'elle-même. (Inch'Allah !) Mais quand ? En attendant, les cendres que nous voyons ne sont pas les siennes. Ce sont celles des victimes, dans les crématoires géants que creusent les attentats.

« Nous abordons , dit un des pompiers de la planète, Kofi Annan, *le troisième millénaire* [de l'ère chrétienne] *sous des portes de feu. »* Un sacré voyage !

التذويت و التسييق

التعريف بالصحيفة:
ظهر العدد الأول لمجلّة "لو بوان" الفرنسيّة يوم 25 سبتمبر 1972 و هي تتبنى خطّا تحريريّا يمينيا.

التعريف بالمتكلّم:
كلود إمبار هو صحفي فرنسي و من أهمّ كتّاب الإفتتاحيّة في صحيفة "لوبوان" و يعتبر ضامنا لخطّها السياسي.
شارك لسنوات في البرامج الحوارية لقناة "أل سي إي" الفرنسيّة الإخبارية. و قال في سنة 2003 ، خلال أحد البرامج، أنه يعتبر نفسه معاديا للإسلام، و ليس فقط للإسلاميين، بسبب تخلّف قيم هذه الدّيانة، على حدّ تعبيره.

"Cela ne me gêne pas de le dire. J'ai le droit de penser que l'islam, et je ne parle même pas des islamistes, en tant que religion apporte une débilité d'archaïsme divers"

و قد أجبر، بعد هذا التّصريح، على تقديم استقالته من المجلس الأعلى الفرنسي للإدماج.
Le haut conseil français à l'intégration

التعريف بالسياق الزّمني للقول:
تمّ تفجير قطارات مدريد يوم 11 مارس 2004 ، خلال الحملة الانتخابية. و اتّهم رئيس الحكومة الإسبانيّ آنذاك، "خوزي ماريا آزنار"، منظمة "الإيتا" بالقيام بهذه العملية الإرهابية قبل أن تتبنى منظمة القاعدة ذلك. فاعتبر بذلك كاذبا.
و فشل آزنار في الحصول على ولاية ثانية بسبب ذلك و أيضا بسبب رفضه سحب القوّات الإسبانيّة من افغانستان و العراق رغم تنديد عدد هام من الإسبان بقرار مشاركة بلدهم في قوى التّحالف الدّولي.

الإحالة الرّمزية لعنوان المقال:
"لمن تقرع أجراس الموت" هو عنوان رواية شهيرة صدرت سنة 1940 للكاتب الأمريكي "أرنست هيمنقواي" الحائز على جائزة نوبل سنة 1954. و تدور أحداث الرّواية خلال الحرب الأهليّة الإسبانيّة بين الفاشية و الحرّية، و تركّز على بطولة الرجل الأمريكي المخلّص. و قد ترجمت الرّواية إلى عدّة لغات و حوّلت إلى فيلم سينمائي مشهور.
و تقرع أجراس الكنيسة في التقاليد المسيحيّة خلال مراسم الدّفن. فهي إذن رمزيّة إحالة على الموت.

جدول تحليل الأنماط اللغوية

Les modalités discursives

الموقع في المقال/النمط اللغوي	الترهيب	التذنيب	الإجماع	المانوية	المسكوت عنه	الأسطرة	السفسطة	العدّو المشترك الواحد
العنونة	*							
فقرة 1	*							*
ف 2	*			*				

التحليل
يتضمّن المقال خطابا دعائيا يهدف إلى التّعبئة و التّجييش من خلال توظيف الأنماط اللغويّة التالية حسب تواترها في النصّ:

الترهيب: كلمة موت موجودة في كل فقرة إضافة إلى العنوان، و ذلك بالتسمية الصريحة أو كرمز (نواقيس الموت) أو من خلال الإحالات التاريخية (الأسطرة). مثل الإحالة على النازية "قطارات الموت" التي تذكّر الغربيين بالقطارات التي كانت تقلّ اليهود إلى المعتقلات الألمانية، حيث يتمّ قتلهم و حرقهم. و هي بالتالي إحالة على "العداء للسّاميّة" التي يتّهم العرب و المسلمون بها بسبب رفضهم للإحتلال الصهيوني.

اللغة المانويّة من خلال التأكيد على "نحن" (الضحية و قطعان الرّب الوديعة) و "هم"

(مجانين الله)
و هو ما يسمح بتأكيد فكرة صدام الحضارات و التّرويج لها.

التضليل: و يتمثّل في الخلط المتعمد بين الإسلام و منظمّة القاعدة.

لغة التّذنيب : و وظيفتها الدفع إلى الإجماع و التّكتل ضدّ "حضارة الموت" فالصحفي يتهم المتخلّفين عن "القطيع" (فرنسا أساسا التي رفضت التّحالف مع أمريكا لشن الحرب على العراق سنة 2003) بالخيانة و يذنّبهم (النائب البريطاني قالوي و المثقف الامريكي شومسكي)

السكوت: من خلال تبرير الممارسات الأمريكية دون الإشارة إلى الأسباب التاريخية المنتجة للإرهاب (القضية الفلسطنية مسكوت عنها في المقال)

تهدف اللجوء إلى لغة الإجماع و الترهيب إلى دفع المتلقي الغربي للتماهي مع المتكلم و إقناعه بأن المصير واحد، حاضرا و ماضيا، و ليؤلّبه على قرارات حكومته المعارضة للحرب، و دفعه إلى مواجهة العدو المشترك.
و هي نفس الإستراتيجية التي تعتمدها الإدارة الأمريكية في خطابها المبرّر لاحتلال العراق، باسم محاربة الإرهاب.
و هو ما يحيلنا على نظرية وضع الأجندة في وسائل الإعلام.

تمرين رقم3

و إصلاح

تحليل التمثلات و مسار البرهنة في الخطاب السياسي

الموضوع:

استخراج تمثلات المتكلم و المشهد المرسوم، و حلّل آليات التأثير و الإقناع الموظّفة في خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش الإبن الصادر بتاريخ 6-2-2003 (نسخة مرفقة)

الإصلاح

سياق القول

يتنزل هذا الخطاب ضمن خطاب دعائي نستدل عليه، أوّلا، من خلال السّياق الذي يندرج فيه و هي فترة ما قبل الحرب على العراق التي شنّت في مارس 2003.
و قد تبنى الخطاب **إستراتيجية الدفاع** عن أطروحة المتكلم. (أوّلا)
و قام على **مشهد ترهيبي** (فقرة 1)، يسعى إلى خلق **إجماع** (فقرة 2)

أما **مسار البرهنة** (ثانيا) في هذا الخطاب فقد اعتمد على تقنيات إقناع قوية فهو **خطاب سلطة**،(ف 1) و هو ما يؤسس حجة في حد ذاته، إلى جانب اعتماده على **حجج منطقية اقتناعيّة** (ف 2) من أهمها الوقائع (أحداث 11 سبتمبر 2001 أساسا)
هو إذن خطاب قويّ يستمدّ قوّته من استغلال الإطار النفسي الذّي خلّفته أحداث 11 سبتمبر (الخوف) و يتلائم معه.

أوّلا: إستراتيجية الدفاع

يدافع الخطاب على موقف المتكلّم و قراراته من خلال محاولة إقناع المتلقي الأمريكي و العربي و الأوروبي و أعضاء مجلس الأمن، بشرعيّة التّدخل العسكري في العراق على أساس مبدأ الحرب الاستباقية الوقائيّة.

La guerre préventive

1) المشهد الترهيبي:

- **كثّف** المتكلم المعلومات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل و **بسّطها** لجعلها في متناول المتلقي المتوسط و اعتمد **التهويل** و **التكرار** مع ربط المعلومات **بمرجعيّة** تثير الرعب في النفوس و هي أحداث 11 سبتمبر.

1 **وظف اللغة المانوية** بإقامة تقابل حاد بين عالمي الخير و الشر من خلال الأفعال و القيم و الأوصاف. فجاءت أفعال الفاعلين الايجابيين " كشف، اكتشف" مقابلة تماما لأفعال الفاعلين السلبيين" لم يكشف، اخفي"

Une parfaite symétrie

و "الحرية و السلام و الأمن"، مقابل "الدكتاتورية و الأسلحة و الاعتداءات"
كما وظّفت الأوصاف لتمجيد الذات و حلفائها و تدنيس العدو و حلفائه (لغة مانوية)

- أنبنى الخطاب على **الجمل القصيرة البلاغية** التي تقوّي الخطاب مثال:" اللعبة انتهت"
« game is over »
2) و هو يهدف إلى خلق إجماع من خلال الاعتماد على **قاعدة العدو المشترك** بالنسبة للإنسانية جمعاء بما فيها الشعب العراقي

ثانيا- **آليات الإقناع**
1- يتركز مجمل الخطاب على **حجة السلطة** مما يعطي للخطاب قوة و مصداقية بالنسبة للمتلقي الأمريكي
2- و يعتمد الخطاب على مرجعية واقعية قوية تتمثل في أحداث 11 سبتمبر. كما استعمل بعض الحجج المنطقية مثل السّببية و التّعدية

La transitivité

(سلاح+قاعدة= تفجيرات)
- و قد نجح من خلال الربط بين النظام العراقي و القاعدة بواسطة قاعدة التّعدية من جعل النظام العراقي و القاعدة وجهين لعملة واحدة.
و تم دعم هذه الفكرة بالتشبيه.
- كما استخدم المتكلم تقنية الافتراض و التي تجعل الاحتمال قوي من خلال ربطه بواقعة مؤثرة في النفوس(9/11) (يمتلك أسلحة دمار شامل إذن سيعتدي علينا)

- استعمل بكثافة القيم، خاصة القانونية، و الأوصاف و النعوت، و الافتراضات التي تسمح بالمرور من الموقف إلى القبول بالحكم المترتب عن هذا الموقف مثال: "الإرهاب" و حكمه الحرب على الإرهاب. و قد اعتمده كتبرير يقبله المتلقي الأمريكي الذي يعيش تحت سلطان الخوف.

فهرس التمارين

تمرين رقم1

الموضوع: مرجعيّات المتكلّم

تمرين رقم 2

الموضوع: تحليل التصّورات

تمرين رقم 3

الموضوع: تحليل مسار البرهنة

عرض
الموضوع: توظيف القواعد الدّعائيّة في وسائل الإعلام

تمرين رقم 1

الموضوع: مرجعيّات المتكلّم

بالاستعانة بشبكة قراءة المرجعيّات، استخرج المنظومة المعرفية للمتكلم من خلال تحليل المرجعيّات المكانية و الزمانية الواردة في النصّ المرفق و تحليل تأثيرها في تكوين معنى الخطاب.(خطاب أسامة بن لادن)

تمرين رقم 2

الموضوع: تحليل التصّورات

حلّل تصوّرات و أساليب تأثير صحيفة ذات توجه قومي عربي (عدد من جريدة الشروق التونسيّة أو القدس العربي) في خطابها السياسي المتعلّق بالعراق، من خلال:

1) المشهد الذي يرسمه هذا الخطاب (تقنية تحليل القوى الفاعلة)

2) اللغة القوليّة و اللغة غير القوليّة

و قدّم نتائج التحليل بطريقة تاليفيّة تعتمد المقاربة التداوليّة:

- الباث

- المتلقي

- السياق

تمرين رقم 3

الموضوع: تحليل مسار البرهنة

سنقوم بتحليل خطابين لمعرفة مدى قدرة صانع الخطاب على التأثير في نفوس المتلقين و إقناعهم و ذلك من خلال تقنية تحليل مسار البرهنة.
و سيكون متن اشتغالنا خطاب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في مهرجان النصر والتحرير في ماي 2000 وكذلك خطاب الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش عن العراق في سبتمبر 2007 .

خطاب الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله
مهرجان النصر والتحرير - بنت جبيل
الجمعة، 26 أيـار - مـايو 2000

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
بسم الله الرحمن الرحيم.
والحمد لله رب العالمين.
والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا، حبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا، أبي القاسم محمد ابن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع أنبياء الله المرسلين وعلى جميع الشهداء والمجاهدين في سبيل الله، منذ آدم إلى قيام يوم الدين.
السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.
بسم الله الرحمن الرحيم
"إن فرعون علا في الأرض، وجعل أهلها شيعا، يستضعف طائفة منهم، يذبّح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين." "ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكّن لهم في الأرض، ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحزنون."
أيها الإخوة والأخوات،
في يوم المقاومة والتحرير، في يوم الانتصار التاريخي العظيم والكبير، نلتقي هنا في عمق المنطقة التي استعادت الوطن واستعادها الوطن، في أجواء أربعين أبي عبد الله سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، لنؤكد من جديد مقولته وخطه، لنثبت من جديد أنّ الدم هنا ينتصر على السيف، وأنّ الدم هنا قهر السيف وهزمه، وأنّ الدم هنا حطّم كل قيد، وأنّ الدم هنا أذلّ كل طاغية ومستكبر.

نلتقي هنا لنحتفل بالنصر الذي صنعته الشهادة، وصنعته الدماء. عندما نتحدث عن هذا النصر، عن تحرير الأرض، عن حرية الإنسان، عن كرامة الوطن، عن عزّة الأمة.. يجب أن نتذكر كل أولئك الذين ساهموا في صنع هذا النصر. قبل كل شيء وبعد كل شيء، نحن عباد الله نعلن أمام العالم كله أن هذا النصر من الله سبحانه وتعالى، هو الذي هدانا إلى طريق المقاومة، هو الذي دلّنا سواء السبيل، هو الذي ثبّت قلوبنا منذ سنوات طويلة، هو الذي ملأ قلوبنا طمأنينة وأنفسنا عشقاً للشهادة وهو الذي ألقى في قلوب أعدائنا الرعب. هو الذي رمى وهو الذي أصاب، هو الذي دمّر المواقع، هو الذي هدم الحصون، هو الذي قتل الجبابرة، وهو الذي صنع هذا النصر. الله، سبحانه وتعالى، الذي نشكره ونحمده ونسبّحه ونستغفره ونتوب إليه ونخضع له وندعوه أن يتم لنا نصرنا بأن يحّرر كل الأرض وكل الأخوة وكل هذه الأمة المعذبة والمظلومة.

أيها الإخوة والأخوات،

وعندما نأتي إلى الخلائق، لابد أن نذكر أولاً الشهداء، كل الشهداء، شهداء المقاومة من حزب الله وحركة أمل والقوى الوطنية اللبنانية، شهداء الجيش اللبناني والجيش العربي السوري، وشهداء المقاومة الفلسطينية. لا بد أن نتذكر النساء والأطفال في قانا والمنصوري وسحمر والنبطية الفوقا وغيرها. لابد أن نعترف لهؤلاء الشهداء بالفضل الأول والأكبر بعد الله سبحانه وتعالى. لسيد شهداء المقاومة الإسلامية، السيد عباس الموسوي، لشيخ شهدائها الشيخ راغب حرب، ولأخ عزيز كان عاشقاً للشهادة، مقاوماً مجاهداً جندياً مجهولاً، هو فضيلة الشيخ المقاوم والمجاهد الشيخ أحمد يحيى، الذي قضى في الأيام الأخيرة، وهو كان قبل أيامٍ قليلة في بلدة بدنايل في ذكرى "الشهيد الحج كربلاء" يعاتبني أنني لم أفتح له فرصة اللقاء بالشهداء، وكان هذا الشيخ

المجاهد والطاهر والعابد، كان يصر أن يكون أول شيخ ينفّذ عملية استشهادية في تاريخ الصراع مع العدو الإسرائيلي.. يجب أن نعترف لهؤلاء الاستشهاديين، من أحمد قصير إلى بلال فحص إلى عمار حمود: هذه الدماء الزكيّة صنعت النصر، يجب أن نعترف للمجاهدين المقاومين المضحين الذين تركوا الديار والأهل والجامعات والمصانع والمزارع وتفرغوا وقضوا زهرة شبابهم وعمرهم في القتال والجهاد. يجب أن نذكر عوائل الشهداء. يجب أن نذكر الأسرى الذين ما زالوا في السجون والذين خرجوا من السجون. يجب أن نذكر الجرحى. وعوائل هؤلاء جميعاً.

يجب أن نذكر كل من ربّى وهيّأ وأسّس لهذا الخط الجهادي المقاوم في لبنان، يجب أن نذكر إمام المجاهدين والشهداء الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قده)، يجب أن نذكر أول مؤسس لخط المقاومة على الأرض اللبنانية سماحة الإمام المغيّب السيد موسى الصدر (أعاده الله بخير). يجب أن نذكر كل العلماء المجاهدين المضحّين وكل المربين والمفكرين وكل الذين عملوا ليكون هنا في لبنان شعب مؤمن ومجاهد ومقاوم وصامد ومستعد للتضحية.

يجب أن نذكر سكان الشريط الذين عانوا وتحملوا وذاقوا الويلات، وسكان قرى خطوط المواجهة الذي كانوا يُقصفون في كل يوم، ولم يهنأ لهم عيش ولا حياة.

ويجب أن نذكر الموقف الشعبي العام المحتضن للمقاومة: القوى السياسية والجمعيات والشخصيات والأحزاب والنوادي. يجب أن نشيد بالموقف الرسمي العام وخصوصاً في ظل هذا العهد، عهد فخامة الرئيس العماد إميل لحود، وفي ظل هذه الحكومة، حكومة دولة الرئيس سليم الحص.

وإلى جانب لبنان، هناك رجلان يجب أن يُذكرا، وهناك دولتان يجب أن يُعترف لهما بالفضل وأن يُنسب النصر إليهما أيضاً. أعني: الجمهورية الإسلامية في إيران، وسوريا الأسد، والقائد الخامنئي، والقائد العربي الكبير الرئيس حافظ الأسد. هذه حقيقة، من أراد أن يكون منصِفاً وعادلاً في تشخيص الحقائق، يجب أن يعترف بهذه الحقيقة.

القائد آية الله العظمى السيد الخامنئي الذي أيّد ودعم وساند ودعا لهؤلاء المجاهدين في الليل وفي النهار حتى ينصرهم الله، والجمهورية الإسلامية التي وقفت إلى جانب لبنان وسوريا وفلسطين، ودعمت، وتحمّلت الكثير من أشكال التهويل والتهديد من جهة، وأشكال الترغيب والإغراء من جهة أخرى، حتى تتخلى عن دعمها للبنان ولسوريا وللشعب الفلسطيني، فرفضت لأن الموقف هنا هو موقف عقائدي، هو موقف إيماني، هو موقف أخلاقي وإنساني، فوق كل حسابات المصالح السياسية.

وسوريا الأسد التي حمت المقاومة واحتضنتها وحرستها منذ الإنطلاقة الأولى وعلى كل المفاصل الصعبة. من يمكن أن ينسى سوريا سنة 1982 وهي تقاتل على الأرض اللبنانية؟ من يمكن أن ينسى الرئيس الأسد في حرب تموز 1993؟ من يمكن أن ينساه في حرب نيسان 1996؟ من يمكن أن ينساه صلباً صامداً في دمشق وقد احتشد العالم كله في "شرم الشيخ" لإدانه المقاومة ووصفها بالإرهاب وللدفاع عن "إسرائيل"؟

إنني هنا في يوم النصر، في يوم المقاومة والتحرير، أقدم الشكر باسمكم جميعاً لكل لبناني ولكل عربي ولكل مسلم ولكل إنسان حر في هذا العالم ساند المقاومة ووقف إلى جانبها ودعمها بالكلمة، بالموقف، بالقلم، بالمال، بالدعاء، بالتأييد، بالابتسامة. لا يمكنني أن أنسى طلاب الجامعات في الدول العربية، والمشهد المؤثر لطلاب جامعة بيرزيت الذين رفضوا أن يتهم حزب الله بأنه

إرهاب.

نحن اليوم في بنت جبيل وإياكم واللبنانيون جميعاً هنا نحتفل بنصرين وليس بنصرٍ واحد.

النصر الأول تحرير جزء كبير من أرضنا وجزء كبير من معتقلي سجون الاحتلال وإلحاق الهزيمة بالعدو بفضل الجهاد والمقاومة والصمود والتضحيات، نحن هنا اليوم ننعم بالحرية والأمان ولا تجرؤ طائرات العدو أن تأتي فوقكم، وأنا أقول لكم ذلك، الذين يخافون ويرتعبون من مجسم خشب.. لعبة.. تمثال لمنصّة كاتيوشا في كفركلا هم أجبن من أن يأتوا إليكم في مثل هذا اليوم. اليوم نحن هنا في أرضنا بفضل دماء شهداننا، بفضل شعبنا، بفضل الصمود والمقاومة. ليس منّة من أحد، لا من الأمم المتحدة التي عجزت عن تنفيذ قرارها 425 مدة 22 سنة. ليس منّة من مجلس الأمن الدولي. وليس منّة من الحَكَم غير النـزيه (الولايات المتحدة الأميركية)، ليس منّة من المفاوضات. وأيضاً بالتأكيد ليس منّة ولا فضلاً من حكومة باراك الذي خرج من هذه الأرض لأنه لم يكن أمامه سوى خيار واحد وهو الخروج من هذه الأرض. هذا الشعب، هذه الأمة، هذه التضحيات هي التي أعادت وللمرة الأولى أرضاً عربية بالكامل بفعل القوة والمقاومة، وألحقت أول هزيمة تاريخية بهذا العدو الصهيوني المتغطرس. هذا النصر الأول يؤسس لحقبة جديدة ويشطب خلفه حقبة تاريخية ماضية.

عشرات الألوف أتوا يحتفلون بعرس النصر

والنصر الثاني هو كيفية فرض الانسحاب على العدو. أنتم فرضتم عليه التوقيت.. أنتم فرضتم عليه التكتيك.. أنتم فرضتم عليه الكيفية... وأنتم أثبتم، بعد الانسحاب، أنكم شعبٌ لائق بالنصر. لقد كان الإسرائيلي يخطط ليكون انسحابه بعد عدة أسابيع، ويسلّم تدريجياً مواقعه لميليشيا لحد، ويحتفظ ببعض المواقع كقلعة الشقيف والدبشة وبعض المواقع الحدودية، حتى إذا ما قرر مجلس الأمن ما يريد أن يفعل وجاءت قوات الطوارئ تستلم ليتأمن انسحاب هادئ كريم لهذا العدو ليمنّ علينا بإطلاق أسرانا في معتقل الخيام، لكن هذا رفضتموه أنتم ، وكان الاقتحام الأول لبلدة القنطرة ودير سريان والقصير والطيبة، وبدأت البلدات تتحرر والمواقع تسقط وميليشيات لحد تنهار (الواحدة تلو الأخرى)، وفي ليلة واحدة أصبح الشريط الحدودي، أو ما يسميه الصهاينة "الحزام الأمني"، نصفين، وبدأ الانهيار الشامل، واجتمعت حكومة العدو المصغّرة، ووجدت نفسها أمام خيارين: إما أن تعود إلى احتلال المواقع لتواجه المقاومة والمزيد من الخسائر، وإما أن تسرّع بانسحابها، فاختارت الثانية وخرجت على عجل، وتركت لكم كل هذه الدبابات والملالات والمواقع والمدافع، لتؤكد أن ما جرى في جنوب لبنان هو هزيمة إسرائيلية كاملة.

أنتم فرضتم على العدو شكل الانسحاب ووقته، وأسقطتم لغم العدو في ميليشيا أنطوان لحد، هو كان يراهن على أن تتمترس هذه الميليشيا في مواقعها وتطلق النار، ثم يدخل موفد الأمم المتحدة للتفاوض مع الدولة، وفي مقابل إخلاء المواقع يحصل العملاء المجرمون والخونة على العفو. هذا الأمر انتهى أيضاً، انتهى بأذلّ صورة ممكنة لهؤلاء العملاء الذين شاهدتم صورهم، صور إذلالهم عند بوابات فلسطين المحتلة، وشاهدتم كيف تخلى عنهم هذا العدو.

ثم بعد ذلك كان العالم وكان العدو الإسرائيلي نفسه يراهن على أن هذه المنطقة لن تسعد بنصر ولن تحتفل بتحرير. كان يراهن أن هذه المنطقة سوف تدخل في ظلام دامس وفي فتن لا حدود لها.. ستذهب العائلات في هذه القرية لتنتقم من عائلات في القرية نفسها أو غيرها.. أو هذه الطائفة ستعتدي على هذه الطائفة. تصور العدو أن المنطقة سوف تُهدم فيها بلدات (كما هُدمت بلدة حانين) وتُسفك فيها دماء وتُرتكب فيها مجازر، ولكنكم أثبتم وأثبتت المقاومة، بالانسجام مع

الدولة اللبنانية، أنّ شعب لبنان ودولة لبنان ومقاومة لبنان وكل الطوائف في لبنان هم جديرون بالنصر، وهم يحتفلون بالنصر.

هذه المنطقة بعد إسرائيل دخلت في موسم النور وخرجت من عصر الظلام بعد 22 سنة من الاضطهاد واعتقال آلاف المواطنين من قبل ميليشيا لحد الذين أهلهم وعيالهم مازالوا هنا، برغم تدمير البيوت والقمع والقهر: هل قُتل رجل واحد؟ لقد قلت قبل أيام: عندما أنهار الجيش النازي في فرنسا، أقدمت المقاومة الفرنسية "المتحضرة" على إعدام عشرة آلاف عميل فرنسي من دون محاكمة. إنّ المقاومة في لبنان ولبنان هو أكثر حضارية من فرنسا وكل هذا العالم!

هل قُتل أحد؟ هل ضُرب أحد؟ هل سُفكت قطرة دم واحدة على امتداد هذه الأرض؟ هذا هو المشهد المثالي الذي أذهل العالم.. هذا النصر العسكري والسياسي الذي تحقق. نعم، قد تحصل أخطاء. هم دُهشوا في العالم لأنهم يعرفون أنه في مثل هذه الحالات في بقية أماكن العالم يحصل قتل، تدمير، مجازر، سرقات، نهب... لكن ماذا حصل عندنا؟ يمكن أن تكون حصلت بعض الأخطاء من قبل لصوص، من قبل متسللين، ولكن هذا جزء بسيط من الصورة. لماذا يصر البعض أن يضعنا أمام مشهدين: مشهد حضاري بهذه العظمة، وبنفس الحجم والمستوى بأن هناك بعض الأخطاء حصلت في هذه المنطقة؟ أقول للبعض: أخرجوا من مخاوفكم.. اخرجوا من أحقادكم.. كونوا لبنانيين حقاً ووطنيين حقاً في هذه اللحظة التاريخية!! هذا هو النصر الثاني الذي تحقق.

أيها الأخوة والأخوات،

أمام هذين النصرين الكبيرين عدد من النقاط الواجب إثارتها:

أولاً)
يجب الحفاظ على هذا الإنجاز وهذا الانتصار، ويجب تقويته وتحصينه، وهذا يحتاج إلى جهد وتضحية أكبر، وإلى تواضع كبير أيضاً من الجميع.

ثانياً)
علينا أن نثبت هذه المنطقة أننا لائقون بالنصر، وقد أثبتنا ذلك خلال الأيام الماضية، لكن لا تسمحوا لأحد في الأيام والأسابيع المقبلة بأن يدخل على الخط. أنا لا أتحدث عن مخاوف، ولكننا في جوار عدو لا يمكنه أن يتحمل كل هذه البهجة في وجوهكم، وهو الذي اعتاد أن يراها متألمة حزينة.. لا يمكنه أن يرى الفرح في عيونكم، وهو الذي اعتاد أن يراها دامعة.. هنا: يجب أن لا يكون هناك مخاوف لدى أحد، لا من المسيحيين ولا من المسلمين، لن أدخل في تعداد القرى والبلدات، ولكن أقول: هذه مسؤولية الجميع، الكل يجب أن يتحمل المسؤولية، فإن حصلت مسألة بسيطة نحلّها، عندما نضخّمها نكون قد ضيّعنا الفرصة، وضربنا العيش المشترك، فلنبق الأمور في أحجامها الحقيقية، هذه المنطقة بحاجة إلى تحصين بعد كل هذا التاريخ المظلم، مسؤولية رجال الدين المسلمين والمسيحيين، والقوى السياسية الموجودة في المنطقة، والفاعليات والوجهاء والمثقفين وأهلنا جميعاً.. أن يعملوا على لملمة الجراح في كل بلدة وفي كل قرية وبين العائلات جميعاً.

ثالثاً)
العملاء هم عبرة للبنانيين جميعاً، وهذه تجربة جديدة، وشاهدتم كيف أُذلّ هؤلاء، كيف يتهمون قائدهم بخيانتهم. أنطوان لحد العميل يقول: "لقد أخلصنا لـ إسرائيل 25 سنة وخانتنا وتركتنا في

ليلة واحدة". هذه يجب أن تكون عبرة لكل لبناني مسلم ومسيحي أنّ إسرائيل لا يعنيها ولا يهمها أحد في لبنان. هي تكذب على المسيحيين وتكذب على المسلمين عندما تدعي الحرص عليهم. ما يهم إسرائيل في لبنان والمنطقة مصالحها ومنافعها وأطماعها. نحن المسلمون والمسيحيون، في نظر هؤلاء الصهانية، مجرد خدم وعبيد لشعب الله المختار. أما آن لبعض اللبنانيين لأن يفهموا هذه الحقيقية وأن يستفيدوا من كل هذه العبر؟ يجب على اللبنانيين أن يعرفوا أنّ خيارهم يجب أن يكون خياراً وطنياً، أن لا يخطئوا في الحسابات الطائفية فتؤدي بهم إلى إسرائيل. إنّ مصلحة كل الطوائف في لبنان أن يكون خيارها وطنياً.. أن يكون خيارها عربياً.

رابعاً)
لتحصين الأمن القومي في لبنان، ولتحصين هذه المنطقة، يجب يعاقب العملاء أمام القضاء، ويجب أن يحاسَبوا وأن يُنـزل بهم أشد العقاب ليكونوا عبرة للمستقبل، لكي لا يكون في هذه المنطقة أي لغم أو فتيل للتفجير يمكن أن يستفيد منه أحد: إما متحسس ثائر أو حاقد متربص.

خامساً)
أعلن من هنا في يوم النصر، بالنسبة إلى هذه المنطقة، أننا في حزب الله لسنا في وارد أن نكون بديلاً عن الدولة، لسنا سلطة أمنية، ولن تكون سلطة أمنية، لسنا مرجعية أمنية، ولن نكون مرجعية أمنية، الدولة هي المسؤولة، هذه المنطقة عادت إلى سيادة الدولة، والدولة هي التي تقرر من سترسل: قوى الأمن، تعزز المخافر، ترسل أجهزة أمنية أخرى، نحن لا نتحمل أي مسؤولية أمنية في هذه المنطقة على الإطلاق.

سادساً)
المسؤولية الإنمائية والاعمارية.. حجم الخراب في هذه المنطقة يحتاج إلى دولة. طبعاً حزب الله قدّم دماً وتضحيات، ونحن من خبز المجاهدين سنمد يد المساعدة إلى هذه المناطق، ولكن المسؤولية هي مسؤولية الدولة، والدولة يجب أن تتعاطى مع هذه المنطقة على المستوى الإنمائي بشكل طارئ واستثنائي. وهنا أؤكد أن حجم العمل المطلوب إنمائيا وإعمارياً وخدماتياً هو أكبر من أي مؤسسة، هو أكبر من أي وزارة ، يجب أن تستنفر كل وزارات الدولة لتأتي إلى هنا وتتحمل مسؤوليتها هنا، يعني: المناطق المحررة من الجنوب والبقاع الغربي، يعني قرى المواجهة التي تحملت عبء المقاومة أكثر من غيرها لأنها كانت موضع القصف والعدوان والهجوم المستمر.

لكن، إسمحوا لي هنا في بنت جبيل وفي جبل عامل أن أكون وفياً لمنطقة أخرى. عندما نتحدث عن إنماء هذه المناطق كجزء من إنمائها وإعادة أعمارها فهناك منطقة لها فضل كبير في هذه المقاومة، وهي منطقة بعلبك الهرمل، هذه المنطقة التي تأسست فيها المقاومة الإسلامية واحتضنت المجاهدين من الجنوب وبيروت في بعلبك هي التي تعرضت بشكل دائم للقصف الجوي وخسرت على المستوى الإنمائي والاقتصادي وقدمت المئات من أبنائها شهداء، ومن الصعب أن نجد قرية في منطقة بعلبك الهرمل خصوصاً والبقاع عموماً ليس فيها شهداء سقطوا من أجل تحرير الجنوب والبقاع الغربي. هذه المنطقة التي صبرت طوال السنين الماضية لأن أولويتها كانت التحرير، كانت مقتنعة معنا بأن أولوية التحرير جديرة بالصبر والتحمل، إبن بعلبك الهرمل الذي قدّم دم ولده لتحرير الجنوب صبر على الجوع والحرمان، والآن إنماء هذه المنطقة يجب أن يتلازم مع إنماء تلك المنطقة، وعند الحديث عن لجنة طوارئ، يجب أن نتحدث عن لجنة طوارئ للمنطقتين إذا كنا نريد أن نكون أوفياء للمستضعفين والمحرومين والمعذبين والفقراء الذين قاتلوا وصنعوا هذا النصر.

سابعاً)
أقول للبنانيين جميعاً، يجب أن تتعاطوا على أساس أن هذا انتصار لكل اللبنانيين، ليس انتصار حزب ولا حركة ولا تنظيم، هذا ليس انتصار طائفة وانهزام طائفة. مخطئ وجاهل من يظن ذلك أو يقول ذلك. هذا انتصار للبنان، وهذه المقاومة كانت قوة للوطن، وستبقى قوة للوطن. هذه المقاومة عندما كانت تنتصر كانت تتواضع، وعندما كانت ترتفع بالشهداء كانت تتواضع. وأنا أقول لكم: ستجدون حزب الله والمقاومة الإسلامية بالتحديد أكثر تواضعاً من أي زمن مضى، لأننا في هذا النصر نشعر بعظمة ربّنا وقوّته وجبروته وقدرته، وكم نحن البشر ضعافاً، إذا اتكلنا على أنفسنا نبقى مهزومين، إذا اتكلنا على الله فإنّ الله هو العزيز الجبار. وأنا أعدكم بأنه لن يُستخدم هذا النصر في يد أحد على حساب هذا الوطن وعلى حساب أي جزء من شعب هذا الوطن العزيز.

ثامناً)
اليوم باراك يدعو لبنان إلى اعتبار الانسحاب رسالة سلام! هذا خداع.. هو خرج من دون خيارات، ثم يدعونا إلى اعتبار الانسحاب سلاماً بعد قتل عشرات الآلاف من المدنيين، بعد ما لا يقل عن 1276 شهيداً من حزب الله، وإذا ضممنا إليهم آلاف الشهداء من بقية الأخوة في القوى الإسلامية والوطنية اللبنانية ماذا تكون المحصلة؟ بعد عشرات الآلاف من المدنيين الذين قُتلوا في لبنان، بعد أن دُمّر بلدنا واقتصادنا، وهو مازال يحتجز أسرانا في سجونه، ومازال يحتل أرضاً عزيزة علينا هي مزارع شبعا، وهو في الوقت الذي يستقبل فيه المهاجر اليهودي الروسي رقم مليون ويعلن استعداده لتستقبل فلسطين مليون مهاجر في السنوات المقبلة يرفض أن يعيد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وغيره إلى ديارهم وبيوتهم وحقولهم.

عن أي رسالة سلام يتحدث باراك ثم يبدأ بالتهديد والتهويل على لبنان؟ أمام تهويله ووعيده ووعده أقول لكم: الشيخ عبد الكريم عبيد وأبو علي الديراني وسمير القنطار، وكل أسير في السجون الإسرائيلية سيعود إليكم قريباً أن شاء الله. لا يوجد خيار أمام باراك وحكومته، أنصحه بأن يخرج من مزارع شبعاً ويفض هذه المشكلة، وستُثبت الأيام أنه ليس لديه خيار آخر، ونحن لا تعنينا القرارات الدولية، إنّما نفهم أنّ هناك أرضاً لبنانية محتلة يجب أن تعود إلى لبنان، الأسرى سيعودون، وبقية الأرض ستتحرر، ولن يكون هناك خيارات أمام هذا العدو المهزوم في لبنان.

أما التهديد والوعيد الإسرائيلي فلا نخاف منه اليوم... هم الخائفون على امتداد هذه الحدود وهذا الشريط. لقد خافوا من بعض النساء والأطفال الذين يقفون على الحاجز الحديدي... يخافون من حجر يرمى عليهم... أنتم الآن هنا بنت جبيل آمنون سعداء، وهم على امتداد مستعمرات شمال فلسطين المحتلة خائفون ومرتعبون أمام المستقبل المجهول... لقد انتهى الزمن الذي كنا نخاف فيه من التهويل والتهديد الإسرائيلي، وهو يعرف أن الزمن الذي كانت فيه تستبيح طائراته سماءنا قد ولى، وأن الزمن الذي كانت تستبيح دباباته أرضنا قد ولى، وأن الزمن الذي كانت تستبيح فيه زوارقه مياهنا الإقليمية قد ولى، وإنّ أي اعتداء على لبنان لن يقابَل بشكوى إلى مجلس الأمن (من مجلس الأمن هذا؟!) ولا بالدموع... لن يقابَل إلا بالمقاومة.. "إسرائيل" إذا اعتدت على لبنان ستدفع إثماناً غالية.

تاسعاً)
أيها الأخوة والأخوات،
أيها اللبنانيون، أنتم أمام استحقاقات كبيرة، استحقاق استكمال التحرير، واستكمال استعادة الأسرى، واستكمال بناء مؤسسات الدولة... بهذا الانسجام بين المقاومة والدولة، بهذا الإحساس بالمسؤولية الوطنية، بهذا التوحد حول الوطن يمكننا أن نواجه كل الاستحقاقات ونبني لأنفسنا

ولأجيالنا القادمة وطناً اسمه لبنان. لبنان الجديد قوّته في قوّته، قوّته في دمه، قوّته في صموده، قوّته في جبروته، قوّته في رفعته وعصيانه على كل الأعاصير والعواصف. لبنان الجديد وطن للعيش المشترك الحقيقي، فلن يسمح بعد اليوم مسلم ولا مسيحي للصهاينة بأن يلعبوا بنا.. بأجيالنا.. بشبابنا.. لبنان الجديد هو وطن للشدة في وجه الغزاة، ووطن للرحمة في تعاطي أهله وفئاته وطوائفه بعضهم مع بعض .

عاشراً)
هذا النصر نقدّمه لشعبنا المظلوم في فلسطين المحتلة ولشعوب أمتنا العربية والإسلامية. ومن هنا، من بنت جبيل المحررة، أخاطب شعب فلسطين المظلوم المعذب المضطهد.

يا شعبنا في فلسطين: مصيرك بيدك، أرضك تستطيع أن تستعيدها بإرادتك، بخيار عز الدين القسّام، بدماء فتحي الشقاقي ويحيى عياش، يمكنك أن تستعيد أرضك، من دون أن يمن عليك هذا الصهيوني بزاروب هنا أو قرية هناك. يمكنكم أن تعيدوا أهلكم إلى ديارهم بفخر واعتزاز من دون توسل لأحد. أنتم تستطيعون أن تستعيدوا أرضكم وحقوقكم المشروعة حتى لو تخلى عنكم كل العالم. دعوا هذه الأدلة والحجج جانباً. إنّ طريق فلسطين، يا شعب فلسطين، أن طريقكم إلى الحرية، هو طريق المقاومة والانتفاضة، المقاومة الجادة والانتفاضة الحقيقية، لا الانتفاضة في إطار أوسلو، ولا الانتفاضة في خدمة المفاوض المتنازل في ستوكهولم.. الانتفاضة والمقاومة التي لا ترضى إلا بالحق كاملاً كما في لبنان. في لبنان: كل لبنان يرفض أن يبقى جزء بسيط من أرضه تحت الاحتلال. هذا النموذج اللبناني الراقي نقدّمه لشعبنا في فلسطين. لتحرير أرضكم لستم بحاجة إلى دبابات ولا إلى توازن استراتيجي، ولا إلى صواريخ، ولا إلى طائرات، ولا إلى مدافع، بل على طريقة الاستشهاديين الماضين الذين هزوا الكيان الصهيوني الغاصب وأرعبوه، يمكنكم أن تستعيدوا أرضكم. أنتم أيها الفلسطينيون المظلومون والعزل والمحاصَرون، يمكنكم أن تفرضوا على الغزاة الصهاينة أن يعودوا من حيث أتوا.. فليذهب الفالاشا إلى أثيوبيا، فليعد اليهود الروس إلى روسيا.. الخيار عندكم والنموذج ماثل أمام أعينكم: المقاومة الصادقة والجادة يمكنها أن تصنع لكم فجر الحرية. يا إخواننا وأحباءنا في فلسطين.

أقول لكم يا شعبنا في فلسطين: إنّ إسرائيل هذه التي تملك أسلحة نووية وأقوى سلاح جو في المنطقة، والله هي أوهن من بيت العنكبوت!

لكن إذا كنتم تريدون الاعتماد على الاتحاد السوفياتي كما كان في السابق فلن تصلوا إلى نتيجة، إذا كنتم تنتظرون المجتمع الدولي فلن تصلوا إلى نتيجة، إذا كنتم تراهنون على المعادلات فلن تصلوا إلى نتيجة.

يا شعب فلسطين: إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم، يا شعب فلسطين: إن ينصركم الله فلا غالب لكم.

وأقول لشعوبنا العربية والإسلامية: أيتها الأمة العربية، يا عالمنا العربي والإسلامي، الخزي والهزيمة والذل والعار من الماضي هذا الانتصار يؤسس لحقبة تاريخية جديدة ويقفل الباب على حقبة تاريخية ماضية.. ضعوا اليأس جانباً وتسلحوا بالأمل، ضعوا الوهن جانباً واشحذوا الهمم والعزائم. إنني اليوم، بإسم كل الشهداء في لبنان، بإسم كل المظلومين في لبنان، أطالب الحكومات العربية، بالحد الأدنى، أن توقف التطبيع مع إسرائيل، أن تقطع علاقاتها بـ "إسرائيل"، أن تفرض موقفها وقرارها على إسرائيل. وأطالب الشعوب العربية بأن تقف إلى جانب فلسطين وشعب فلسطين، وأن ترفض أي شكل من أشكال التطبيع مع هذا العدو.. إسرائيل الكبرى هزمتها

المقاومة، إسرائيل العظمى تهزمها المقاومة، وأحد أشكالها المهمة مقاومة التطبيع.
في لبنان، لبنان الانتصار، لبنان العزة القومية والعربية الإسلامية، لبنان الشرف، لبنان التضحية، لبنان المقاومة، لبنان الشهادة.. أحيي كل المقاومين المدافعين عن هذا البلد، أقول لهم: أقول للمقاومة الإسلامية، للسرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال، لأفواج المقاومة اللبنانية أمل، لجبهة المقاومة الوطنية.. ومن ورائهم هذا الشعب، أيها اللبنانيون: نحن في جوار عدو متآمر، طبعهم العدوان والإرهاب، طبعهم العنصري يفرض عليهم التآمر الدائم، ولذلك يجب أن نبقى جميعاً في جهوزية دائمة نحفظ مقاومتنا ونحفظ جيشنا ونحفظ دولتنا ونحفظ وحدتنا الوطنية والداخلية، لنحصّن هذا النصر، ولنثبت أن لبنان هو القلعة التي لا يمكن أن تهزمها العواصف ولا الأعاصير ولا يمكن أن تشقّها أعتى الزلازل..
مبارك للبنانيين والعرب والمسلمين والمسيحيين ولكل المظلومين في العالم، مبارك لروح الإمام الخميني، لموسى الصدر، للقائد الخامنئي، للرئيس الأسد، لكل لبناني، لكل شهيد، لكل عربي شريف، مبارك هذا النصر الذي وضع الأمة كلها على بوابة مرحلة الانتصارات الآتية ووضع إسرائيل على بوابة مرحلة الهزائم الآتية
وكل نصر وكل عيد وأنتم بخير
والسلام عليكم ورحمة الله وبركات

الوثيقة الثانيّة

نص خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش
الى الأمة الأمريكية في/8 أيلول/2007

البيت الأبيض
مكتب السكرتير الصحفي
8أيلول/سبتمبر2007
حديث الرئيس الإذاعي بالراديو إلى الأمة

الرئيس: أسعدتم صباحا .سافرت في وقت سابق من هذا الأسبوع إلى محافظة الأنبار بالعراق لزيارة قواتنا ولكي أشاهد بنفسي التغييرات الرائعة التي أمكن تحقيقها. وإذا أردتم مشاهدة بعض صور تلك الزيارة يمكنكم الاطلاع عليها على صفحة موقع البيت الأبيض whitehouse.gov حيث يمكن مشاهدة عرض بالشرائح المصورة لزيارتي.
إن النجاح في الأنبار مهم جدا بالنسبة لمستقبل العراق الديمقراطي وللحرب على الإرهاب. وتشكل هذه المحافظة التي أغلبيتها من السنّة نحو ثلث مساحة العراق. فهي تمتد من ضواحي بغداد إلى حدود العراق ومع الأردن وسوريا والسعودية. وقد ظلت الأنبار حتى وقت قريب قاعدة العمليات الرئيسية للقاعدة في العراق .
وكانت الأنبار في مثل هذا الوقت من العام القادم تحتل كل الأخبار. وقد أشارت الصحف في ذلك الوقت إلى تقرير استخباري متشائم تسرب إليها عن احتمالات المستقبل بالنسبة لنا هناك.
وقد لخص أحد المعلقين الوضع على الوجه التالي: "لقد انتهت الحرب في الأنبار وخسرتها الولايات المتحدة." إلا أن السكان المحليين سرعان ما وجدوا كيف تكون الحياة بالنسبة لهم في ظل القاعدة. فقد عامل الإرهابيون أهالي الأنبار بفظاظة ووحشية وقتلوا أولئك الذين يعارضون إيديولوجيتهم المظلمة.
ولذا اتحد شيوخ عشائر الأنبار على محاربة القاعدة. وطلبوا الدعم والمساندة من الائتلاف والحكومة العراقية واستجبنا للطلب. وعملنا معا على طرد القاعدة من معقلها في الأنبار، وانخفض الآن معدل العنف، وهاهي الحكومات المحلية عادت إلى الاجتماع من جديد. والشبان السنّة مقبلون على الانضمام إلى الشرطة والجيش، وبدأت الحياة الطبيعية تعود إلى سابق عهدها.

ووجد أهالي الأنبار أن الوقوف في وجه الإرهابيين والمتطرفين والتصدي لهم يؤدي إلى حياة أفضل. فقد برهنت الأنبار على أن تحسين الوضع الأمني هو الخطوة الأولى نحو تحقيق التقدم الاقتصادي والمصالحة السياسية والتوافق. وقد اجتمعت خلال زيارتي بشيوخ العشائر الذين حاربوا معنا ضد القاعدة والذين يعكفون الآن على بناء مستقبل أفضل لذويهم وللشعب العراقي بأسره.

وقد أبلغني شيخ سني قائلا "لقد عانينا كثيرا من الإرهاب، ولذا نحن نؤيد بقوة الديمقراطية التي دعوتم إليها. والنظام السابق (لصدام حسين) ينبغي أن لا يوصف بأنه نظام سنّي، لأنه كان نظاما ضد السنة والشيعة والأكراد ".

واجتمعت أيضا بقادة الحكومة القومية العراقيين بمن فيهم الرئيس الطالباني ورئيس الوزراء المالكي ونائب رئيس الوزراء برهم صالح ونائب الرئيس عبد المهدي ونائب الرئيس الهاشمي ورئيس المنطقة الكردية البرزاني. وينتمي هؤلاء الرجال إلى طوائف دينية وعرقية مختلفة، ولكنهم يدركون جميعا أهمية النجاح في الأنبار .

ولذا فإنهم يمدون يد المساعدة باتخاذ خطوات إيجابية مثل المشاركة في تقاسم عائدات النفط مع قادة المحافظات. وقد شكرت ممثلي الحكومة العراقية على جهودها في دعم جهود التقدم من الأساس وإلى أعلى في الأنبار. وأبلغتهم بأن الشعب الأميركي يتوقع منهم أن يفوا بالتزاماتهم وأن يقروا التشريعات التي اتفقوا عليها.

واستمعت وأنا في العراق أيضا إلى إيجاز جيد من الجنرال ديفيد بترايوس والسفير رايان كروكر، حيث أطلعاني على آخر المستجدات عن جهودنا العسكرية والسياسية والاقتصادية لدعم شركائنا العراقيين. وأبلغاني بالنجاح الذي يشهدانه في أنحاء العراق وبأفكارهما حول المضي على طريق التقدم. وسيأتيان خلال الأيام القليلة القادمة إلى واشنطن كي يعرضا على الكونغرس تقييما للأحوال على أرض الواقع .

ولذا فأنا أحث الكونغرس على الاستماع إلى هذين الرجلين الخبيرين المحترمين قبل القفز إلى استخلاص النتائج. وكان الأهم خلال زيارتي هو أنني التقيت بجنودنا الذين يخدمون في الأنبار. ويبدي هؤلاء الرجال والنساء في كل يوم شجاعة في مواجهة الظروف بالغة الصعوبة. والعمل الذي يقومون به على رمال الأنبار يجعلنا أكثر أمنا في شوارع أميركا .

ونتيجة لإقدام قواتنا وتضحياتها في العراق فهي تحرم القاعدة من الملاذ الآمن الذي يمكن أن تخطط فيه مؤامراتها وتشن هجماتها على الأميركيين هنا وفي الخارج. وأنا أدرك صعوبة بُعد رجالنا ونسائنا في الجندية عن أفراد عائلاتهم وأسرهم وأبلغتهم بتقدير شعبنا لاستعدادهم للخدمة وبأن الشعب الأميركي يقف معهم.

وسأتوجه بعد مشاوراتي في الأسبوع القادم مع رؤساء هيئة الأركان المشتركة وفريق الأمن القومي وأعضاء الكونغرس من الحزبين والزعماء العراقيين، بالتحدث مباشرة إلى الشعب عن المقترحات التي تقدم بها إلي الجنرال بترايوس والسفير كروكر. وسأبحث التغيرات التي تمت نتيجة لاستراتيجيتنا في العراق .وسأعرض رؤية لمستقبل جهودنا في العراق وهي جهود أعتقد أن الشعب الأميركي وقادته المنتخبين من الحزبين يمكن أن يؤيدوها.

وبالاتحاد على طريق المضي إلى الأمام يمكننا أن نعزز الديمقراطية في العراق وأن نوجه ضربة لأعدائنا ونضمن المصالح في الشرق الأوسط وأن نجعل بلادنا أكثر أمنا وسلامة .

شكرا لكم على إصغائكم

عرض

الموضوع: توظيف القواعد الدّعائيّة في وسائل الإعلام

القيام بمتابعة تغطية وسائل الإعلام لحدث سياسي هام له انعكاسات دوليّة، و تحليل هذه التغطية في ضوء التقنيات الدعائية و تقديم تقرير بالإستخلاصات للمناقشة.

المدّة الزّمنيّة
أسبوع

العيّنة
قنوات تلفزيونية/ صحف إخباريّة عربية و غربية مختلفة التوجهات:
-قناة/صحيفة عربيّة رسميّة (تختار على أساس مكان وقوع الحدث)
-قناة/ صحيفة عربيّة حزبيّة
-قناة/ صحيفة عربيّة غير رسميّة
-قناة/ صحيفة غير عربيّة موجّهة للعرب (تختار على أساس قرب الحدث منها)
-قناة/ صحيفة فرنسيّة
-قناة/ صحيفة أمريكيّة

أنواع البرامج/المقالات
تتمّ متابعة معالجة الحدث في النشرات/المقالات الإخباريّة و الحصص الحواريّة/مقالات الرأي

المراجع و المصادر

المعاجم

ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1999 .

جلال الدّين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفيّة، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، 591 ص.

المؤلّفات

أوليفيي روبول، لغة التربية، تحليل الخطاب البيداغوجي، ترجمة عمر أوكان، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002.

آن روبول و جاك موشلار، التداوليّة اليوم، علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط 1، 2003، 278 ص.

د.أحمد المتوكّل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفيّة، بنية الخطاب، من الجملة إلى النّصّ، دار الأمان للنشر والتّوزيع، الرّباط، 2001.

أحمد زايد، صور من الخطاب الديني المعاصر، دار العين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.

د. إبراهيم أنيس، دلالات الألفاظ، المطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 2

برنارد لويس، لغة الإسلام السياسي، ترجمة عبد الكريم محفوظ، دار جفرا للدراسات والنشر، دمشق، 2001، ط1، 187 ص.

تزفتان تودروف، اللغة و الأدب في الخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي، بيروت، 1993.
ت. فان ديك، النص و السياق. *استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي*، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2000، 343 ص.

جون أوستين نظرية أفعال الكلام العامة. كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

طالب سيّد هاشم الطبطبائي، نظريّة الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب، الكويت، 1994.

جورج لايكوف و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، 1996.

Metaphors we live by, The University of Chicago Press, 1980.

جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تَقتُل، ترجمة عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنّشر، المغرب، ط.1، 2005.

Metaphors and war, in Viet Nam Generation Journal, V.3, N.3, November 1991

حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، منشورات التسفير الفني، صفاقس، 2005، 270 ص.

خميس الخياطي، تسريب الرمل. *الخطاب السلفي في الفضائيات العربية*، دار سحر للنشر، تونس، 2006، 212 ص.

دافيد راي غريفن تقرير لجنة 9/11 ، التجاهلات و التحريفات، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006.
و انظر كذلك: شبهات حول 9/11، لنفس المؤلّف.

ديان مكدونيل: مقدمة في نظريات الخطاب، ترجمة د.عز الدين إسماعيل، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط1، 2001.

فردينان دي سوسير دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي و محمّد الشّاوش و محمّد عجينة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985، 406 ص.

فيليب تيلور، قصف العقول، الدّعاية للحرب منذ العالم القديم حتّى العصر النّووي، ترجمة سامي خشبة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 206، الكويت، 415،2000 ص.
العنوان الأصلي للكتاب:
Philip M. Taylor, Munitions Of the Mind, War propaganda from the ancient world to nuclear age, Patric Stephens Limited, Northamptonshire, England, 1990

فتجنشتين، بحوث فلسفية، ترجمة د. عزمي إسلام، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1990.

فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقية،سوريا، 214 صفحة.

د. السيّد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 الإشكالات الفكريّة و الإستراتيجية، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.
د. السيّد ولد أباه التاريخ و الحقيقة لدى ميشال فوكو، الدار العربيّة للعلوم، بيروت ط 2، 2004

سمير شريف استيتية: اللغة وسيكولوجية الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، 2000 .
سعيد بنكراد، مسالك المعنى. *دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية*، دار الحوار، سورية 2006، 190 ص.

د. سلوى الشرفي الإسلاميون و الديمقراطية. منشورات علامات. تونس 2001، 416 ص.

د. سلوى الشرفي، الإسلام و المرأة و العنف، منشورات دار علامات، تونس، 2003، 178 ص.

شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنشر، تونس 2006، 222ص.

عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، قراءة و تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

د عبد السلام المسدي السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007. 369 ص.

د. عبد السلام المسدي ما وراء اللغة. بحث في الخلفيّات المعرفيّة. مؤسّسة عبدالكريم بن عبدالله للنشر و التّوزيع، تونس، 1994، 184 ص.

عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر. *مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج*، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، 249 ص.

عبد الله العروي مفهوم الايدولوجيا، المركز الثقافي العربي، لبنان-المغرب، 1988 ط4

عبد الله العروي مفهوم الحرية المركز الثقافي العربي, لبنان-المغرب, 1988 ط4

عبد الله العروي مفهوم الدولة المركز الثقافي العربي, لبنان-المغرب, 1993 ط 5

كرستينا شتوك اللغة كوسيلة للسلطة. استراتيجيات البلاغة العربية السياسية في القرن العشرين، الناشر: رايشرت, فيزبادن، ألمانيا، الطبعة الأولى، 1999.

مارلين نصر،التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر، 1952-1970 ، دراسة في علم المفردات و الدلالة، مركز دراسات الوحدة العربيّة. بيروت، 1981.

مارسيلو داسكال الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1987

مصطفى ناصف، اللغة و التفسير و التواصل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1995، 356 ص.

محمود عكاشة، لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة1 2004، 379 ص.

محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، 100 صفحة.

د.محمد الشّاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية،تأسيس نحو النّص، جامعة منّوبة، كليّة الآداب، منّوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس2001.

د. محمّد صلاح الدّين الشّريف، تقديم عام للإتّجاه البرغماتي ضمن أهمّ المدارس الليسانيّة، تونس، المعهد القومي لعلوم التربية،1968.

محمد المزوغي نيتشه، هايدغر، فوكو. تفكيك و نقد، دار المعرفة للنشر، تونس، ط 1 2004 ، 212 ص.

محمد عابد الجابري تكوين العقل العربي المركز الثقافي العربي، لبنان-المغرب، 1999

محمد عابد الجابري بنية العقل العربي المركز الثقافي العربي، لبنان-المغرب، ط 3 1993.

محمد عابد الجابري العقل السياسي العربي المركز الثقافي العربي, لبنان-المغرب, ط 2 1991

محمد عابد الجابري الخطاب العربي المعاصر دار الطليعة بيروت 1982 ط 2

محمد الجويلي الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي بين المقدس و المدنس، دار سيراس للنشر، تونس1992

د. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى 2005

نعوم تشمسكي، الدّول المارقة، حكم القوّة في الشّؤون الدّوليّة، ترجمة محمود عليّ عيسى، دار الكتاب العربي، دمشق، 2003، 274 ص.

د. نصر حامد أبوزيد، اشكاليات القراءة و آليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت 1994الطبعة الثالثة 272 ص.

نيقولو مكيافللي الأمير دار الأفاق الجديدة, المغرب, 1998 ط 21

الهادي خليل، التلفزة و السينما و الفتوغرافيا، مقالات في الصورة. مطبعة أوميقا للنشر، تونس 1999، 207ص.

يحيى محمد، جدلية الخطاب و الواقع، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت 2002، 286 ص

وليم راي المعنى الأدبي من الظاهراتيّة إلى التفكيكيّة، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد، دار المأمون 1987.

ندوات و أعمال جماعيّة

أعمال الندوة **قضايا المتكلم في اللغة و الخطاب**، كلية الآداب، جامعة القيروان، دار المعرفة للنشر، تونس 2004، 240 ص (باللغتين العربية و الفرنسية)

تحليل الخطاب العربي ، المؤتمر العلمي الثالث ، جامعة فيلادلفيا، الأردن، كلية الآداب 10-12 مايو 1997.

أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، تأليف جماعي بإشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1998، 447 ص.

د . حميدة سميسم، الخطاب الإعلامي العراقي، مؤتمر الأعلام الأول، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الأعلام، 2001، ص 2 .

د.سلوى الشرفي، عن الرّقابة، إذ تصبح ذاتيّة، فعلا حرّا، أعمال المؤتمر الرابع و الخامس لمنتدى الفكر المعاصر حول الرقابة الذاتيّة و الرّقابة بين السياسي و الديني في البلاد العربيّة منشورات مؤسّسة التميمي للبحث العلمي، تونس، ديسمبر 2008، ص 269.

د.سلوى الشرفي، الإعلام المحتكر للحقيقة و حوار الثقافات، أعمال المؤتمر العالمي الثامن عشر لمنتدى الفكر المعاصر حول الأنسنة و المعرفة و مستقبل الإنسانيّة، منشورات مؤسّسة التميمي للبحث العلمي، تونس، ماي 2006، ص 91.

د.سلوى الشرفي، الخطاب الإعلامي العربي في الرّد على الدّعاية الغربيّة. الغرائبيّة مقابل التضليل، وقائع ندوة دور الإعلام في التواصل الثقافي العربي الغربي، المنظمّة العربيّة للتربية و الثقافة و العلوم (الألكسو)، باريس، مارس 2004، ص 31.

مقالات

رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد ، ترجمة مجموعة من المؤلفين، مجلة آفاق المغربية، عدد 8-9، 1988.

على بن شويل القرني، الخطاب الإعلامي العربي، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، العدد الأول، يناير 1997، ص39.

د. نايف الياسين، السيميائيّة و البنيويّة في النقد التلفزيوني، مجلّة البيان، عدد 354، سنة 2000.

محمد صفار تحليل الخطاب وإشكالية نقل المفاهيم. رؤية مقترحة، مجلة النهضة، المجلد السادس، العدد الرابع، أكتوبر، 2005، ص 100.

مصادر إلكترونيّة

محمد ناصر الخوالده، مفهوم الخطاب كوسيلة اتصالية:

http://www.shrooq2.com/vb/showthread.php?t=1490

سالم مبارك الفلق، اللغة العربية التحديات والمواجهة:

http://www.saaid.net/book/8/1453.doc

ابتسام الغفير، الخطاب الإعلامي المتوازن ، 2007/10/2

http://www.difaf.net/modules.php?name=News&file=article&sid=598

Bibliographie

Dictionnaires

CHARAUDEAU P. MAINGUENEAU D. Dictionnaire d'analyse du discours, Le Seuil Paris, 2002.

Ducrot Oswald & Shaeffer Jean-Marie, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, Seuil, 1995.

Ducrot Oswald & Tzvetan todorov Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Ed.Seuil, Paris 1972.

GREIMAS, Algirdas Julien et Joseph COURTÈS, Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, Hachette, 1979.

Hermet Guy, Badie Bertrand et al., Dictionnaire de la science politique et des institutions politiques , Paris, Armand Colin, 1994, 279 p.

Hartmann, R.R.K., and F.C. Stork, Dictionary of language and linguistics, London, Applied Science, 1972.

Reboul, Anne et Moeschler Jacques. Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Paris, Seuil, 1994.

Sfez Lucien, Dictionnaire critique de la communication, tome 1, Paris, Presses universitaires de France, 1993.

Sfez Lucien, Dictionnaire critique de la communication, tome 2, Paris, Presses universitaires de France, 1993.

Ouvrages

ANGENOT, Marc. La parole pamphlétaire, Paris, Payot, 1982.

Adam (JM) Eléments de linguistique textuelle.Théorie et pratique de l'analyse textuelle. Mardge, Liege

Adam Senaf, introduction à la sémantique, ed Hutropos, Paris 1974

Austin, J Quand dire c'est faire, Éditions du Seuil, Paris 1970 (Traduction par Gilles Lane de: How to do things with Words: The William James Lectures delivered at Harvard University in 1955, Ed. Urmson, Oxford, 1962)

Austin, John. Other minds. Philosophical Papers. Oxford Univ, Press, London, 1961.

Barthes, Roland. Le degré zéro de l'écriture. Paris, Seuil, 1972.

Barthes, Roland. La chambre claire. Paris, Gallimard, 1980.

Barthes, Roland. Eléments de sémiologie. Communications No 4, Paris, Seuil, 1964.

Barthes, Roland. Rhétorique de l'image. Communications No 4, Paris, Seuil, 1964.

Barthes, Roland. L'empire des signes. Essais, Editions du Seuil. Paris, 2005. 157 p.

Bourdieu, Pierre. Ce que parler veut dire. Paris, Fayard, 1982.

Bateson, G. et al. La nouvelle communication. Paris, Seuil, 1981.

Bernard, Lewis. Le langage politique de l'Islam, Ed. Gallimard. Paris, 1988.

Bernard Berelson, Content analysis in communication research, Glencoe, III. Free Press, 1952

Cosnier Jacques et Brossard, A. La communication non verbale. Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel-Paris, 1984.

Cocula, B. et Peyroutet, C. Sémantique de l'image. Paris, Delagrave, 1986.

CHARAUDEAU Patrick. Grammaire du sens et de l'expression, Hachette. Paris, 1992.

CHARAUDEAU P. La pathémisation à la télévision comme stratégie d'authenticité, in Les émotions dans les interactions, Lyon, Presses universitaires de Lyon. 2000.

CHARAUDEAU P. La télévision fidèle à sa propre idéologie , in La télévision et la guerre. Déformation ou construction de la réalité ?, De Boeck-Ina, Louvain-la Neuve. 2001.

CHARAUDEAU P. Visées discursives, genres situationnels et construction textuelle , in Analyse des discours. Types et genres, Éd. Universitaires du Sud, Toulouse. 2001

CHARAUDEAU P. Tiers, où es-tu ? , in La voix cachée du tiers. Des non-dits du discours L'Harmattan. 2004

CHARAUDEAU P. Quand l'argumentation n'est que visée persuasive. L'exemple du discours politique , in Marcel Burger et Guylaine Martel ; Argumentation et communication dans les médias, Editions Nota Bene, Québec, 2005.

CHARAUDEAU P Le discours politique, Vuibert. 2005

CHARAUDEAU P. Les médias et l'information. L'impossible transparence du discours, De Boeck-Ina, Louvain-la-Neuve. 2005.

Charaudeau, P Discours journalistique et positionnements énonciatifs. Frontières et dérives , *Semen*, 22, Énonciation et responsabilité dans les médias, 2006, mis en ligne le 1 mai 2007. Pour citer cet article, référence électronique : http://semen.revues.org/document2793.html. Consulté le 15 juin 2009

Dagenais Bernard, Le plan de communication, l'art de séduire ou de convaincre les autres, Québec, Canada, Les Presses de l'université Laval, 1998,370p.

Debray Régis Cours de médiologie générale.

Eco, Umberto. Le Signe. Histoire et analyse d'un concept. Bruxelles, Edition Labor, Bruxelles, 1988. 283 p.

Emile Benviniste, Problèmes de linguistique générale II Ed. Gallimard. Paris, 1974.

Friedrich Daniel Ernest Schleiermacher (1768-1834), Herméneutique, tr.Fr. de C. Benner, Paris, Cerf, 1987.

GOFFMAN E. les Cadres de l'Expérience . Traduit par I. Joseph, M. Dartevelle et P. Joseph, Ed minuit, 1991. (paru en 1974)

Ghiglione. R. L'homme communiquant. Paris, A. Colin, 1986.

Ghiglione, R. Landré, A. Bromberrg, M. Dorna, A. Ecoute voir ou le discours politique médiatisé. Psychologie Française, 1990.

Ghiglione, R. Je vous ai compris ou l'analyse des discours politiques. Paris, A. Colin, 1989.

Herbert Paul Grice. Logic and conversation. In Cole, P. and Morgan, J. (eds.) Syntax and semantics, vol 3: speech acts. New York, Academic Press. 1975.

Habermas. J, What is universal pragmatics ?, article publié originellement dans K.O. Appel éd, 1976.

Habermas. J, Theorie des Kommunicativen Handelus, 2 vol (t1 théorie de l'action communicationnelle, t2 pour une théorie de l'action fonctionnaliste : rationalité de l'action et rationalisation sociale) Francfort, Suhrkamp, 1982, 1000 p.

Habermas. J, Connaissance et intérêt. Trad et préface de Jean-René Ladmiral. Paris, Gallimard, 1976.

Habermas. J, Knowledge and Human Interests, an english trans, by Jeremy. J.Shapiro, Beacon Press, Boston. 1971.

HERMAN, Edward S. et Noam CHOMSKY. Manufacturing Consent, New York, Pantheon Books, 1988.

IMBERT, Patrick. *L*'objectivité de la presse. Le 4e pouvoir en otage, Coll. « Cahiers du Québec/Communications », Ville La Salle, Hurtubise HMH, 1989.

Kerbrat-Orecchioni, Catherine, L'implicite, A. Collin, Paris, 1986.

Kerbrat-Orecchioni, Catherine, Les actes de langage dans le discours. Théorie et fonctionnement. Nathan Université, 2001.

Moeschler. Jacque. Argumentation et conversation : élements pour une analyse pragmatique du discours, Crédif, Hatier, 1985.

Martine Joly, Introduction à l'analyse de l'image, Edition Nathan Paris 1993, 119p

Michel Foucault, Surveiller et punir. Naissance de la prison, Gallimard, Paris, 1975, 328 p.

Michel Foucault, Les mots et les choses. Une archéologie des sciences humaines, Gallimard, Coll « Bibliothèque des sciences humaines », Paris, 1966,405 p

Michel Foucault, L'archéologie du savoir, Paris, Gallimard, 1969

Michel Foucault, L'Ordre du discours. Gallimard, Paris, 1971, 88 p

MARQUIS, André. La texture éditoriale du Devoir (1910-1995) , dans Le Devoir, un journal indépendant (1910-1995), sous la direction de Robert Comeau et Luc Desrochers, Montréal, Presses de l'Université du Québec, 1996, p. 53-60.

MOUILLAUD, Maurice et Jean-François TÉTU. Le journal quotidien, Presses universitaires de Lyon, 1989.

Michael Moor. Tous aux abris. Bienvenue aux Etats stupides d'Amérique! Ed La Découverte, Paris, 2004.

M. Bleustein. La rage de convaincre, Laffont, 1970.

MAINGUENEAU, Dominique. L'analyse du discours politique. Paris, Hachette, nouvelle éd, 1997.

MAINGUENEAU, Dominique. Analyser les textes de communication. Dunod, Paris, 1998.

MAINGUENEAU, Dominique. Les termes clefs de l'analyse du discours. Paris, Le seuil, coll « Mémo » 1996.

MAINGUENEAU, Dominique. Nouvelles tendances en analyse de discours, Paris, Hachette, 1987.

Meyer, M. Logique, langage et argumentation. Paris, Hachette, 1982.

Mikhaïl Bakhtine, Pour une philosophie de l'acte. Ed, L'Âge d'Homme. Paris 2003

Mikhaïl Bakhtine,Tzvetan Todorov, Le principe dialogique. Collection Poétique. Seuil, Ed, Paris 1981

N, Failclough , Language and Power , London: Longman, 1990.

Olivier Reboul, Langage et idéologie, PUF Paris, 209 p.

Perelman, Chaïm. Traité de l'argumentation, Bruxelles, Éditions de l'Université de Bruxelles, 1988.

Perelman Chaïm et Lucie-Olbrechts-Tytica, Traité de l'argumentation. La nouvelle rhétorique. Préface de Michel Meyer, 5ème édition. Editions de l'université de Bruxelles, 1992, 734 p

Pècheux, M. Sur les contextes épistémologiques de l'analyse du discours Mots, 1984.

Pècheux, M. ; Léon, J. ; Bonnafous, S. ; Maranden, J. M. Présentation de l'analyse automatique du discours (AAD69). Théories, procédure, résultats, perspectives. Mots, 1982.

Paul Ricoeur, De l'interprétation, Essai sur Sigmund Freud, Le Seuil, 1965.

Peirce Charles Sanders Écrits sur le signe, rassemblés traduits et commentés par G. Deledalle. Coll. L'ordre philosophique. Le Seuil, Paris, 1978.

P. Guiraud, Problèmes et méthodes de la statistique linguistique, Paris, Larousse, 1960.

R. Fowler, Linguistic Criticism, Oxford University Press, 1995.

Robert, André D., Bouillaguet, Annick. L'analyse de contenu mise à jour. Paris, PUF, 2002. 128 p

RIVET, Jacques. La mise en page de presse, Coll. Cahiers du Québec/Communications, La Salle, Hurtubise HMH, 1992.

Régine Robin, Histoire et linguistique. Ed Armand Colin. Paris 1973

Saussure Ferdinand de. Cours de linguistique générale, Paris et Lausanne, Payot (1906-1911) Payot 1974.

Searl. John. R. Speech Acts, An essay in the Philosophy of Language, Cambridge Univ, Press, London, 1969,

Searl. J. R Les actes de langage, Essai de philosopjie du langage. Traduit par Hélène Pauchard, éd. Hermann, Paris, 1972, rééd. 2009.

Searl. J. R, Sens et expression :études de théorie des actes de langage. Traduction et préface par Jöelle Proust. Les éditions de minuit, Paris, 1982.

Saloua Ben Youssef Charfi. Les droits de l'homme dans la presse tunisienne : 1988-1991, Analyse des discours relatifs aux droits de l'homme au Maghreb : 1988-1991, vol.1 : Tunisie : recherche-action / dirigée par l'Institut arabe des droits de l'homme et l'Université Laval. Tunis : IADH, 1999. - 393 p. ; 24 cm.- ISBN 9973-771-12-

Slama Cazacu T., Koskas Eliane, La "langue de bois" et quelques problèmes de communication; Psycholinguistique de la parole, Linx, 85-97. 1993

Tzvetan Todorov, Les Genres du discours, Ed. Seuil. Paris, 1978

Trognon, Alain. ; **Larrue, Janine.** Pragmatique du discours politique. A. Colin, Paris, 1994.

VÉRON, Éliseo. Construire l'événement. Les médias et l'accident de Three Mile Island, Paris, Éditions de Minuit, 1981.

VIGNAUX, Georges. Le discours acteur du monde, Paris, Ophrys, 1988.

VAN DIJK, Teun A. *Discourse as Structure and Process*, London, Sage, 1997.

Wolton Dominique, La communication politique : construction d'un modèle. In La communication politique Collection « Les essentiels d'Hermès » dirigée par Dominique Wolton. CNRS édition, Paris, 2008, 160 p.

VAN DIJK, Teun A. Discourse as Social Interaction, London, Sage, 1997.

WATZLAWICK P. La Réalité de la Réalité; Confusion, Désinformation, Communication. Traduit par Roskis, éditions le Seuil, Paris, 1978.

WATZLAWICK P. WEAKLAND J. FISCH R. Changements, Paradoxes et Psychothérapie.(1974) Traduit par Furlan P, éditions le Seuil, paris, 1975.

WATZLAWICK P -(1988)- Les Cheveux du Baron de Munchausen. Psychothérapie et "Réalité». Traduit par Hacker A.L. et Baltzer M. Seuil, Paris, 1991.

Colloques, et conferences

BOURDIEU, Pierre. L'emprise du journalisme , Actes de la recherche en sciences sociales, n° 101-102, mars 1994.

Champagne, P. L'heure de vérité. Une émission politique très représentative. Actes de la recherche en sciences sociales, 1988, 71- 72, 98-101.

SAINT-JEAN, Armande. La controverse des chiffres et l'éthique des médias. Violence envers les femmes : la controverse des chiffres. Actes du colloque tenu à Montréal le 17 mai 1994 dans le cadre du 62e congrès de l'ACFAS, Montréal, Centre de recherche interdisciplinaire sur la violence familiale et la violence faite aux femmes, Collection Réflexions, n° 2, 1994, p. 81-92.

Saloua Charfi, L'information dans le monde arabe entre le prisme occidental et le mutisme national. In Rencontres 91, actes du colloque sur : "Les medias et la libération politique et économique des nations" Département d'information et de communication, Université Laval, Sainte-Foy, Québec, publié par the Graduate School of Journalisme, the University of western Ontario, Canada, 1992, p34.

Saloua Charfi, Les représentations de l'autre et de soi en temps de guerre. Références et argumentation, Atelier de travail international, Forum des opinions II, Dialoguer avec autrui, se questionner sur soi –

même. Islam et christianisme, éducation et progrès, Konrad Adenauer Stiftung, Tunis, septembre, 2005, p 127.

Thèses

Marlène Abou Chdid Nasr, L'idéologie nationale arabe dans le discours de Jamel Abdel Nasser : 1952/1970, thèse pour le doctorat de 3ème cycle, université de Paris-Sorbonne IV, 1979.

Articles

Roland Barthes. La théorie du texte, Encyclopédie Universalis, Vol 15, PP 1013 à 1017.

BOURDIEU, Pierre. L'emprise du journalisme, Actes de la recherche en sciences sociales, nº 101-102, mars, 1994.

BUSSIÈRES, Jacinthe. La Tribune, Le Devoir et les manifestations de Québec contre la conscription en 1918 : la diffusion d'une idéologie par le traitement journalistique. Revue d'études des Cantons de l'Est, nº 2, 1997.

BEAUDET, Céline. Rhétorique administrative, stratégies discursives et mauvaise nouvelle. Technostyle, vol. 13, nº 1, 1996, p. 1-12.

Colin B. Grant, Destabilizing Social Communication Theory, **Culture & Society**, Vol. 20, No. 6 , 2003 , 95-119.

Martyn Hammersley, Conversation Analysis and Discourse Analysis: Methods or Paradigms ?, Discourse & Society, Vol 14, No 6 , 2003 , pp 751-781.

Morris Charles Foundations of the Theory of Signs (1938). Tr. fr. partielle : Fondements de la théorie des signes, Langages, vol. 35 pp. 15-21, Paris, Larousse. 1974.

Norman Fairclough, Discourse and Text: Linguistic and Intertextual Analysis within Discourse Analysis**, Discourse & Society**, Vol. 3, No. 2, 193-217, 1992.

P. Henri and S. Moscovici, Problèmes de l'analyse de contenu, revue Langage, n° 11, 1968.

Paquot, Annette. Les mécanismes discursifs de l'exclusion et de l'inclusion dans un corpus journalistique québécois. Revue Langage et société, N° 34, décembre 1985.

Recherche sémiologique. Revue Communications, No 4, 1964.

La conversation Revue Communications, No 30, 1979.

Les actes du discours. Revue Communications, No32, 1980.

L'analyse des images. Revue Communications, No 15, 1970.

Virage de la sémiologie. Revue Degrés, No 49/50, Bruxelles, 1987.

Le signe iconique. Revue Degrés, No 15, 1978.

Images et médias. Revue Degrés, No 58, 1989.

L'image cachée dans l'image. Revue Degrés, No 69/70, 1992.

SAINT-JEAN, Armande. From Flora to Kim: Thirty Years of Representation of Canadian Women Politicians , en collaboration avec G.J. Robinson, dans Seeing Ourselves. Media Power and Policy in Canada, Helen Holmes et David Taras (dir.), Toronto, Harcourt Brace & Company, 1996, p. 23-36.

Sophie Moirand , Communicative and Cognitive Dimensions of Discourse on Science in the French Mass Media . Discourse Studies, Vol 5, No 2 , 175-206, 2003.

Teun A. van Dijk, Discourse Semantics and Ideology**, Discourse & Society**, Vol. 6, No. 2, p 253, 1995.